

حقائق خلافة النبي صلى الله عليه وآله

الشّريف محمّدعلي حيدرة (السنغالي)

الطبعة الثانية

معاونية التحقيق


بسم الله الرحمن الرحيم


شبكة الفكر
alfeker.net



معاونية التحقيق

سرشناسه: حيدرة، محمدعلى -

Haydarah, Muhammad Ali

عنوان و نام پديدآور: حقائق خلافه‌النبى ﷺ /

المؤلف الشريف محمدعلى حيدره (السنغالى).

مشخصات نشر: قم: مركز المصطفى ﷺ العالمي للترجمة والنشر،

۱۴۳۵ ق.= ۱۳۹۳.

شابک: ۱-۹۰۲-۱۹۵-۹۶۴-۹۷۸

وضعيت فهرست نويسى: فاپا

يادداشت: عربى.

يادداشت: چاپ دوم: ۱۳۹۶ (فيپا)

موضوع: على‌بن ابى‌طالب ؑ، امام اول،

۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق — اثبات خلافت

موضوع: خلافت

موضوع: امامت

رده بندى كنگره: BP۲۲۳/۶/ح۹ح۷ ۱۳۹۳

رده بندى ديويى: ۲۹۷/۴۵

شماره كتابشناسى ملى: ۱۹۳۶۶۰۵

حقائق خلافة النبيّ

المؤلّف:
الشّريف محمّدعلي حيدرة
(السنغالي)



مركز المصطفى ﷺ العالمي
للترجمة والنشر

حقائق خلافة النّبيّ صلى الله عليه وآله

المؤلّف: الشّريف محمّدعلي حيدرة (السنغالي)

الطبعة الثانية: ١٤٣٨ق / ١٣٩٦ش

الناشر: مركز المصطفى صلى الله عليه وآله العالمي للترجمة والنشر

المطبعة: نارنجستان ● السعر: ٢٤٥٠٠٠ ريال ● عدد الطبع: ٣٠٠

مراكز التوزيع:

● ايران؛ قم، مفترق الشهداء، شارع معلم الغربي (شارع الحجّتية)، زقاق ١٨.
هاتف: ٣٧٨٣٦١٣٤ ٢٥ ٩٨+ فاكس:(الرقم داخلي١٠٥)/٣٧٨٣٩٣٠٥ ٢٥ ٩٨+

● ايران؛ قم، شارع محمّد الأمين، تقاطع سالاريّة. هاتف: ٣٢١٣٣١٠٦ ٢٥ ٩٨+

● ايران؛ قم، مجتمع الناشرين، الطابق الثالث، رقم المجتمع ٣٠٨. هاتف: ٣٧٨٤٢٤٠٢ ٢٥ ٩٨+

https://telegram.me/pub_almostafa
http://buy-pub.miu.ac.ir/
miup@pub.miu.ac.ir
http://pub.miu.ac.ir

نشكر أعضاء المركز الذين تابعوا مراحل الطباعة والنشر حتى مراحله الاخيرة.

كلمة النّاشر

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾.[1]

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين و على آله الطيبين الطاهرين المعصومين.

لقد شهدت دائرة العلوم الإسلامية على اختلاف موضوعاتها وأغراضها، عبر تاريخها الطويل اتساعاً واضحاً ونمواً مطّرداً، صاحبَهَا ازدهارٌ مشابهٌ في العلوم الإنسانيه، وفي الفكر، والثقافة والتعليم، والفن، والأدب.

وقد ازدادت هذه العلوم نشاطاً وحيوية وعمقاً وشمولاً بعد انتصار الثورة الإسلامية بقيادة الإمام الخمينيقُدِّسَ سِرُّهُ، وتصاعدت حركة أسلمة العلوم، وتركيز القيم الدينية والروحية والإنسانية، بعد تزايد الحاجه الماسّة إلى إيجاد الحلول للمشاكل والاستفهامات الدائرة في شتى الموضوعات الاجتماعية والسياسيه والعقائدية، في ظل المتغيّرات الحاصلة في مجمل دوائر الفكر والمجتمع، وانتشار شبهات العولمة والفكر الإلحادي، وحتى التكفيري المتطرّف، بخاصّة بعد ثورة الاتصالات الكبرى التي هيئات للعالم فرصة فريدة للاطلاع الواسع بما يحيط به.

---

١. الكهف: ١.

من هنا دعت الحاجة إلى وضع مناهج للبحث والتحقيق واستخلاص النتائج الصحيحة في كلّ علم من علوم الشريعة: في التوحيد، والفقه، والأصول، والفلسفة، والكلام، والحديث، والرجال، والتاريخ، والأخلاق، والنفس، والاجتماع، وغيرها. لتوقّف سعادة الإنسان عليها في الدنيا والآخرة؛ ولتحقيق الغرض العبادي الذي خُلق الإنسان من أجله ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]

فقامت في الحوزة العلميه حركة علمية كبرى يتوجية من قائد الجمهورية الاسلامية الإمام الخامنئي (دام ظله) وجهود الفقهاء والعلماء والمفكرين، والعمل الجاد وبذل غايه الوسع، في بناء صرح علمي ديني رصين، وصياغة مناهج جديدة تُعنى بعلوم الشريعة، وعموم حقول المعرفة الإسلامية والإنسانية.

وأخذت جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالمية على عاتقها المساهمة الفعّالة في صياغة كثير من المناهج الدراسية، التي تنسجم مع تصاعد الحركة العلمية والثقافية الحديثه.

فأسست «**مركز المصطفى صلى الله عليه وآله العالمي للترجمة والنشر**» لينهض بنشر هذه الآثار العلميه وتقديمها لطلاب العلم وروّاد المعرفة.

نأمل أن تأخذ هذه الآثار مكانها في المكتبة الإسلامية وتلقى جميل الأثر، وحسن الردّ من رجال العلم والفضيلة؛ بأن يرسلوا إليها بما يستدركون عليها من نقص أو خطأ يفوت جهد المحقّق الحصيف، والمؤلّف الحريص.

والكتاب الذي بين يدي القارئ الكريم تقدّم به فضيلة الأستاذ **محمدعلي حيدرة** (السنغالي)جاء متّسقاً مع أهداف الجامعة، ومفردة من مفردات مناهجها الدراسية المترامية الأطراف.

---

١. الذاريات: ٥٦.

يتقدّم «**مركز المصطفى**ﷺ **العالمي للترجمة والنشر**» بوافر الشكر لمؤلفه الكريم على ما بذله من جهد وعناية، ولكلّ من ساهم بجهوده لإعداد هذا الكتاب وتقديمه للقرّاء الكرام.

نسأل الله تعالى التوفيق والسداد وهو من وراء القصد.

مركز المصطفىﷺ **العالمي**
للترجمة والنشر

الفهرس

نبذة عن سيرة المؤلّف ١٣
مقدّمة ١٥
١. الظروف التي نشأ فيها الإسلام ٢٣
الإسلام ٢٣
القرآن ٢٦
سنّة النّبي صلى الله عليه وآله ٢٩
أركان الإسلام ٣٠
جزيرة العرب، الحدود الجغرافية والسّكان ٣١
٢. الإمامة ٣٧
السّلطة وأسس انتقال السّلطة في الإسلام ٣٧
١. خلافة الإنسان على الأرض، بالرّجوع إلى النصّ ٣٧
٢. أولو الأمر في الإسلام ٤٨
آل النبي الأطهار عليهم السلام ٥٢
١. مبادئ عامّة ٥٢
٢. الأدلّة ٥٣
قصّة المباهلة ٦٣
فاطمة والأئمة الاثنا عشر عليهم السلام من ولدها ٧٤
٣. الخلافة ١١٥

وصية النّبيّ صلى الله عليه وآله أمر إلهي ١١٦
خلافة الإمام علي عليه السلام ١٢٤
حرب صفين ١٢٦
١. إمامة علي عليه السلام في الكوفة ١٢٦
٢. أهداف معاوية في الشّام ١٢٧
٣. لجوء عليّ عليه السلام إلى الوسائل السلميّة بهدف إعادة معاوية إلى رشده ١٢٨
٤. التقاء الجيشين في صفين ١٢٩
٥. معارك صفين ١٣٠
٦. الخديعة لتلافي الهزيمة (رفع المصاحف) ١٣٤
٧. التّحكيم ١٣٥
٨. حصيلة حرب صفّين ١٣٧
٩. حكم الحكمين أو غدر عمرو بن العاص ١٣٧
١٠. موقف عليّ من حكم الحكمين ١٣٩
معركة النهروان ضد الخوارج ١٤٠
١. بدء خروج الخوارج ١٤٠
٢. معركة النهروان ١٤١
المشكلات الّتي واجهها عليّ عليه السلام بعد معركتي صفين والنهروان ١٤٢
١. إخفاق مسير عليّ إلى حرب معاوية ١٤٢
٢. التّقدم الّذي أحرزه معاوية ١٤٣
٤. مؤامرة الخوارج الثّلاثة ١٤٦
٥. شهادة عليّ عليه السلام ١٤٧
٦. مشهد عليّ عليه السلام ١٤٨
حكم بني أُميّة ١٤٩
١. صعوبات الخلافة وموت الحسن عليه السلام ١٤٩
٢. الخلافة بعد الحسن عليه السلام ١٥٢
٣. معاوية ومساؤه المعهودة ١٥٤
٤. عهد يزيد ١٥٩
دخول الإسلام إلى إفريقيا (ما عدا مصر) ١٦٨
١. أوائل الفتوحات الإسلاميّة في إفريقيا في ظلّ الحكم الأُموي ١٦٨
٢. دخول أحفاد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى إفريقيا ١٦٩

٤. تداعيات ورهانات ١٧٥
عصمة النّبي ﷺ ١٧٥
العبوديّة في الإسلام ١٨١
متعتا النساء والحجّ ١٨٦
صوم شهر رمضان ١٩٦
الصلاة ١٩٩
صلاة الجمعة ٢٠٢
الفرق في الإسلام ٢١٠
عاشوراء (العاشر من محرم) ٢١٩
الزكاة والخمس ٢٢١

٥. السّلوك والسّمات الثّقافية ٢٢٧
الجبر والتّفويض ٢٢٧
قطع يد السارق ٢٣٤

٦. تداعيات ورهانات حالية ٢٣٩
تداعيات حالية ٢٣٩
رهانات حاليّة ٢٤٢
خلاصة ٢٤٤
دعاء ٢٤٧

نبذة عن سيرة المؤلّف

الشّريف محمدعلي حيدرة، ولد في جنوب السّنغال هو، من ذرية نبيّ الإسلامﷺ. نشأ وترعرع في ظلّ التّقاليد الصّوفية العريقة الّتي أخذها عن أبيه، الشّريف الحسن حيدرة، وكان واحداً من كبار مشايخ الطّريقة الصّوفية التّيجانيّة. وفي السّابعة عشرة من عمره ارتحل عن القرية الّتي ولد فيه طلباً للعلم؛ لمعرفة نفسه ولمعرفة العالم، وذلك في أسفار استغرقت أعواماً طويلة وشملت القارات الخمس. درس العلوم الإسلامية، والعرفان الإسلامي، ألّف هذا الكتاب، بأُسلوب شفاف وموضوعي، تدور موضوعات الكتاب حول أحداث تعرض لها تاريخ الإسلام وعن بعض مفاهيمه في لمحة مجملة عما يسمّى بـ «الإسلام الأصيل».

مقدّمة

الإسلام، هو الدّين الوحيد الّذي إرتضاه الله لنا. نحمد العزيز القدير على هذه النّعمة الّتي أسبغها علينا، نحن عباده الفقراء إليه.

﴿... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾.[1]

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.[2]

ولكن ذلك لا يلغي التّسامح بحق أتباع الدّيانات الأُخرى، وخصوصاً إخوتنا أتباع الدّيانات السّماوية، أي أهل الكتاب الّذين نسخت كتبهم من قبل القرآن. هذا التّسامح وما يستتبعه من واجب الحماية على المستويات الجسديّة والإجتماعيّة والثّقافية، هو من الثّوابت الّتي ترددت أكثر من مرّة في كتاب الله قوله تعالي:

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.[3]

---

١. المائدة: ٣.

٢. آل عمران: ٨٥.

٣. العنكبوت: ٤٦.

الدّين الإسلامي، هو دين ثابت وغير قابل للقسمة، وهو يتميّز عن كثير من الأديان الأُخرى بكونه في الوقت نفسه، ذا مرجعيّة ماديّة، أي نسبية من جهة، ومعنوية مطلقة من جهة أُخرى.

وهنا ننتقل إلى الكلام عن القرآن الكريم:

يتمثّل مظهره الماديّ بالطّبع في تقديمه على شكل كتاب، أي على شكل نصوص مكتوبة، وهذه النّصوص لم تتغيّر؛ لأنّها وحي من الله إلى خاتم الأنبياء.[١]

أمّا الخاصيّة المطلقة للقرآن الكريم فتتمثّل في كونه كلام الله، وكبرى المعجزات. وهذه المسألة لم تعدّ تتطلّب الإثبات؛ لأنّ الأشخاص الأكثر شغفاً بالبراهين والأدلّة ـ أي رجال العلم ـ ما فتئوا يكتشفون ـ وبوسائل حديثة ومتناهية الدّقة ـ حقائق سبق لكتاب الله أن أكّدها قبل قرون، في زمن كان النّاس قد خرجوا فيه لتوّهم من ظلمات الجاهليّة.[٢]

ولايوجد في القرآن الكريم أي خطأ علميٍّ أبي عثر عليه أو يمكن العثور عليه، ولا حتّى أدنى تناقض بسيط. ومن غير الممكن للنبيّ محمّدﷺ الّذي كان أُميّاً أن يكون هو واضع القرآن الكريم. ثمّ إنّ البهاء الأدبي والدّقة الرّقمية المتناهية في آياته وتراكيبه، كلّ ذلك يجرّد المشككين بهذه الأُطروحة كلّ حق، حتّى بأن نستمع إليهم. والقول نفسه ينطبق على أولئك الّذين حاولوا نسبة الكتاب إلى هذا أو ذاك من الكهنة أو القساوسة أو الأحبار، أو غيرهم من العلماء الّذين يقال: بأنّ النّبيّﷺ عرفهم أو اتّصل بهم.

وحتى يومنا هذا، لم يتيسر لأيّ إنسان أن يؤلّف كتاباً بمستوى القرآن، ولو من النّاحية الأدبيّة وحدها. ولا مجال للقول إذن، بأنّ أشخاصاً كان بإمكانّيتهم أن يؤثّروا على شخص أُمّي، أو أن يوحوا إليه، أو أن يملوا عليه،

---

١. راجع: *حياة القلوب*؛ *المواهب اللدنية*؛ المنتقي.

٢. راجع: *تاريخ أزمنة الإسلام الأُولى*، للسّيد سفدار حسين.

لكي يتوصّل إلى وضع مثل هذا الكتاب. ثمّ إنّ الواضع الحقيقي للكتاب وضع هؤلاء أمام تحدٍ لن يقوى على الرّد عليه أحد إلى الأبد: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾.[1]

ومن جهة أُخرى، شاء الله أن يعطي ما يكفي من الأدلّة للحيلولة دون التّشكيك بكلامه. وقد أشرنا إلى ما وجد فيه من كشوفات علميّة، وإلى ما فيه من البهاء الأدبي و(اللّغوي) والدّقة الرّقميّة. ولكن القرآن يشير أيضاً إلى الكثير من الأحداث الّتي تحققت بشكل مطابق للنبوءات القرآنيّة.

ومن المهمّ أن نلاحظ أيضاً أنّ العزيز القدير، قد حرص على أن يظلّ كتابه بمنأى عن العطب والتّغيير. ولهذا «شفّره» وحفظه من أيّة تغييرات قد يتّم إدخالها عليه حتّى آخر الزّمان. هنالك إذن حفظ ماديّ (بالتّشفير الرّقمي والأدبي) وحفظ لا ماديّ يبيّنه التّأريخ من خلال ثبات القرآن على حاله رغم ألاعيب البشر. و ذلك واضح في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.[2]

إنّ القرآن الكريم كتابالله، هو إذن نسبيّ ومطلق في آن واحد. وهذهالثّنائية في طبيعة مرجعيتنا العليا، ينبغي لها أن تشكّل بالنّسبة للأُمة الإسلاميّة عنصر اتّحاد ووحدة.

إنّ الفرضيّة الأساسيّة الّتي نقيم عليها دعوتنا الملحّة في هذا الكتاب ـ وحدة الأُمة واتّحادها ـ هي أنّ جميع مسلمي العالم يؤمنون فيما يتجاوز خلافاتهم الحسّاسة وصراعاتهم المذهبيّة، بكتاب واحد هو القرآن، بسوره وآياته، فكتاب الله هو بالنّسبة لهم جميعاً الكتاب نفسه والكتاب الواحد والمعجز والثّابت.

---

١. الأسراء: ٨٨.

٢. الحجر: ٩.

فما الّذي يفسّر (لكي لانقول يبرر) الشّقاق والفروقات في الممارسات وحتّى في المفاهيم التّي نلاحظها عندالمسلمين منذ وفاة رسول الله محمدﷺ وحتّى يومنا هذا؟

لا شيء ـ برأينا المتواضع ـ غير الضّعف البشري الّذي يذكره الله في كتابه، حيث يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.[١]

فبما أنّ الكتاب واحد وهو نفسه عند الجميع، فلا يمكن للاختلافات أن تنشأ إلاّ عن تفسيره. أمّا بواعث التّفسيرات المختلفة فهي متعدّدة، منها:

أنّ جاذبيّة السّلطة وما تقدّمه من إغراءات الحياة الدّنيا ومتاعها، وكذلك الأخطاء غيرالمقصودة، ولعظيم الجناية التي وقعوا فيها هي من الآفات الّتي ابتلي بها كلّ أولئك الّذين قادوا الأمة ـ وما زالوا يقودونها ـ نحو الفرقة والابتعاد عن الطّريق الّذي رسمه الله، ثمّ حدّده رسوله الكريم وحبيبه المصطفىﷺ. وما ينبغي قوله للتّخفيف من ذنب المفسّرين الّذين ارتكبوا أغلاطاً غير مقصودة لكنّها عظيمة الجناية: أنّ آيات القرآن غالباً ما تتضمّن معنىً مباشراً ومعنىً غير مباشر بفارق يشبه الفارق بين حرفيّة النّص وروحه. وقد ورد ذكر هذه المسألة في قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.[٢]

ومع ذلك ـ وكما هو الحال في القانون الوضعي حيث «لا يفترض بأحد أن يجهل القانون»ـ فإنّ من واجب كلّ مسلم أن يتعرّف على القرآن، ويفهم

---

١. الحجر: ٩.

٢. آل عمران: ٧.

أحكامه فالوالد عليه أن يعلّم ولده، والرّاشد عليه في حال عدم معرفته أن يجتهد من أجل التّبحّر فيه، وعلى المسلم أن يعيد قراءة القرآن في كلّ مستوى من مستويات الوعي الّتي يبلغها خلال حياته، حيث إنّه يتوصّل بالضّرورة إلى فهم أفضل لكلام الله من خلال هذه القراءة الّتي لا غنى عنها، حتّى ولو كان للمسلم أُستاذ أو شيخ يساعده في سعيه نحو الكمال.

وعليه، إذا كان المسلم لا يعرف بشكل واضح معنى آية من الآيات، أو تفصيل أحد الأعمال أو إحدى العبادات فإنّ من واجبه أن يبحث بنفسه عن حلّ لهذه المشكلة في القرآن، أو في الأحاديث، أو عند شيوخه ومعلّميّه، أو في الكتب، أو من خلال التّفكير المنطقي الرّصين والنّزيه.

هذا السّعي الّذي لابدّ منه من أجل تكوين فهم أفضل للقرآن، وهذا البحث عن الحقيقة الّذي لابدّ منه، يقوده يوماً ما وبكلّ تأكيد إلى المنبع الّذي لاينضب للتّعاليم الأصيلة الّتي جاء بها نبي الإسلامﷺ وحفظها آل بيته عليهم السلام الّذين دعانا النّبيّﷺ إلى التّمسك بالكتاب وبهم، لكي نتجّنب مهاوي الضّلال.

على كلّ مسلم أن يسهم بحسب إمكانيّاته الجسديّة والنّفسيّة والفكريّة في رفع بنيان وحدة الأُمة. وهذا الهدف هو ما وضعناه نصب أعيننا عندما بادرنا إلى تقديم إسهامنا المتواضع هذا لإخواننا المثقفين، لكي يقرؤوه ويشرحوه بعد ذلك لغيرهم، كما نقدّم هذا الكتاب، أيضاً إلى أولئك الّذين عبرّوا لنا عن تعطّشهم الشّديد إلى تعميق معرفتهم بالدّين، والّذين حثّونا ـ بإلحاح أحياناً ـ على الخروج من حالة التّردد إزاء المهمّة الشّاقة المتمّثلة بوضع هذا الكتاب، كما نستغل هذه الفرصة لنطلب تسامح القارئ عند قراءته الكتاب.

والحقيقة أنّنا لم نأت في هذا الكتاب بشيئ لم يسبق إليه أحد، كلّ ما في

الأمر أنّ بعض المسائل ظلّت مجهولة لحقبة طويلة من الزّمن، بسبب الانحياز بالنّسبة لشطر لا بأس به من أبناء الأُمة. وهنا نطلب تساهل أولئك الّذين ربّما يكونون قد كوّنوا قناعات مسبقة ترتكز إلى محيط الكاتب وأُصوله قبل أن يقرؤوا هذا الكتاب، وهذا التّساهل نطلبه باسم التّسامح وقبول الاختلاف في أنماط التّفكير، وكذلك باسم ضرورة اختبار الإيمان عبر المواجهة بين الأفكار طالما أنّها لا تخرج عن حدود اللياقة. وبكلمة نطلب اعتبارنا أبرياء حتّى ظهور الدّليل على عدم ذلك، انطلاقاً من أنّ كلّ فكرة يجب أن تكون ملتزمةً بتعاليم الله ورسولهﷺ.

وقد حرصنا أن يكون اختيار النّصوص والأحداث الواردة في هذا الكتاب ملتزماً بالنقاط الثّلاثة التّالية:

ـ إعطاء القارئ صورة واضحةٍ عن الإسلام ومختلف التّطورات الّتي أحاطت به.

ـ فتح السّبيل أمام القارئ للبحث الشّخصي والمعمّق حول الموضوع بصورته العامّة، أوحول مختلف الموضوعات الجزئيّة الّتي تطرّق إليها الكتاب.

ـ إبراز النقاط الرئيسيّة الّتي أهملتها كتب التّأريخ التّقليديّة عن قصد أو عن غير قصد.

إنّ هذه الـ «حقائق حول خلافة الرّسولﷺ» ضروريّة من أجل فهم وتجاوز الخلافات غير الجائزة الّتي تفرّق اليوم بين المسلمين، والّتي لم يعد لها أيّ مبرر طالماً أنّنا نستطيع العودة إلى ما هو أساسي، أي إلى الله تعالى ـ انطلاقاً من كتابه الكريم ـ وإلى تعاليم الرّسولﷺ كما حفظها أهل بيته الأطهارعليهم السلام.

ذلكم هو المعنى الّذي تقرّره هذه الآية الّتي ندعوكم إلى التأمل فيها:

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.[١]

---

١. البقرة: ٢١٣.

الظروف التي نشأ فيها الإسلام

من المهمّ تحديد الإطار العام الذي تدور حوله أحداث هذا الكتاب، وهذا الأمر يشكّل موضوع الفصل الأوّل، الّذي سنقدّم فيه بشكل أساسي تعريفاً موجزاً بالإسلام وبالقرآن والسّنة، لننتقل بعد ذلك إلى الكلام عن المجال الجغرافي، والمعطيات الثّقافية للدّولة الإسلاميّة في مرحلة صدر الإسلام.

الإسلام

من الأكيد أنّ الكلام بعمق عن الإسلام لا يسعها هذا المختصر، ويستلزم تأليف كتبٍ كثيرة، ولكنّنا توخينا عرض بعض المبادئ الأساسيّة الّتي يمكن من خلالها تكوين فكرة تسمح بالإحاطة بالموضوع، من خلال آيتين قرآنيّتين وحديث نبويّ ونصّ للإمام عليّ عليه السلام.

هنالك آيات كثيرة تحدّثنا عن ماهيّة الإسلام، وهذه الآيات غالباً ما ترتبط بالسّلوك الواجب التزامه من قبل المسلمين، نورد منها الآيتين التّاليتين:

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ

مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾.[١]

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.[٢]

أمّا الحديث الأكثر شهرة، فهو واحد من حديثين يأتيان على ذكر ظهور الملائكة مرة في معركة بدر، ومرة أُخرى لتقديم تعريف شامل للإسلام. وقد رواه عمر بن الخطاب، وأورده البخاري، وهذا نصّه في صحيح البخاري:

بينما نحن عند رسول اللهﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه آثار السفر، ولا يعرفه منّا أحدٌ حتّى جلس إلى رسول اللهﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفّيه على فخذيه، ثمّ قال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام. قالﷺ: «أن تشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله، وتقيم الصّلاة وتؤتي الزّكاة، وتصوم رمضان، وتحجّ البيت إن استطعت إليه سبيلا». قال: صدقت. فعجبنا إليه يسأله ويصدّقه. ثمّ قال: أخبرني عن الإيمان. قالﷺ: «أن تؤمن بالله وملائكته و كتبه ورسوله واليوم الآخر، والقدر كلّه خيره وشرّه». قال: صدقت.ثمّ قال: فأخبرني عن الإحسان. قالﷺ: «أن تعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك». قال: فأخبرني عن الساعة. قالﷺ: «ما المسؤول عنها بأعلم بها من السّائل». قال: أخبرني عن أماراتها. قالﷺ: «أن تلد الأُمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان».[٣]

وهنا قرأ الرّسولﷺ قوله تعالى:

---

١. الحج: ٧٨.

٢. التوبة: ٧١.

٣. *صحيح مسلم*: ١ / ٣٩.

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.[1]

وبعدها خرج الرّجل، فقال رسول الله ﷺ لمن معه: «أدركوه»، فخرجوا في أثره فلم يجدوه. فقال لهم رسول الله: «أتعلمون من السائل؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنّه جبريل عليه السلام أتاكم ليعلّمكم دينكم».[2]

وأخيراً نورد نصّين من كتاب *نهج البلاغة* الّذي يتضمّن مجموعة رائعة من كلام الإمام علي عليه السلام:

١. «الْحَمْدُ لله الَّذِي شَرَعَ الْاسْلاَمَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ، وَأَعَزَّ أَرْكَانَهُ عَلَى مَنْ غَالَبَهُ، فَجَعَلَهُ أَمْناً لِمَنْ عَلِقَهُ وَسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ، وَبُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ، وَنُوراً لِمَن اسْتَضَاءَ بِهِ، وَفَهْماً لِمَنْ عَقَلَ، وَلُبّاً لِمَنْ تَدَبَّرَ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ، وَتَبْصِرَةً لِمَنْ عَزَمَ، وَعِبْرَةً لِمَن اتَّعَظَ، وَنَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ، وَثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ، وَرَاحَةً لِمَنْ فَوَّضَ، وَجُنَّةً لِمَنْ صَبَرَ. فَهُوَ أَبْلَجُ الْمَنَاهِجِ وَاضِحُ الْوَلاَئِجِ مُشْرَفُ الْمَنَارِ مُشْرِقُ الْجَوَادِّ مُضِيءُ الْمَصَابِيحِ، كَرِيمُ الْمِضْمارِ رَفِيعُ الْغَايَةِ، جَامِعُ الْحَلْبَةِ مُتَنَافِسُ السُّبْقَةِ شَرِيفُ الْفُرْسَانِ».[3]

٢. «واعلموا أنّكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الّذي تركه، ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتّى تعرفوا الّذي نقضه، ولن تمسكوا به حتّى تعرفوا الّذي نبذه، ولن تتلوا الكتاب حقّ تلاوته حتّى تعرفوا الّذي حرّفه، ولن تعرفوا الضّلالة حتّى تعرفوا الهدى، ولن تعرفوا التّقوى حتّى تعرفوا الّذي تعدّى، فإذا عرفتم ذلك عرفتم البدع والتكلّف، ورأيتم الفرية على الله وعلى رسوله، والتّحريف لكتابه، ورأيتم كيف هدى الله من هدى، فلا يجهلنكم الّذين لا

---

١. لقمان: ٣٤.

٢. *سنن النسائي*: ١٠١/٨.

٣. *نهج البلاغة*: خطبه (١٠٦).

يعلمون، إنّ علم القرآن ليس يعلم ما هو إلاّ من ذاق طعمه، فعلم بالعلم جهله وبصربه عماه وسمع به صممه وأدرك به علم ما فات وحيي به بعد إذ مات، وأثبت عند الله عز ذكره الحسنات ومحى به السّيئات وأدرك به رضواناً من الله تبارك وتعالى. فاطلبوا ذلك من عند أهله خاصّة، فإنّهم خاصة نور يستضاء به، وأئمة يقتدى بهم وهم عيش العلم وموت الجهل، هم الّذين يخبركم حكمهم عن علمهم، وصمتهم عن منطقهم، وظاهرهم عن باطنهم، لا يخالفون الدِّين ولا يختلفون فيه فهو بينهم شاهد صادق وصامت ناطق».[١]

القرآن

القرآن هو كلام الله تعالى الّذي أوحى به إلى النّبيّﷺ عند بلوغه سنّ الأربعين. وكان نزول الوحي، تبعاً للعديد من المؤرخين، يوم الإثنين في السابع والعشرين من رجب الموافق للعام (٦٢٢) بعد الميلاد. وقد جاء النزول في الظّروف التّالية:

كان النّبيّ ﷺ قد دأب على تمضية شهر رجب مختلياً في غار حراء، حيث كان يصلّي ويصوم ويتأمّل، وقد حدث له فجأة أن سمع صوتاً يناديه باسمه، ودون أن يرى شخصاً، سمع الصوت كرّة أُخرى ثمّ رأى نوراً ساطعاً، وبعدها رأى شخصاً بصورة آدمية يقترب منه بهدوء وفي يده صحيفة من حرير، وكان ذلك الشّخص هو الملك جبرئيلعليه السلام الّذي عرّف عن نفسه بعد أن طلب إلى النبيﷺ أن يقرأ ما في الصّحيفة الّتي كان قد نشرها أمامه.

اقترب الملك جبرئيلعليه السلام وأمدّ النّبيّﷺ بالنّور الإلهي الّذي أنار روحه وعينيه، ثم قال:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ *

---

١. *المصدر*: خطبة (١٤٧)، المقطع الأخير.

الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ * كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى﴾.[١]

وعندما انتهى الملك جبرئيل عليه السلام من القراءة، قال:

«يا محمد! إنّك أنت رسول الله، وأنا ملكه جبرئيل!».

وهكذا تلّقى محمد صلى الله عليه وآله الأمر بإطلاق الدّعوة إلى التّوحيد.

وعند عودته إلى منزله طلب النبي صلى الله عليه وآله من زوجته خديجة(رض) أن تغطّيه، وبعد أن استجابت لطلبه سألته عمّا به، فأخبرها بكلّ ما حصل له، وبسرور بالغ تلقت خديجة(رض) هذا الخبر الّذي عزّز إيمانها بالله وحده.

وقد سمّي العام الأوّل الّذي تلا نزول الوحي بـ«عام البعثة»، وبعد الآيات الأولى، توالى نزول الوحي على الرّسول صلى الله عليه وآله طيلة حياته بشكل متدرّج، وقد ورد ذكر ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾.[٢]

بعض الآيات ينسخ أو يكمل آيات أُخرى، كما في الآيات الّتي تتحدث عن الوصية، أو عن عدد زوجات الرّسول صلى الله عليه وآله، أو عن تحريم الخمرة،[٣] وما إلى ذلك.

وكانت الآيات تنزل على الرّسول صلى الله عليه وآله في مختلف الظّروف: أثناء نومه، أو سفره على ظهر فرسه أو بغلته أو ناقته، أو حتّى بحضور أشخاص آخرين. كما كان يحدث للوحي أن ينزل عليه في بعض الحالات، فيجعله يتعرّق بغزارة حتّى عندما يكون الطّقس بارداً، أو بشكل كانت تبدو فيه عليه علائم الجهد والإعياء. وكان يخرج من هذه الحالات في وضع من الإنهاك الشّديد.

---

١. العلق: ١ـ٦.

٢. الإنسان: ٢٣.

٣. في البداية، كان النهي عن الصّلاة في حالة السكر، وبعد ذلك خضع الخمر لتحريم أشّد. أي: أن التحريم جاء تدريجياً واتخذ طابعاً تربوياً واضحاً بالنسبة لقوم كانوا حديثي عهد بالخروج من الجاهلية. تكفل الله تعالى بتمكين النبي صلى الله عليه وآله من حفظ القرآن وجمع آياته: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٧].

أمّا الملك جبرئيلعليه السلام، فكان يظهر للنبيّﷺ إمّا بصورة آدميّة وأو بصورته الملائكيّة. وفي الحالة الثّانية، لم تكن رؤيته ممكنة بالنسبة للأشخاص المحيطين بالنبيﷺ.

وكان الرّسولﷺ يحفظ ما يأتي به الوحي بصورة تلقائية، ثمّ يتلوه على أصحابه بالتّرتيب الّذي يعلمه الله، دون أن يكون هذا الترتيب متطابقاً بالضّرورة مع ترتيب نزول الآيات.

وكان معظم الصّحابة يحفظون القرآن عن ظهر قلب، بحيث إنّ جميع الآيات وتسلسل ورودها كان معروفاً تماماً، كما أنّ تلاوة الآيات كانت تتمّ بشكلها الأكثر أصالة ونقاءً، وفوق ذلك كان النّبيّﷺ يأمر في حياته كتّاب الوحي بكتابة القرآن على رقع من البردي، أو جلود الحيوانات أو على قطع من العظم أو الحجر. وبذلك وبغيره حفظ الله كتابه من التّغيير الّذي تكلّم عنه في القرآن.

وقد تّم جمع القرآن في حياة النّبيّﷺ، وكان عدد من الصّحابة يحتفظون بنسخ منه. والأكيد أنّه لم تكن هنالك أي اختلاف بين هذه النّسخ؛ لأنّ الناس كانوا يقرؤون القرآن بالطّريقة نفسها وبالخصوصيات اللغوية والصّوتية ذاتها.

وعلى ذلك يكون القرآن مكّوناً من(١١٤) سورة، يبتدئ بسورة الفاتحة وبعدها سورة البقرة وينتهي بسورة الناس، وتضمّ كلّ واحدة من السّور عدداً من الآيات يتراوح بين ثلاث آيات (كما في سورتي العصر والنصر) ومئتين وست وثمانين آية (كما في سورة البقرة)، وتتوزّع هذه السّور الّتي نزلت في مكّة أو في المدينة على ستين حزباً.

ويعود هذا التّقسيم إلى أحزاب وأثمان وأرباع إلى مسوّغات على صلة بتعلّم القرآن، حيث إنّ كلّ حزب يتضمن عدداً معيناً من الموضوعات

الموزّعة على الأثمان والأرباع، ويتوالى ظهور الأحزاب بحسب توالي السّور دون أن يكون هنالك تطابق بالضّرورة بين الأحزاب والسّور من حيث بداياتها ونهاياتها، والواضح أنّ هذا التّقسيم يسهّل حفظ القرآن وفهمه وتفسيره.

سنّة النّبيﷺ

السنّة: هي مجمل ما ورد عن الرّسولﷺ من قول أو فعل أو تقرير. وقد وصلتنا من مصادر مختلفة، من صحابه الرّسولﷺ وأهل بيته عليهم السلام ومن المؤرخين من المسلمين. بعض هؤلاء المؤرخين عاش بعد قرون من وفاة الرّسولﷺ، وهذا الأمر في أساسه فيه الكثير من التّحفظات حول بعض ما أدلوا به من شهادات حول الرّسولﷺ، خصوصاً وأنّ كثيراً من الأهواء كانت تدفع بعضهم إلى الرّواية بطريقة متحيّزة تصل إلى حدّ تشويه التّاريخ بغرض تبرير وتجميل أفعال هذه الجهة أو تلك، أو حتّى لحساب هذه الجهة أو تلك.

صحيح أنّ هنالك نواة صلبة من الأحاديث الّتي تعتبر صحيحة لورودها في جميع مصنّفات الحديث الأساسيّة، رغم الاختلافات في تفسيراتها. إلاّ أنّ إيجاد الجواب الصّحيح وغير المتحزّب على بعض الأسئلة غالباً ما يتطلّب إجراء دراسة مقارنة ومتأنّية لمختلف الأحاديث، وهذا ما سنحاول الالتزام به في هذا الكتاب.

ونذكر بين مصنفي الحديث الأكثر شهرة كلّاً من البخاري، والطّبري، ومسلم، والسّيوطي، والطّبراني، والحاكم، وابن خلدون، وأبي الفداء، والإمام أحمد ابن حنبل، والإمام الشّافعي، وأبي حنيفة، وغيرهم.

كما نذكر خصوصاً من ورثوا الكتاب والسّنة عن النّبيّﷺ والّذين لانجد عندهم أيّة اختلافات في التّفسير، وهم: الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة الأحد عشر عليهم السلام من ولده وأصحابهم... .

أركان الإسلام

أركان الإسلام خمسة، وهي:

١. شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله؛

٢. الصّلاة؛

٣. الزّكاة؛

٤. صوم شهر رمضان؛

٥. الحجّ لمن استطاع إليه سبيلا.

أمّا في تعاليم أهل بيت النّبيّ ﷺ، فإنّ أسس الدّين هي أُصوله الخمسة، وهي:

١. التّوحيد؛

٢. العدل؛

٣. النبوة؛

٤. الإمامة؛

٥. البعث.

وهم يميّزون بين هذه الأُصول وبين فروع الدّين العشرة، وهي:

١. الصّلاة؛

٢. الصّوم؛

٣. الزّكاة؛

٤. الحجّ؛

٥. الخمس؛

٦. الجهاد؛

٧. الأمر بالمعروف؛

٨. النهي عن المنكر؛

٩. الولاية للنبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام؛

١٠. البراءة من أعداء النّبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام.

هذا، وتعدّ من فروع الدّين كافّة الإجراءات الخاصّة بالمعاملات التّجارية، والزّواج، والقانون الجزائي والحقوقي.

جزيرة العرب، الحدود الجغرافية والسّكان[1]

بلاد العرب، هي شبه جزيرة تقع في غربي آسيا، وتحدّها من الشّمال آسيا الصّغرى وسوريا، ومن الشّرق نهر الفرات والخليج الفارسي، ومن الجنوب بحر العرب، ومن الغرب البحر الأحمر.

وكانت تتكّون في زمن البعثة من ثلاثة أقسام، هي: العربية السّعيدة، أو اليمن السّعيد (المنطقة الخصبة الممتدّة بمحاذاة السّواحل الغربية والجنوبية الغربية) والعربية الصّخرية (المنطقة الصّخرية في الشمال الغربي) والعربية الصّحراوية (المناطق الّداخلية الّتي تغطيها الصّحراء).

وتشتمل المنطقة الأخيرة حاليّاً على معظم الحجاز، واليمن، وحضرموت، وعمان، والمناطق الوسطى، والعراق، والبحرين.

السّكان وديانتهم: يتحدّر العرب من أصلين، هما:

قحطان، وهو أصل العرب العاربة، وعدنان، الّذي يرجع نسبه إلى إسماعيل عليه السلام بن إبراهيم الخليل عليه السلام، وهو أصل العرب المستعربة. وقد عاشت العرب المستعربة حول الكعبة، وينتمي نبيّ الإسلام محمد صلى الله عليه وآله إلى هذا الفرع.

وكان العرب في الأصل موحدّين على دين ابراهيم عليه السلام، ولكنّهم اتخذوا فيما بعد آلهة متعددة إلى حدّ أنّ كلّ قبيلة كان لها ـ عند مبعث النّبيّ صلى الله عليه وآله ـ إلهاً خاصّاً بها، وكانوا ينصبون الأصنام في البيوت وفي الأماكن العامّة، كما

---

١. *تاريخ أزمنة الإسلام الأولى*، للسيد سفدار حسين.

كانوا يرهبونها ويتزلفون إليها بالعبادة والتقديس، وكانت هذه الأصنام على شكل صور من الحجر (مثل: (اللات) إله قبيلة بني ثقيف في الطّائف)، أو بصور آدمية (مثل: (هبل) والصنمين اللذين كان يرمز بهما إلى إبراهيم وإسماعيل، في الكعبة)، أو مجرد قطعة من الحجر (العزّى). وكانوا يعتقدون - ولكن بصورة مبهمة - بوجود إله فوق هذه الآلهة، وهذا الإله هو الله الّذي كانوا يحلفون باسمه ويستشهدونه على معاملاتهم وعقودهم؛ لأنّ الآلهة الّتي كان يقدّسها البعض لم تكن مقدّسة عند البعض الآخر، ولأنّ كلّ قبيلة لم تكن ترضى بتقديم آلهة القبائل الأُخرى على آلهتها الخاصّة.

وخلال هذه الفترة الّتي سبقت بعثة النبي محمدﷺ، كانت الوثنيّة، والحروب القبليّة، ووأد البنات، وغيرذلك من المفاسد سائدة في أنحاء جزيرة العرب، وقد عرفت هذه الفترة باسم «الجاهليّة».

نسب النّبيّﷺ: يرجع نبيّ الإسلام محمدﷺ في نسبه إلى إسماعيلعليه السلام ابن أبي الأنبياء إبراهيمعليه السلام، ويمّر نسبه بعدنان الّذي كان أيضاً من أحفاد إسماعيلعليه السلام، وتمتدّ سلسلة النسب هذه على الشّكل التّالي:

محمدﷺ بن عبد الله، بن عبد المطّلب، بن هاشم بن عبد مناف، بن قصي، بن كلاب، بن مرّة، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر (قريش) بن مالك، بن نزار بن كنانة، بن خزيمة، بن مدركة، بن إياس بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان.

وكان أحفاد فهر (أو قريش) حفيد كنانة يشكّلون حوالي عشرين أُسرة أو فخذاً يعرفون باسم القرشيين أو قريش، وكانت كلّ أُسرة أو فخذ من قريش تتميز عن الأُسر الأُخرى باسم زعيمها.

وعليه عرف أحفاد هاشم (الثامن بعد قريش) باسم بني هاشم، كما عرف أحفاد أُمية (ابن شقيق هاشم التوأم، أي التّاسع بعد قريش) باسم بني أُمية.

وقد ذكرنا هاتين الأُسرتين على وجه التّخصيص لما حصل بينهما من سوابق عداء ستلقي بظلاله على عصور الإسلام الأُولى، حيث إنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله ومن بعده آل بيته عليهم السلام سيعانون طيلة قرون من الخصومة والحسد الّذي كان يكنّه لهم بنو أمية.

أصل الخصومة بين بني هاشم و بني أميّة؟

كان قصيّ ـ جدّ هاشم والحفيد الثّامن لفهر (قريش) ـ زعيماً لمكّة، وبذلك كان له شرف حجابة الكعبة وما يتبع ذلك من أعمال، كسقاية الحجيج والرفادة (إطعامهم) وقيادة الجيوش في زمن الحرب ورئاسة الندوة.[1]

وفيما بعد انتقلت تلك المسؤوليات إلى أحفاده (هاشم، والمطّلب، ونوفل، وعبد شمس) أبناء عبد مناف، وبذلك كانت السّقاية والرّفادة لهاشم، الّذي قام بهما بنجاح يبعث على التّقدير والإعجاب. ثمّ لم تلبث أخبار كرمه وقيامه بحقوق الضّيافة أن طبقت الآفاق في بلاد العرب. كما أنّ نجاحه في مجال التّجارة أضيف إلى صيته الحسن، ما أثار غيرة شقيقه التوأم عبد شمس وابنه أمية. وعلى ذلك انقسم الإخوة الأربعة إلى فريقين متعارضين، ولم تلبث أن دبّت الخصومة بين هاشم والمطّلب من جهة، ونوفل وعبد شمس من الجهة الأُخرى.

وعلى الرّغم من جميع الجهود الّتي بذلت بشكل مكشوف في الغالب بهدف انتزاع الزّعامة من هاشم، فإنّ عبد شمس وأُميّة ظلّا بعيدين ـ رغم ما كانا يتمتعان به من ثراء ـ عن اجتذاب قريش إلى جانبهما. وعلى مرّ الأيام وصل الحسد والحنق بأُمية إلى حدّ منافرة هاشم، وقد كره هاشم ذلك، لسنّه وقدره وموقع القرابة من أُمية، لكن قريشاً أصرّت عليه وألزمته بقبول المنافرة،

---

١. وبالإضافة إلى تلك المسؤوليات كانت هنالك وظائف اُخرى، كحفظ مفاتيح الكعبة وحراستها، وعقد الألوية للجيوش.

وكانت المنافرة عبارة عن تقليد شائع بين العرب في تلك الحقبة، يتمّ فيه التّفاخر بالأمجاد أمام حَكَم يتمّ اختياره لهذه الغاية، وكان على الخاسر أن يتخلى للرّابح عن خمسين ناقة، وأن يهجر مكّة عشر سنين. وكانت النتيجة أن كانت الغلبة لهاشم وأخذ الخمسين ناقة، فنحرها وأطعم الناس ببطن مكّة، وخرج أُمية إلى الشام، وكان ذلك أصل الخصومة بين بني هاشم وبني أمية.

وينبغي الإشارة إلى أنّ منافرة أُخرى قد وقعت فيما بعد بين رجلين آخرين من الحيين المذكورين، هما: عبد المطلب بن هاشم،[1] وحرب بن أمية، ومرّة أُخرى خسرت أُمية الرّهان وجاءت مذلّة حرب وخروجه من مكّة ليكرّس بشكل نهائي حقد الأُمويين ورغبتهم بالثأر من بني هاشم.

وقد حدث للحارث ـ وهو الابن الأكبر لعبد المطلب ـ أن توفي قبل أبيه، وهو الأمر الّذي حدث أيضاً لعبدالله والد محمدﷺ. فقد توفي عبد الله في الخامسة والعشرين من عمره في المدينة، بعد عودته من رحلة تجارية إلى الشّام، وقد هزّ ذلك أباه عبد المطلب، وأحزنه كما هزّ زوجة المتوفى آمنةعليها السلام، والدة محمدﷺ حيث ماتت بدورها بعد فترة وجيزة، رغم عزائها الوحيد بثمرة ذلك الزواج، أي بمحمدﷺ الّذي ولد بعد وفاة أبيه.

وبعد وفاة عبدالمطلبعليه السلام انتقلت السقاية والرّفادة إلى الزبير، أكبر أبنائه. ولكن لم يكن وقتها بين الهاشميين من يتمتع بالقّوة والثّروة اللازمتين للقيام مقام عبد المطلب. وبذلك ـ وبعد فترة وجيزة اضطلع خلالها بهذه المهمّة كلّ من الزبير، وأبي طالب، والعباس ـ انتقلت حجابة الكعبة إلى أيدي الأُمويين، ولم يحتفظ العباس بأكثر من وظيفة السّقاية من بئر زمزم. وبعد خمسين عاماً

---

١. كان اسم عبدالمطلب «شيبة الحمد». وكان عند وفاة أبيه صغير السّن فكفله عمّه المطّلب. ولم يكن أهل مكة يعرفون من يكون بالنسبة للمطّلب، فظنوا أنّه عبده ولقبوه بـ«عبدالمطّلب». وكان يعيش قبل ذلك في كنف والدته بيثرب.

على ذلك ظهر الإسلام، وقام النّبيّ بإقرار هـذه الوظيفـة لعمّـه العبـاس، ولعقبـه من بعده.

الحج: يعود السّبب في شهرة مكّة ـ أهمّ مدن الحجاز ـ إلـى الكعبـة وإلـى كونها المكان الّذي ولد فيه محمدﷺ. وهي إحدى أقدم المدن في التّأريخ، إذا لم نقل بأنّها أقدمها على الإطلاق. أمّـا المدينـة الثّانيـة فـي الحجـاز فكانـت «يثرب» الّتي تحوّلت إلى «المدينة» واشتهرت؛ بعد هجـرة الرّسـولﷺ إليـهـا ودفنه فيها.

وكانت الكعبة مكانـاً يجتمـع فيـه العـرب منـذ عـصر إبـراهيمعليه السلام وولـده إسماعيلعليه السلام اللذين قاما برفع قواعد البيت، وقد أطلقت أوّل دعوة للحجّ إليها من قبل إبراهيم نفسه، ومنذ ذلك الحين يتوافـد النّـاس إليهـا سنويّاً مـن جميـع أنحاء جزيرة العرب ومن البلدان المجاورة؛ لأداء فريضة الحج.

وهنالك أدلّة عديدة يقدّمها لنا القرآن، وأدلّة يمكننا أن نلاحظها بأنفسنا[١]، وكلّها يسمح بالنظر إلـى الكعبـة باعتبارهـا مكانـاً مميّـزاً، أو منطقـة ذات طاقـة كونية قوية على ما قد يقوله رجال العلم.

ولا تزال فريـضة الحـجّ إلـى الكعبـة قائمـة فـي أيامنـا. فالكعبـة هـي قبلـة المسلمين ومكان نموذجي يتعبّد فيه كـلّ أفـراد الأُمّـة الإسـلاميّة. وهـذا الأمـر يشكلّ واحداً من دلائل عديدة على استمرارية العلاقـة بـين الله والإنـسان مـن خلال الوحي إلى الرّسل، وهو الوحي الّذي بـدأ مـع الإنـسان الأوّل، آدمعليه السلام. وبذلك تكون نقطة البداية في الإسلام متطابقة مع نقطة بداية الخليقة.

---

١. معجزة بئر زمزم (اكتشافها وكون مائها لا يغيض ولا ينقص رغم شدّة الطلب عليه من الحجاج وأهل مكّة، وفساد مياه الآبار الموجودة في الجوار) والحجر الأسود ومقام إبراهيم، وطيران الحمام حول الكعبة لا فوقها، كل ذلك يثبت أنّ الكعبة هي منطقة تتمتع بطاقة عليا في الكون.

ويدعونا الله إلى أداء هذه الفريضة من خلال آيات، منها:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ * فِيهِ آياتٌ بَيِنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِي عَنِ الْعَالَمِينَ﴾.[١]

والحجّ المقصود هنا هو «الحجّ الأكبر» الّذي يقع في شهر ذي الحجة من التّقويم الهجري القمري، وهو واجب على كلّ مسلم ومسلمة، اللهم إلاّ في حال وجود مانع شرعيّ. ويتخلّله الوقوف في عرفات الواقع على بعد حوالي خمسة عشر كيلومتراً من مكّة.

وهنالك حجّ آخر يعرف باسم الحجّ الأصغر، وهو العمرة المفردة، ويمكن أداء العمرة في كلّ وقت من أوقات السّنة، ولكن مع أفضلية لشهر رجب وهو يلي الحجّ في الفضل.

---

١. آل عمران: ٩٦ و ٩٧.

٢

الإمامة

السّلطة وأسس انتقال السّلطة في الإسلام

١. خلافة[١] الإنسان على الأرض، بالرّجوع إلى النصّ

أ) الخلافة

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.[٢]

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ...﴾.[٣]

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَينَ أَنْ يحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ

---

١. من الواضح أنّ استعمال كلمة «خلافة» هو تعبير رمزي؛ لأنّ الله تعالى دائم الحضور.

٢. البقرة: ٣٠ ـ ٣٣.

٣. فاطر: ٣٩.

مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾.[١]

هذه الآيات، وغيرها كثير[٢] تفيدنا بأنّ الله قد كرم الجنس البشري ممّثلاً بآدم عليه السلام عندما كلّفه القيام بأمر العالم كلّه وبتدبير شؤون الإنسان وقيادة البشرية على طريق خلافة الله. من هنا تكون الخلافة في الإسلام هي السّلطة الّتي منحها الله لجماعة البشر (الأمة) لتحكم العالم بموجبها؛ ولتديره وتعمّره في المجالات الإجتماعيّة والمادّيّة والرّوحية.

هذا النّوع من التّمثيل، أي الخلافة، يختلف، بما هو مبدأ يتم انطلاقاً منه حكم الأُمة الإسلامية، عن التّمثيل الّذي نجده في النظم الدّيموقراطية الغربية الّتي تعتمد التّوافق لتبرير قرار مّا حتّى ولو كان يضرّ بمصلحة الجماعة أو بمصلحة شطر من الجماعة، خلافاً لما عليه الحال في قواعد الحكم في الأُمة الإسلاميّة المرتكز إلى التّفويض الإلهي، أي إلى قدر أكبر من الإحساس بالمسؤوليّة والعدل، وهو الأمر الّذي ينجم عنه رفض التّسلط والطّغيان، والاستغلال والاضطهاد.

ولا بدّ هنا من ملاحظة ضرورية حيث إنّ العديد من الكّتاب المسلمين يعتقدون بأنّه لا بديل بالنّسبة لـ «المستضعفين في الأرض» ـ ممّن يتعرضون للاضطهاد من قبل الطغاة ـ عن استخدام كلّ الوسائل، أي بما فيها القوّة؛ لتغيير أوضاعهم أو للهجرة إلى مكان آخر. ولكن لنورد أوّلاً الآية الّتي يصلون إلى هذا الحل إنطلاقاً من تفسيرها:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا *

---

١. الأحزاب: ٧٢.

٢. راجع: مثلاً، الآية ٦٩ من سورة الأعراف؛ والآية ٢٥ من سورة ص.

إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾.[١]

فالآية لا تكتفي بتبيان وجود استثناءات على القاعدة، بل إنّها تؤكّد على أنّ ما نربحه من الهجرة ينبغي أن يكون أكبر ممّا نخسره، لأنّه من الصّعب ـ بل من المستحيل ـ أن نجد في أيامنا أنموذجاً من الحكم الإسلامي لا تشوبه أيّة شائبة. وفوق ذلك هنالك بين الوسائل المتاحة ما هو أكثر نفعاً وأثراً وعمقاً على المدى البعيد، من اللجوء إلى القوّة. ويتمثل ذلك بخوض معركة فكريّة من خلال الكتابة والندوات والنقاشات وتثقيف الشّبيبة، أي بكلمة واحدة، بالتّثقيف الجماهيري في مجال العمل الإسلامي.

ولإنهاء هذه الملاحظة، لا بدّ من مراعاة حقيقتين بسيطتين تفرضان نفسهما بقوّة، وهاتان الحقيقتان هما:

أولاً: أنّ الإنسان يمكنه في الغالب أن يكون أكثر فائدة للقضية عندما يكون حيّاً ممّا لو كان شهيداً.

وثانياً: أنّ الأمور تجد دائماً طريقها نحو الحلّ الأمثل.

وبما أنّ آدم كان الممثّل الأوّل لهذه الخلافة، فقد سجدت له الملائكة، وخضعت له جميع القوى في عالمي الغيب والشّهادة، وبذلك كان على الإنسان أن يحمل الأمانة بكُلّ ما فيها من مشقة حتّى أثبت تفوقه على قوى الطّبيعة، رغم تمتعه بما وهبه الله من حرية في الاختيار بين الخير والشر: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[٢] والأكيد أنّ عدم الثّبات في السّلوك البشري هو الّذي دفع تشكيك الملائكة بشأن مسألة الخلافة. ومع ذلك فإنّ الله ـ وهو أعلم بما يفعل ـ علّم آدم الأسماء كلّها ليبين لهم بذلك أنّه يخضع

---

١. النساء: ٩٧ و ٩٨.

٢. الإنسان: ٣.

الإنسان لقانون هو غير الحتمية الآليّة الّتي تحكم حركة الكون من أصغر الذّرات إلى أكبر الأجرام السّماوية.

هذا القانون الّذي يأتي كقانون مكمّل لقانون الخلافة والّذي يتكفّل بتعليم الخليفة وتوجيهه على ضوء نصّ منزّل هو قانون الشّهادة. وهذه الشّهادة تتجسّد بشاهد يرسله الله بـ «الهدى» ليبعد الناس عن الضّلال. وقد ورد ذكر ذلك في الآيات التّالية وفي أيات أُخرى كثيرة.[١]

ب) الشّهادة

اعتبارات عامة

قال الله تعالى: ﴿**قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾.[٢]

و قال الله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا...**﴾.[٣]

و قال الله تعالى: ﴿**... وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾.[٤]

و قال الله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ...**﴾.[٥]

والحق أنّ الله يعلم جيداً طبيعة مخلوقاته:

---

١. راجع: الآية (٤١) من سورة النساء، والآية (٨٩) من سورة النحل، والآية (٢٢) من سورة الحج، والآية (٦٩) من سورة الزمر.

٢. البقرة: ٣٨.

٣. البقرة: ١٤٣.

٤. المائده: ١١٧.

٥. المائده: ٤٤.

و قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾.[1]

و قال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾.[2]

ومع ذلك عهد إليه بالأمانة وحدّد له أهدافاً عليا تتمثل ببناء مجتمع التّوحيد الإلهي، وكان لا بدّ من أن يوفر له الوسائل اللازمة لتنفيذ هذه المهمّة دون أن يضلّ طريقه. لذا اختطّ سبحانه خطّ الشّهادة بالموازاة مع خطّ الخلافة بهدف حفظ الإنسان ـ الخليفة من الانحراف في مسيرته مظهراً بذلك، مرة أُخرى، كلّ ما يحمله من محبّة لمخلوقاته من البشر.

وتظهر لنا الآية ﷺ من سورة المائدة، وجود ثلاث فئات من الشّهداء:

ـ الأنبياء

ـ الشّهداء الإلهيون المتمثّلون بالأئمة

ـ الفقهاء المتمثّلون بالعلماء

ولهذه الفئات الثلاث من الشّهداء وظائف مشتركة، ولكن دور كلّ منها يختلف عن دور الأُخرى، فالواقع أنّ الوظيفة الأساسية لكلّ شاهد، وهو مرجع فكري وتشريعي (عالم وقاضٍ)، هي قيادة مسيرة الأُمة بالشّكل الّذي يضمن انسجامها مع الرّسالة الإلهية المؤتمن عليها.

الأنبياء، من المهمّ في البداية أن نميّز بين فئتين من الأنبياء:

ـ الأنبياء الّذين يرسلهم الله. والرّسل، جمع «رسول»[3] والّذين يتلقّون الرسالة، ويتوجب عليهم فوق ذلك أن يقوموا بإبلاغها، وأن يتولّوا أمر قيادة الأُمة، وهم خمسة، فقط جاؤوا بشرائع جديدة، وهم أُولو العزم.

---

١. ق: ١٦.

٢. المؤمنون: ١١٥.

٣. يقال بأنّ الله أرسل (٣١٣) رسولاً. راجع: *نور الثقلين*: ٤ / ٥٢٧، ح١١٨.

ـ الأنبياء الّذين جاؤوا برسالة دون أن يكلّفوا بنشرها.

ويقال بأنّ (١٢٤) ألف نبيّ قد أرسلوا بدأً بآدمعليه السلام وانتهاءً بمحمدﷺ.

أمّا أولو العزم الخمسة فهم:

النّبيّ نوحعليه السلام

النّبيّ إبراهيمعليه السلام

النّبيّ موسىعليه السلام

النّبيّ عيسىعليه السلام

النّبيّ محمّدﷺ.

واليهود، هم: أتباع النبي موسىعليه السلام، أمّا المسيحيون، فهم: أتباع النبي عيسىعليه السلام، وأمّا المسلمون، هم: أتباع النبي محمدﷺ.

أمّا ماذا أُنزل على كلّ منهم، فنذكر أنّ الصحف أُنزلت على كلّ من نوحعليه السلام وإبراهيمعليه السلام، وأنّ التّوراة أنزلت على موسىعليه السلام، والزّبور أُنزل على داوُدعليه السلام، والإنجيل أُنزل على عيسىعليه السلام، والقرآن أُنزل على محمدﷺ، وهو قد نسخ الكتب السّابقة، والإسلام ينسخ الأديان السّابقة.

ويمكننا الآن أن نتساءل عن وظيفة الأنبياء، طالما أنّهم غير مكلّفين بوظيفة قيادة الأمة. ولا بدّ للإجابة من أن نعلم بأنّ الله يخلق ما يشاء دون أن يكون عليه أن يقدّم حساباً لأحد. ومن جهة أُخرى، فإنّ وجود إنسان طاهر يسهم ـ بشكل تلقائي على الأقل ـ في رفع مستوى الوعي الفردي والجماعي، أي بكلّ بساطة، في تطهير محيطه البشري.

وسنتكلم فيما يلي عن الرّسل وأن كان الكلام يتعلّق أيضاً بالأنبياء في حال اضطلاعهم بمهمّة القيادة.

فالنّبيّ يختاره الله ليلقي إليه بوحيه لكي يتمكّن من تربية الأُمة، عبر إبعادها عن مواطن الضّعف الناشئة عن الجاهلية، وليرفعها إلى مستوى القيام

بدور الخلافة. وبهذا المعنى بالذّات فرض الله، بوصفه أكبر المربين، على نبيّ الإسلام ﷺ أن يستشير أفراد أُمته حول شؤون الدّولة كطريقة لإعانتهم على إدراك مسؤولياتهم تجاه الخلافة، قال الله تعالى:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾.[١]

وقد حدّد القرآن دور النّبيّ في عدّة مواضع:

﴿... فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ...﴾.[٢]

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا...﴾.[٣]

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.[٤]

﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾.[٥]

﴿... وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.[٦]

---

١. آل عمران: ١٥٩.

٢. البقرة: ٢١٣.

٣. المائده: ٤٨.

٤. الجمعة: ٢.

٥. الزخرف: ٢٣.

٦. الأعراف: ١٥٧.

مسؤولية النّبيّ ﷺ إذن واسعة جدّاً؛ إذ ليس عليه أن يدير شؤون الدّولة بطريقة متميزة وحسب، بل عليه أيضاً أن يوجّه النّاس وأن يقودهم إلى الطّريق الصّحيح، فهو يمسك بالسّلطات الزّمنية والرّوحية ويمارسها على أفضل وجه.

إنّ الدّور الّذي يضطلع به النّبيّ يستتبع عصمته الضّرورية الّتي ذكر شرفها في آيات[1] عديدة من القرآن، وللأسف فإنّ بعض أبناء ديننا ممّن سقطوا ضحية الملابسات والمصالح، الّتي غالباً ما تتجاوز حدود علمهم يسعون إلى نفي العصمة عن نبي الإسلام ﷺ، وسنعود إلى البحث في هذه النقطة لاحقاً إن شاء الله.

الأئمة

بما أنّ بناء مجتمع التّوحيد الإلهي هو عمل على المدى البعيد، فإنّ حياة الأنبياء ـ وهي قصيرة في العادة بالقياس إلى الزّمن الّذي يتطلبه تنفيذ المهمّة ـ لا تكفي لبلوغ الغاية، لكن كلّ واحد منهم ـ سواء كان نبيّاً أم رسولاً ـ يسهم بقسط من العمل في خدمة المشروع.

وقد شاء الله أن يحفظ رسالته حيث يقول عن نبيّ الإسلام ﷺ وعن غيره من الأنبياء عليهم السلام:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[2]

على ذلك يكون الله قد عيّن خلفاء لرسله هم بشر متميّزون كالأنبياء عليهم السلام. فالواضح أنّ إنساناً يتحلّى بخصائص النّبيّ ﷺ هو وحده من يستطيع في خلافته ممارسة السّلطتين الزّمنية والرّوحيّة بهدف تأمين استمرار حركة

---

١. راجع: الفصل المتعلّق بالعصمة.

٢. آل عمران: ١٤٤.

الإسلام، وهؤلاء الخلفاء المعيّنون من قبل الله نفسه هم الأئمةعليهم السلام.

وإذا كان بعض القادة المسلمين قد أخفقوا بعد وفاة الرّسولصلى الله عليه وآله واعترفوا بإخفاقهم؛ فلأنّهم استلموا السّلطة دون أن يتوفّروا على البعدين المتلازمين المذكورين أعلاه، وقد كان جهلهم بأحكام الدّين مبني على أساس انحرافات خطيرة.

وبما أنّ الإمام هو الوصي على الرّسالة فإنّه يمسك ويمارس سلطات إلهيّة، ولكن دون أن يأتي برسالة جديدة أو بدين جديد، وفي ذلك يقول الله عزّوجل:

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يهْدُونَ[1] بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يوقِنُونَ﴾.[2]

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَينَا إِلَيهِمْ فِعْلَ الْخَيرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾.[3]

﴿يوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ...﴾.[4]

﴿يوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِي كِتَابَهُ بِيمِينِهِ فَأُولَئِكَ يقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾.[5]

﴿وَلَقَدْ آتَينَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ * وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يوقِنُونَ﴾.[6]

---

١. المقصود بالهداية هنا، هي: الهداية الداخلية للأنفس والتي تختص بحفظ الجانب التكويني، لا تلك التي تختص بالشريعة؛ لأنّ الهداية الخارجية هي مسؤولية كل مسلم وفقاً لما يأمر به الشرع.

٢. السجدة: ٢٤.

٣. الأنبياء: ٧٣.

٤. الإسراء: ٧١.

٥. الأنبياء: ٧٢ و ٧٣.

٦. السجدة: ٢٣ و ٢٤.

والإمام هو كالنبيّ خليفة وشاهد، وبما أنّه خليفة النّبيّ فهو معصوم؛ لأنّه القطب الّذي يلتقي عنده خطّا الخلافة والشّهادة، وهو بذلك يقود عمليّة التّغيير دون أن يكون موضوعاً للتّغيير؛ لأنّه لم يسبق له مطلقاً أن تأثّر بمعايير الجاهليّة الّتي يحاربها، وبما أنّه خلي من كلّ خطيئة حاضرة أو سالفة فهو معصوم من قبل الله عن الخطأ وراسخ في العلم النبوي،، أي في العلم وفي المعرفة اللذين يسمحان له بتدبير شؤون الأُمة.

المراجع

العالم أو المرجع يتمّ تعيينه من قبل الجماعة بعد أن يكون قد بذل جهداً مكثّفاً في التّعرف على الإسلام، وفي حيازة مستوى من التّقوى لا تشوبه شائبة. أمّا المرجعيّة، أي وظيفة المرجع، فهي تكليف إلهي في حين إنّها تتجسّد عملياً في شخص معيّن هو من اختصاص الأُمة.

ومن البديهي أنّ صفات العدل والتّقوى والعلم الّتي يمتلكها المرجع، والّتي تمت حيازتها بعد جهاد مرير لا يمكنها أن تكون موضوعاً يتمّ منحه أو توريثه، كما جرت عليه الأمور للأسف في أغلب الأحيان، حيث نجد أنّ بعض المتحدرين من كبار المشايخ ينتحلون ذلك، خصوصاً في إفريقيا السّوداء وفي مناطق أُخرى من العالم الإسلامي.

ويظلّ دور المرجع مهمّاً في حال وجود الإمام أو عدم وجوده على السواء. فهو امتداد بين النّاس للأنبياء وللأئمة ليعرفهم على تعاليم الكتاب الكريم وتوجيهاته بفضل المدارس والحوزات الّتي يسهم بتأسيسها وتطويرها ورفع مستواها. وعندما يغيب الإمامعليه السلام كما هو الحال في عصرنا هذا، يضطلع المراجع بالمهمّة الصّعبة المتمثّلة في كونهم الشّهداء الّذين يسرّهم الله لقيادتنا المباشرة، في حين يواصل الإمامعليه السلام عمله في الهداية الّداخلية بانتظار اللحظة المناسبة للقيام بذلك العمل بكلّ أبعاده.

الفروقات بين الشّهداء: الفرق الكبيرالأوّل بين الأنبياء والأئمة من جهة، ثمّ بينهم وبين المراجع من جهة ثانية: هو أنّ الأنبياء والأئمة معصومون؛ ليقوموا بدورهم كخلفاء على أكمل وجه، وليكونوا أيضاً نقطة الالتقاء بين خطي الخلافة والشّهادة، في حين أنّ على المراجع أن يكونوا عدولاً إلى الحدّ الأقصى، ولكن من غير أن يكونوا معصومين بسبب حاجتهم هم أنفسهم إلى شهداء:

﴿... لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ...﴾.[١]

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا...﴾.[٢]

إنّ هذا الفرق لجهة الوقوع أو عدم الوقوع في الخطأ هو ما يحدّد موقف المسلم من مختلف فئات الشهداء: عليه أن يكون مسلّماً (أي مطيعاً) للأنبياء والأئمة ومقلّداً للمرجع.

ومن البديهي أنّ الأُمة تحتاج إلى من يقودها، وعندما يكون الإمام غائباً بجسده ـ كما هو الحال في عصرنا ـ يكون المراجع هم الموكلون بالقيادة كممثلين لخط الإمامة العامة. ولهذا يتوجّب علينا أن يخرج لهم خمس أرباح المكاسب كحق للرّسول وأهل بيته (صلوات الله عليهم)، وهو الأمر الّذي تنصّ عليه الآية الحادية والأربعون من سورة الأنفال. وهذا المال يستخدم في مساعدة المعوزين وفي الإسهام بنشر أنوار الإسلام، من خلال التّعليم وكلّ ما يشجّع التّعليم وغير ذلك.

الفرق الثّاني بين فئات الشهداء يكمن في طريقة تعيينهم وخلافتهم بعد وفاتهم. فبالنّسبة للمراجع فإنّ خطهم مرسوم من قبل الله، ولكن تعيينهم يتمّ

---

١. الحج: ٧٨.
٢. البقرة: ١٤٣.

بشكل واع من قبل الأمة. أمّا بالنّسبة للأنبياء فإنّهم يعرفون من خلال ما يقومون به من معجزات[١] ومن خلال الرّسالة الّتي تتنزّل عليهم، في حين أنّنا نتعرّف على الأئمة من خلال الدّلالة عليهم، من قبل الأنبياء، أو من قبل أئمة آخرين، أو من خلال الأدلّة القاطعة البيّنة.

٢. أولو الأمر في الإسلام

أ) العلم

من المعروف بوجه عام أنّ الأعمال السّيئة غالباً ما تأتي بنتيجة للجهل، إذ كلّما ازداد العلم كلّما قلّ التّعرض لخطر الوقوع في المعصية أو العمل السيء. ويكفينا العدد الكبير من الفضائح السّياسية الّتي يعقبها سقوط سياسيين بارزين في دولنا الحديثة الّتي تريد لنفسها أن تكون علمانية! ـ في حين أنّها زمنية ماديّة ـ لنعرف ما الّذي كان سيحدث فيما لو كان هنالك مجتمع يسعى لتحقيق مشروع إلهي لا يتساهل مع أيّ خطأ يتم اقترافه. ومن هنا بالذّات نفهم السّبب الّذي يفترض من أجله أن يكون الإمام قريباً من منزلة الكمال.

وكلّ ما قلناه هنا بصدد الأنبياء والأئمة حول موضوع السّلطة وممارستها في الإسلام، يستند إلى آيات قرآنية منها:

﴿يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾.[٢]

وبموجب هذه الآية، فإنّ أُولي الأمر في الإسلام، هم: الله (عزّوجلّ)

---

١. كلّ نبي جاء بمعجزات تتناسب مع مستوى تطوّر الفنون والآداب والعلوم في عصره. وقد جاء نبيالإسلامﷺ بمعجزات كثيرة أهمّها القرآن الّذي تشتمل تأثيراته على جميع العصور والّذي يشكل روعة المعجزات بكلّ معنى الكلمة.

٢. النساء: ٥٩.

نفسه، ورسولهﷺ وأولو الأمرعليهم السلام، وعليه فإنّ طاعة أُولى الأمر هي طاعة الله وطاعة رسولهﷺ، كما أنّه من غير الممكن لمثل هؤلاء القادة أن يقعوا في الخطأ، أو أن يسمحوا بالوقوع فيه أو أن يقبلوا بحكم الطّغاة والجهلة والخاطئين، وإلاّ فإنّهم يدفعوننا بذلك إلى معصية الله.

وهنا يبدو بشكل واضح أنّ الإسلام يتطلب، لا بل يفرض بكلّ قوّة أن يكون أُولو الأمر أشخاصاً معصومين، أي أئمة أو خلفاء يؤازرهم في هذه الحالة، عن كثب وبشكل لا هوادة فيه، إمام يبعدهم عن الخطأ بفضل ما هو عليه من الهدى، بشكل يكفل الحضور الدائم والمشترك لخطي الخلافة والإمامة.

وقد أثبت لنا التّأريخ أنّه في الفترات الّتي لم يكن فيها الإمام خليفة، وخصوصاً في الفترات الّتي لم يكن فيها الخليفة مطيعاً للإمام بشكل كامل، كان هنالك ابتعاد متزايد عن سبيل الله.

مثال بسيط على ضرورة العصمة ـ مع فارق القياس والتّشبيه ـ يمكن أن نجده في محيطنا المباشر أو غير المباشر، في إطار أيّة مؤسسة أو مكتب، أيّ في إطار أيّ نظام تراتبي: فالعامل أو المستخدم عليه أن يطيع مسؤوله المباشر أومدير المؤسسة. فإذا حدث له أن اقترف خطأً عند تنفيذه بشكل دقيق لأمر صادر عن مسؤوله المباشر أو عن مدير المؤسسة ـ حتى ولو كان مديرها العام ـ فإنّ القانون الوضعي ينصّ على معاقبة ذلك الموظّف والمسؤول الّذي أصدر الأمر كلّاً بحسب درجة مسؤوليته، ولكن غالباً ما يكون من غير الممكن إثبات مسؤولية الجهة الّتي أصدرت الأمر، فتقع التبعة بكاملها ظلماً على عاتق الموظف منفذ الأمر. هذا مثال على الظّلم الصّارخ والكثير الحدوث الّذي يمارس في ظلّ عدالة البشر، حيث يكون المراجع أو المرجع الأكبر في مجال العدالة أو الحكم هو نفسه ظالماً، في حين إنّ المرجع المعصوم في الإسلام هو الله ورسولهﷺ من خلال حافظ الوحي أي الإمام.

وأخيراً سنعزز قناعاتنا من خلال هذا الحديث الّذي قام عليه الإجماع:

«من سنّ سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها غير منتقص من أجورهم شيئاً، ومن سنّ سنّة سيّئة فله وزرها ووزر من عمل بها غير منتقص من أوزارهم شيئاً»[١]

ب) اختيار خلفاء الرّسول

يبيّن لنا تاريخ سلالات الرّسل، أنّ خليفة رسول الله يختاره الله تعالى عادة من بين أبنائه أو أقربائه، ممّن ولدوا في بيته ولم يتربّوا إلاّ على يديه، وقبل بعثة النّبيّ محمدﷺ، حدث لمرات عديدة أن اختار الله خلفاء رسله من نسلهم، وفي ذلك يقول تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.[٢]

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.[٣]

فالبارز في هذا المقام هو التنشئة والتربية اللتان لا تتمتع القرابة بدونهما بأيّة قيمة في المنظور الإلهي. والدّليل على ذلك نجده في الآية التّالية:

﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.[٤]

لا يكفي إذن أن يكون المرء ابن نبيّ أو قريباً له ليكون إماماً، فالله يختار من يريد لذلك وفي أيّ وقت يريد ذلك.

---

١. *سنن النسائي*: ٥ /٧٧.

٢. الحديد: ٢٦.

٣. الأنعام: ٨٤.

٤. البقرة: ١٢٤.

وعليه كان لا بدّ لنبيّ الإسلامﷺ أن يحترم هذه السُّنة الإلهيّة؛ لأنّ الله يؤكّد في القرآن أنّه لا يغيّر السُّنن الّتي وضعها بينه وبين عباده:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يكُ مُغَيرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يغَيرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.[1]

ويمكننا أن نعرض لبعض الأمثلة الّتي توضّح هذه السُّنة الّتي تكمن، بالنّسبة للأنبياء، في استخلافهم أحد بنيهم أو أقربائهم:

ـ آدمعليه السلام، وهو أوّل رعاة الأنفس، استخلف ولده شيثاً(عليه السلام) حيث قال عنه: «هذا أفضل من أتركه بعدي من ولدي».[2]

ـ نوحعليه السلام خلفه ولده سام(عليه السلام) بأمر من الله.

ـ عين الله يوشععليه السلام خليفة لموسىعليه السلام.

ـ آصف بن برخياعليه السلام تابع القيام بالعمل الإلهي الذي كان يقوم به سليمانعليه السلام.

ـ أفضل الناس بعد عيسىعليه السلام كان شمعون الصّفاعليه السلام.

ـ ومن جهته قال نبيّ الإسلامﷺ عن عليعليه السلام:

«من كنت مولاه فهذا علي مولاه»، على ما ترويه الأحاديث الصّحيحة المروية عن النّبيﷺ والّتي تعترف بها جميع الفرق الإسلاميّة.

من جهة أُخرى، فإنّ الموقع الزّمني الخاص لنبيّ الإسلامﷺ في سلسلة الرّسل، والحرص على أن تكون للبشر سلسلة من القادة بعد آخر الرّسل، هما بين أسباب أُخرى لا يعلمها إلاّ الله وحده، في أساس الموقع المتميز الّذي أعطاه الله نفسه لأحفاد محمدﷺ: أهل البيت، أو أهل الذّكر، أو أصحاب الكساء

---

١. الأنفال: ٥٣.

٢. رواه سلمان الفارسي، صاحب رسول اللهﷺ، وذكره القندوزي في كتابه *ينابيع المودة*: ٢٩٧/٢، ح٨٤٩.

الّذي تلقّى النّبيّﷺ الوحي ذات مرة بعد أن تغطّى به مع عليعليه السلام وفاطمةعليها السلام والحسنعليه السلام والحسينعليه السلام،[١] وهذا ما سيكون موضوع بحثنا التالي:

آل النبي الأطهارعليهم السلام

١. مبادئ عامّة

يُجمع المسلمون على الأُمور التالية:

القرآن: هو كلام الله المعجز والّذي لا يتغير.

لا يمكن أن نضيف إليه أو نحذف منه أيّ حرف.

واجبنا المطلق هو احترام تعاليم القرآن، والالتزام الدّقيق بما فيه من الأوامر والنّواهي.

القرآن فسّر من قبل النّبيّﷺ نفسه، حيث شرحه لتسهيل فهمه من قبل أُمته.

إذا كان هنالك اختلاف بين المسلمين فهو فقط في الإجابة على السّؤال التالي: من هي الجهة الّتي علينا أن نلتمس عندها التّفسير الصحيح؟

سنحاول البحث عن تلك الإجابة في القرآن الكريم، الّذي حسم الأمر في هذا المجال، كما في مجالات أُخرى كثيرة بشكل واضح ونهائي.

هل يمكننا وفقاً لمشيئة أغراض دنيوية خسيسة ـ يمكن أن تكون هنالك أسباب أُخرى للجهل وللرّفض الجاهلي للتّغيير ـ أن نؤمن تارة بالقرآن ولانؤمن به تارة أُخرى؟ مع اعترافنا بأنّه كلام الله تعالي، وهو والحقيقة المطلقة دون شكّ؟ بالطبع لا! والعياذ بالله من هذا الزلل!

لننظر الآن في الأدلّة الّتي لا مجال لدحضها والّتي يقدمها لنا كلام الله. سنعرض عليكم اثنتي عشرة آية قرآنية، وسنحاول شرحها على ضوء عدد من الأحاديث المعترف بصحتها من قبل الغالبيّة السّاحقة من المسلمين على

---

١. راجع: *مسند أحمد*: ٢٩٢/٦؛ *سنن الترمذي*: ٣١/٥، ح٣٢٥٩.

اختلاف توجهاتهم. تلك الآيات أدلّة تشهد بأنّ الله ترك لنا شيئين بهدف مساعدتنا على سلوك السبيل المفضي إلى الكمال، وهما: كتاب الله والعترة النبوية المطهرة، آل بيت محمدﷺ، وبيّنهم بوجه خاص أوّل الأئمة من بعده والمنصوص عليه من الله بالطّبع، علي بن أبي طالبعليه السلام.

وفيما يلي نبذة تأريخيّة موجزة عن علاقات القرابة بينهما:

والد الإمام عليعليه السلام هو أبوطالب، وهو عمّ النّبيّﷺ، وهو الّذي كفله وربّاه وميّزه على العدد الكبير من أبنائه. وفيما بعد كفل النّبيّﷺ ابن عمه الصّغير علياً، الّذي لم يكن تبعاً لذلك جاهليّاً أي: لم يشرك بربه من قبل ولم يعبد صنماً[1] على الإطلاق، ثمّ زوجه بأمر من الله تعالى من ابنته فاطمةعليها السلام الّتي كان يكنّ لها أعمق الحبّ. وكان الإمام عليعليه السلام في الثامنة من عمره عندما نزل الوحي للمرة الأُولى على رسول اللهﷺ ليلة يوم الإثنين، وهو بعمر الأربعين، وقد صدّق به الإمام عليعليه السلام صبيحة اليوم التّالي ليكون بذلك أوّل المسلمين.

٢. الأدلّة

أ) فيما يخصّ أهل البيتعليهم السلام

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.[2]

تقدّم هذه الآية على اختصارها دليلاً في غاية الأهميّة لكلّ من قرأ القرآن الكريم ولو لمرة واحدة. فنحن نلاحظ سريعاً أنّ كتاب الله لا يعرض على الدّوام لتفاصيل تنفيذ فرائضه، بل يكتفي في الغالب ببيان المبادئ الكبرى الّتي تحكمها، أيّ أنّه يركّز عموماً على المضمون لا على الشّكل، وذلك يشبه نوعاً ما بالبذرة

---

١. لمزيد من التفاصيل، انظر الفقرة الخاصة بحياة الإمام عليعليه السلام.
٢. النّحل: ٤٣.

الّتي تحتوي على الشّجرة دون أن تحتوي ـ عندما تصل إلى حالة نموّها النهائي ـ على جميع عناصرها المكوّنة كالأوراق والأغصان والجذع والجذور.

ولا شكّ بأنّ السّنة النّبويّة تسمح لنا عن طريق الأحاديث بأن نفهم ما هو أساسي في القرآن، غير أنّنا نجد في النّهاية أنّ آيات كثيرة ترد بشأنها تفسيرات مختلفة أو متناقضة، ونجد الأمر نفسه في بعض المواقف الّتي يعيشها البشر مع التّطور في الزّمان ويحتاجون فيها إلى الاستضاءة بنور القرآن. ويأتي علم التّفسير ليستجيب لتلك الحاجة بشكل ملائم.

إنّ الله الّذي لا يفرّط في شيء والّذي يقدر دائماً كلّ شيء، عيّن من بين البشر الّذين اختصهم بالتميّز، ولأجل هؤلاء البشر، «أهل الذكر» أو «أهل البيت» أو «أهل الكساء» الّذين ينبغي لنا أن نتوجّه إليهم طلباً للعلم. فهؤلاء هم «الرّاسخون في العلم» والذين استوعبوا بشكل كامل قيم المعرفة الّتي ينادون بها، لأنّ الله (تعالى) نفسه هو من آتاهم تلك المعرفة بالمعنى الحقيقي للكلمة.

إنّ العالم الإسلامي كلّه يقرّ من النّاحية العمليّة، بهوية «أهل البيت» أو «أهل الذكر»، إنّهم النّبيّﷺ وعليعليه السلام و"فاطمة"عليها السلام والحسنعليه السلام والحسينعليه السلام. أمّا القلّة القليلة جداً من الأشخاص الّذين لا يقرّون بهذه المسألة البديهيّة ـ انظر آية «التّطهير من الرّجس» الّتي سترد في السّطور القادمة ـ فإنّهم لا يتكلّمون عن أحد غيرهم من شأنه أن يحتلّ المكانة الّتي يشغلها هؤلاء الأشخاص، بما كانوا يتمتّعون به من سمو وعلم.

إلاّ أنّه من الطّبيعي والمنطقي أن نسحب هذه التّسمية على كامل سلالتهم المطهرة (أي: على الأئمّة التّسعة من نسل الإمام الحسين)عليه السلام؛ وذلك لأسباب ثلاثة من بين أسباب أُخرى:

يقول النّبيّﷺ فيما رواه الطّبري ـ وهو أحد كبار المراجع ـ في *تفسيره للقرآن*، وفيما رواه آخرون غيره: «إنّ نسل عليّعليه السلام وفاطمةعليها السلام هم أيضاً مطهرون».

وبما أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله لم يعش بما يكفي لكي يشرح للأُمة جميع الآيات القرآنية، فإنّ الله قد عيّن الأئمة عليهم السلام لكي يحفظوا ويؤمّنوا ـ في هذا العالم ـ، ديمومة ما أنزله الله تعالى على البشر، وقد قام أهل البيت عليهم السلام بنقل هذا الإرث الإلهي ونشره، وذلك ابتداءً من النّبيّ صلى الله عليه وآله وانتهاءً بالإمام المهدي عجل الله فرجه مروراً بعليّ والحسن والحسين عليهم السلام وسائر الأئمة عليهم السلام، وقد بشّر القرآن بهذه السلالة المباركة، وجاءت الأحاديث تأييداً لذلك [راجع: ماذكرناه حول الأئمة وما يليها من آيات قرآنية].

وبالنظر إلى أن الإمام الحسين عليه السلام قد قتل وعذّب وتعرّض للإذلال بشكل مرعب، ثم قطع رأسه وحمل ليعرض في العديد من الأمصار، بعد أن قتل معه في معركة كربلاء ـ بشكل همجي ـ سبعون من أهل بيته وأصحابه، وسبيت عيال وهتكت حريمه، فقد حاز الإمام الحسين عليه السلام على ثلاث كرامات لم يحض بمثلهنّ غيره من البشر:

الأولى: الأئمة التّسعة الّذين جاؤوا بعده، قد اختارهم الله من نسله.

الثّانية: المكان، واستجابة الدعاء تحت قبّته، وخاصّة موقع الضّريح وبعد أن استشهد تحوّل إلى مكان مقدّس ومبارك من الله، وكلّ صلاة تؤدّى فيه هي صلاة مباركة ومقبولة.

الثّالثة: الشفاء في تربته التربة التي ارتوت من دمه، هي تربة باركها الله، وتحقّق الشّفاء من الأمراض.

وأخيراً سنورد الحديث المعروف بـ «حديث الثّقلين» الّذي يقدّم ـ إذا ما دعت الحاجة ـ تأكيداً لآية «أهل الذكر»:

قال النبي صلى الله عليه وآله:

> إني تارك فيكم الثّقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا علّي الحوض، ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا.[١]

---

١. راجع: صحيح *مسلم*: ١٢٣/٧، باب من فضائل علي.

وقد أورد الإمام أحمد هذا الحديث بصيغة أُخرى ولكن بالمضمون نفسه، وذلك مع أسانيده.

إنّي تارك فيكم الثّقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ألا وإنّه قد أنبأني اللطيف الخبير: أنّهما لن يفترقا حتّى يردا علّي الحوض.[١]

كما ذكر الطّبراني هذا الحديث في كتابه *الكنز*،[٢] وكذلك الحاكم في *المستدرك*[٣] دون أن ننسى الطّبري، وابن خلدون، وأبا الفداء، والكثيرين غيرهم.

وبكل بساطة، نستخلص من كلّ ما ورد أنّ الجواب الّذي يقدّمه الله على السّؤال: «إلى من نتوجّه لمعرفة التّفسير الصّحيح للقرآن؟» هو «أنّنا نتوجّه إلى عترة الرّسول المطهرة».

قال الله تعالى: ﴿... إِنَّمَا يرِيدُ اللَّهُ لِيذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيتِ وَيطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.[٤]

لكي نفهم جيداً هذه الآية المعروفة باسم «آية التطهير»، من الضّروري أن نذكّر بسبب نزولها.

فالواقع أنّ النّبيّﷺ عندما نزلت عليه هذه الآية كان في بيت زوجته أمّسلمة أمّ المؤمنينرضي الله عنها المعروفة بتقواها وفضائلها. تقول أمّ سلمة في حديث ذكره القندوزي في كتابه *ينابيع المودة*:

«إنّي رأيت رسول اللهﷺ جاءته فاطمة غدية ببرمة، قد صنعت له فيها عصيدة، تحملها في طبق لها حتّى وضعتها بين يديه، فقال لها: أين ابن عمّك؟ قالت: هو في البيت، قال: اذهبي فادعيه واتيني بابنيه. قالت: فجاءت تقود ابنيها كلّ واحد منهما بيد، وعليّ يمشي في أثرهما حتّى دخلوا على رسول اللهﷺ،

---

١. *مسند أحمد*: ١٨٢/٥ـ ١٨٩ و١٧/٣ـ ٢٦.

٢. *الكنز*، للطبراني: ٤٤/١.

٣. *المستدرك*، للحاكم: ١٤٨/٣.

٤. الأحزاب: ٣٣.

فأجلسهما في حجره، وجلس عليّ على يمينه، وجلست فاطمة على يساره. قالت أمّ سلمة: فاجتذب كساءً خيبريّاً كان بساطاً لنا على المنامة في المدينة، فلفّه رسول الله ﷺ جميعاً، فأخذ بشماله طرفي الكساء وألوى بيده اليمنى إلى ربّه عزّوجل، وقال: اللهم أهل بيتي، أذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً».[١]

وقد أكّد عمر بن أمّ سلمة ما قالته والدته حرفيّاً، مضيفاً بأنّها سألت النّبيّ ﷺ بعد ذلك بقولها: «أكون معهم يارسول الله؟»، فأجابها: «لا، ولكنّك على خير».

هذا، ويؤكّد العديد من علماء السّنة، أنّ هذه الآية قد نزلت في رسول الله ﷺ والأشخاص الأربعة المذكورين. ومن هؤلاء العلماء القندوزي في *ينابيع المودة*،[٢] والسّيوطي في *الدّر المنثور*،[٣] وأحمد بن حنبل في *مسنده*،[٤] والفخر الرازي في *تفسيره*،[٥] وابن حجر العسقلاني في *الصواعق المحرقة*[٦]...

ويضيف القندوزي في الصّفحة ذاتها من المصدر المذكور:

«وهذا الحديث حسن صحيح وهو أحسن شيء روي في هذا الكتاب».

كما ورد تأكيد لذلك في صحيح مسلم عن أمّ المؤمنين عائشة حيث تقول:

«خرج النّبيّ ﷺ غداة وعليه مرط مرجّل من شعر أسود، فجاء الحسن بن عليّ فأدخله، ثمّ جاء الحسين فدخل معه، ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها، ثمّ جاء عليّ فأدخله، ثمّ قال: ﴿إِنَّمَا يرِيدُ اللَّهُ لِيذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيتِ وَيطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾».

---

١. *ينابيع المودة*: ص١٢٥.
٢. *المصدر*: ١٢٦.
٣. *الدر المنثور*: ١٩٩/٥.
٤. *مسند أحمد*: ٣٣١/١.
٥. *التفسير الكبير*: ٧٨٣/١.
٦. *الصواعق المحرقة*: ٨٥.

وأخيراً، أورد السّيوطي في *الدّر المنثور* ما نقل طرفه، عن ابن عباس، حيث يقول:

«شهدنا رسول الله ﷺ تسعة أشهر، يأتي كلّ يوم باب عليّ بن أبي طالب عند وقت كلّ صلاة، فيقول:

«السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهلَ البيت ﴿إِنَّمَا يرِيدُ اللَّهُ لِيذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيتِ وَيطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾؛ الصّلاة رحمكم الله! كلّ يوم خمس مرات.

ويقول أبو الحمراء: أنّ كلّاً من الطّبراني، وابن جرير، وابن مردويه، قد أوردوا هذا الحديث.

وبعد أن أوضحنا سبب نزول الآية بات بإمكاننا أن ندحض بسهولة وبحجج دلاليّة ونحويّة بسيطة، أقوال أولئك الّذين حاولوا إعطاءها تفسيرات مختلفة.

يقول هؤلاء المعترضون: بأنّ الآية قد نزلت في أزواج الرّسول ﷺ، وأنّ الرّجس الّذي تحدثت عنه ليس غير الرّجس الجسدي. لكن الآيات السّابقة ـ من الآية الثامنة والعشرين من سورة الأحزاب حتّى قوله تعالى: ﴿... أَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾ في آية التّطهير من السورة ذاتها ـ هي خطاب موجّه إلى النساء؛ لاستعمال نون النّسوة في أواخر الكلمات، قبل الانتقال مباشرة إلى خطاب موجّه إلى أهل البيت؛ لاستعمال ضمير المذكّر في صيغة الجمع «كُم». وحتّى لو افترضنا أنّ نساء النّبيّ ﷺ مقصودات فيها أيضاً، فهل يمكن الافتراض أيضاً بأنّهن مطهرات بالمستوى نفسه كأهل البيت؟ مع العلم بأنّ الرّسول ﷺ قد طلب إليهنّ أن يقنعن بمنزلتهن؟

أمّا كلمة «رجس» الواردة في الآية، فالواضح أنّها تعني الرّجس الجسدي، كما تعني الرّجس الروحي أيضاً. فالواقع أنّ الخمر والميسر

والأنصاب والأزلام هي رجس كما في قوله تعالى ﴿... إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[١] ولحم الخنزير، والدم، هما: رجس، يقول تعالى: ﴿... إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ...﴾[٢] والكفر هو، رجس، فقد قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾.[٣] وعندما نكون في حالة النجاسة الجسدية ولا نجد ماء للوضوء، فإنّ الله يجيز لنا التّيمم بالتراب أو الحجر، ما يعني أنّ الطّهارة المطلوبة للصّلاة هي أوّلاً وخصوصاً طهارة روحية مع أنها ذات مظهر جسدي، من هنا نجد أنّه من الصّعب، لا بل من الخطأ أنّ نفصل الرّوحي عن الجسدي في مسالة الطهارة لا سيما وأنّ النجاسة الخارجية تفقد أثرها ليحلّ محلها الإحساس بالارتياح عند إزالتها بالتّطهر.

وعليه يمكننا أنّ نستخلص أن آية التّطهير تؤكّد لنا أنّ الطّهارة كاملة عند أهل البيت، عترة نبيّ الإسلام ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا...﴾.[٤]

فالله تعالى يؤكّد في هذه الآية تفسيرنا لآية التّطهير، حيث أورث أهل البيت؛ العلم الأكبر، أي، معرفة القرآن بما هو منبع الهدى للأُمّة.

ويمكننا في هذا السّياق أن نذكر «حديث السفينة» الّذي رواه الحاكم عن أبي ذر في *المستدرك*:

أهل بيتي فيكم كسفينة نوح في قوم نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك، ومثل باب حطّة في بني إسرائيل.[٥]

---

١. المائدة: ٩٠.
٢. الأنعام: ١٤٥.
٣. التوبة: ١٢٥.
٤. فاطر: ٣٢.
٥. *المستدرك*، للحاكم: ١٥١/٣.

ويضيف الطّبراني في الأوسط عن أبي سعيد ما يلي:

إنّما مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق. إنّما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطّة في بني إسرائيل.[١]

ونقرأ في الصواعق:

واجعلوا أهل بيتي منكم مكان الرّأس من الجسد، ومكان العينين من الرّأس، ولا يهتدي الرّأس إلاّ بالعينين.[٢]

كما أورد ابن حجر في *الصّواعق المحرقة* حديثاً عن النّبيّﷺ يقول فيه:

«مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق».[٣]

إنّ الأحاديث النّبويّة المذكورة تؤكّد وتدعم آية التّطهير؛ لتدلّ بوضوح على أنّ الوارثين الوحيدين لعلم معاني القرآن هم المطهّرون من أهل بيت النّبيّﷺ.

قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى...﴾.[٤]

فما يبشّر به الله عباده المؤمنين هو دين الإسلام، والعزيز القدير لا يطلب على ذلك أجراً للنبيّﷺ ـ أي لرسوله الّذي حمل كتاب الله إلى النّاس واستحق اعتراف الأُمة بجميله ـ غير المودّة لذوي قرباه، أي لذريته.

وهنالك العديد من الأحاديث النّبوية ذات الصّلة بهذه الآية والّتي نقلها العديد من العلماء المشهورين:

---

١. *الأوسط للطبراني*: ٤ / ١٠ و ٦ / ٨٥.

٢. *الصواعق المحرقة*: ص٨٩.

٣. المصدر: ص ١٤٨و٢٦٢.

٤. الشورى: ٢٣.

فقد ذكر الطّبراني في *الأوسط*، وبعده السّيوطي في *إحياء الميت* أنّ رسول الله ﷺ قال:

«من سرّه أن يحيا حياتي ويموت مماتي، ويسكن جنّة عدن غرسها ربي، فليوال عليّاً من بعدي وليوال وليه، وليقتد بأهل بيتي من بعدي فإنّهم عترتي، خلقوا من طينتي ورزقوا فهمي وعلمي، فويل للمكذّبين بفضلهم من أمتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي».[1]

كما ذكر القاضي عياض في أحد فصول *الشّفاء* أنّ رسول الله ﷺ قال:

معرفة آل محمد ﷺ براءة من النار، وجواز على الصّراط، والولاية لآل محمد أمان من العذاب.[2]

وذكر كلّ من الطّبراني، والسّيوطي عن ابن عباس:

لا تزول قدما عبد حتّى يسأل عن أربع: عن جسده فيما أبلاه، وعن عمره فيما أفناه، وعن ماله فيما أنفقه، ومن أين اكتسبه، وعن حب أهل البيت.[3]

وكذلك، ذكر كلّ من الطّبراني، والحاكم عن رسول الله ﷺ أنّه قال:

والّذي نفس محمد بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد إلاّ أكبه الله في النار.

ونقرأ في *كنز العمال* ما يلي:

كان عليّ بن أبي طالب يقول عن رسول الله ﷺ:

إنّي وأطايب أرومتي وأبرار عترتي، أحلم الناس صغاراً وأعلم الناس كباراً، بنا ينفي الله الكذب، وبنا يعقر أنياب الذئب الكلب، وبنا يفك الله عنوتكم، وينزع ربق أعناقكم، وبنا يفتح الله ويختم.[4]

وفيهم قال الفرزدق الشعر المعروف، في معرض مدحه الإمام علي بن

---

١. راجع: *الأوسط*، للطبراني؛ و *إحياء المّيت* للسيوطى.

٢. *الشفاء* للقاضى عياض: ٢/ ٤٠.

٣. *الأوسط*، للطبرانى: ٣٤٨/٢.

٤. *كنز العمال*: ٣٩٦/٦.

الحسين السجاد عليه السلام في بيت الله الحرام في قصة معروفة ذكرها المؤرخون[١]:

مـن معشر حبّهم ديـن وبغـضهم كفـرٌ وقـربهم منجـىً ومعتـصمُ
إن عُـدّ أهـلُ التقـى كـانوا أئمـتَهم أو قيل من خيرُ أهل الأرض قيلَ همُ

ويقول الإمام الشّافعي ـ وهو أحد أئمة المذاهب السنية الكبرى الأربعة ـ شعراً رائعاً في هذا المجال:

يـا أهـل بيـت رسـول الله حـبّكمُ فـرض مـن الله فـي القـرآن أنزلـه
كفـاكم مـن عظـيم الفـضل أنّكـمُ مَنْ لـم يـصلِّ عليكم لا صـلاةَ لـه[٢]

وفي القرآن الكريم آيات عديدة تجعل من واجبنا أن نحبّهم، وتأمرنا أن نتقيّد بتعاليمهم على ما بيّناه في كلامنا حول الآية ﴿ثُـمَّ أَوْرَثْنَـا الْكِتَـابَ الَّذِيـنَ اصْطَفَينَا مِنْ عِبَادِنَا...﴾.[٣] وهنالك أيضاً أحاديث نبويّة كثيرة تحثّنا على ذلك، وكذلك قيل في حقّهم شعراً كثيراً لعلماء كبار ومراجع في أنحاء العالم الإسلامي.

ومن هنا يصبح من الواضح أنّ على كلّ مسلم رصين:

أن يقرّ بولائهم وحبّهم، وأن يقتدي بهم عليهم السلام.

لمّا وصل إلى عليّ أنّ معاوية افتخر بملك الشّام، فقال الإمام عليه السلام ـ وقد رام الافتخار ـ لكاتبه: اكتب:

محمـد النّبـيّ أخـي وصـنوي وحمـزة سـيد الـشهداء عمّـي
وجعفـر الّـذي يُـضْحي ويمـسي يطيرمـع الملائكـة ابـن أُمـي
وبنـت محمـد سـكني وعرسـي مـشوب لحمهـا بـدمي ولحمـي
وسـبطا أحمـد ولـداي منهـا فـأيّكم لـه سـهم كـسهمي
سـبقتكم إلـى الإسـلام طـرّاً غلامـاً مـا بلغـت أوان حلمـي

١. *البداية والنهاية*، ابن كثير: ١٢٦/٩.
٢. *ينابيع المودة*، القندوزي: ١٠٣/٣.
٣. فاطر: ٣٢.

وأوجب لي ولايته عليكم رسولُ الله يومَ غدير خمّ[1]

ولمّا نزلت آية إكمال الدّين في ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾،[2] قال حسان بن ثابت: يا رسول الله، أتأذن لي أن أقول في عليّ أبيات شعر؟ فقال صلى الله عليه وآله: قل على بركة الله. فقال حسان: «يا معشر مشيخة قريش، اسمعوا قولي بشهادة من رسول الله صلى الله عليه وآله» ثم قال:

يناديهم يوم الغدير نبيُّهم بخم وأكرم بالنبي مناديا
يقول فمن مولاكم ووليّكم فقالوا ولم يُبدوا هناك التّعاميا
إلهك مولانا وأنت ولينا ولن تجد منّا لك اليوم عاصياً
فقال له قم يا عليّ فإنّني رضيتك من بعدي إماما هاديا[3]

قصّة المباهلة

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾.[4]

هذه الآية المعروفة باسم «آية المباهلة» أُنزلت على النّبيّ صلى الله عليه وآله بعد كتاب وجهه إلى نصارى نجران يدعوهم فيه إلى الإيمان، وقد ردّوا على ذلك بأن اختاروا من بينهم أربعة عشر رجلاً من الأساقفة والكهنة، وأرسلوهم كوفدٍ يمثّل نصارى نجران إلى المدينة؛ للتّعرف على الإسلام عن قرب وعلى خصائص النّبيّ صلى الله عليه وآله، لكنّ هدفهم الحقيقي كان بالطّبع أن يتوصلوا إلى

---

١. *الإرشاد*، الشيخ المفيد: ٤٠.
٢. المائدة: ٣.
٣. رسائل المرتضي، السيد المرتضي: ١٣١/٤.
٤. آل عمران: ٦١.

البرهنة على أفضلية دينهم مقابل الإسلام، والبقاء بالتّالي على إيمانهم حين يثبتوا ذلك.

وعندما رفض النّبيّ صلى الله عليه وآله استقبالهم، نصحهم عليّ عليه السلام بأن يخلعوا ثيابهم المصنوعة من الحرير وخواتيمهم المصنوعة من الذهب، وما إن فعلوا ذلك حتىّ استقبلهم النّبيّ صلى الله عليه وآله بالكثير من التّودد، وجرت مناقشات بين الطرفين، وخلال أحدى النقاشات حول المسيح عليه السلام، شرح لهم النّبيّ صلى الله عليه وآله أنّ المسيح عليه السلام لم يكن إلّا نبيّاً كسائر، الأنبياء، وأنّه عبدالله ورسوله.

وبعد هذا اللقاء نزل الوحي على النّبيّ صلى الله عليه وآله بالآيات التّالية:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾.[1]

وبعد عودة النصارى من اجتماع عقدوه للبحث عن حجج وبراهين تمّ إعلامهم بالأمر الإلهي ووافقوا عليه بهدف وضع حدّ للنقاش، وذلك اتباعاً لتقليد عربي كان سائداً في تلك الفترة، هو المباهلة.

وفي اليوم الموعود، وصل النّبيّ صلى الله عليه وآله إلى مكان المباهلة ممسكاً بالحسن عليه السلام بإحدى يديه وبالحسين عليه السلام بيده الأُخرى، بما يمثلان قوله تعالى ﴿أَبْنَاءَنَا﴾. أمّا فاطمة عليها السلام، بما تمثل قوله تعالى ﴿وَنِسَاءَنَا﴾ فكانت تمشي خلفه، وبعدها علي عليه السلام، حيث شمله مع الرّسول صلى الله عليه وآله قوله تعالى ﴿وَأَنْفُسَنَا﴾.[2]

إنّ وجهة النظر هذه حول ما يمثله كلّ واحد من الأشخاص الّذين

---

١. آل عمران: ٥٩ ـ ٦١.

٢. راجع: ما رواه مسلم في صحيحه، عن سعد بن أبي وقاص؛ *ربيع الأبرار*، الزمخشري: ١٩٣/١، *تاريخ الطبري*:٣٠٠/٣؛ *تفسير الرازي*: ٨٢/٨-٨٨

حضروا مع النّبيّ ﷺ لا تشكّل موضوعاً للنقاش؛ لأنّ الإجماع قائم حول هذه المسألة في تفسير الآية.

ويقال بأنّ أسقف نجران كان قد أوصى رجاله: أن لا يباهلوا فيما لو جاء النّبيّ ﷺ بأهل بيته وحسب، وبإلاّ يترددوا عن المباهلة فيما لو جاء محاطاً بأصحابه.

وعندما شاهد الأسقف ورجاله تلك الكوكبة المهيبة، خافوا على مصيرهم وامتنعوا من المباهلة. ثمّ ضمنوا الخلاص لأنفسهم بأن تعهدوا بدفع جزية سنويّة مقدارها حوالي ثمانين ألف درهم.

وعلينا أن ننتبه هنا إلى أنّ النّبيّ ﷺ عندما جاء محاطاً بعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام. إنّما أراد أن يظهر للعالم وأنّ يُشهد الله على أن هؤلاء الأشخاص كانوا مؤهلين لمواجهة هذا التّحدي ولتنفيذ الأمر الإلهي بفضل طهارتهم الكاملة وأنّهم أفضل من يمثل الإسلام في الأرض.[١]

قال الله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾.[٢]

وبهذا يصل الله من أجل إقناعنا إلى حدّ القسم بأنّ كتابه «مكنون» و «لا يمسه إلاّ المطهرون».

بعض مترجمي القرآن إلى اللغات الأجنبية ـ ومنهم تحديداً حميد الله، ويوسف علي ـ ترجموا لفظة «مكنون» بمعنى «محفوظ»، غير أنّ كلمة «مكنون» تعني أنّ القرآن كتاب مصون بالتأكيد، ولطف إلهي ذو معنى عميق لا يتيسر إدراكه إلاّ لأشخاص مميزين، هؤلاء المميّزون هم المطهّرون وقد استخدمت لفظة «المطهرون» نفسها للدّلالة على عترة النّبيّ ﷺ في آية التّطهير من الرّجس.

---

١. راجع ما ذكرناه حول آية التّطهير من الرّجس.
٢. الواقعة: ٧٥ ـ ٧٩.

هل الأمر مجرد مصادفة؟

لنتذكر من أجل الإجابة على هذا السّؤال الآية ﴿... فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.[١]

فبهذا ندرك أنّ أهل البيت قد طهّرهم الله، ما يجعلهم وحدهم قادرين على أن يوصلوا إلى أذهاننا دقائق الكتاب المكنون، أي القرآن. فالصلة بين الآيات الثلاث ـ ﴿... فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ...﴾ وآية التّطهير من الرجس و ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ ـ واضحة تماماً، ما يعني أنّ ما في الأمر ليس مصادفة بل صلة واضحة وبيّنة.

وعليه، يصبح من الواضح أنّ الأمر ليس مجرد مسّ أو لمس ماديّ، على ما فهمه خطأً بعض المفسرين، ذلكم بأنّ الله نفسه قد أكّد أنّ المطهرين وحدهم يمكنهم أن يمسّوا هذا الكتاب. والحال أنّنا نعلم أنّ أيّاً كان يمكنه أن يأخذ كتاباً، وبالتّالي أن يلمسه بالمعنى المادي. بل إنّ هنالك ما هو أسوأ، حيث إنّ بعض الناس أحرقوا القرآن أو مزّقوه، ومع ذلك فإنّه لا يزال حاضراً وسيظل حاضراً إلى أبد الآبدين وآخر الزّمان.

ومن جهة أُخرى، يقتضي الحس السّليم من كلّ مسلم أن يتطهر قبل كلّ عمل عبادي، وليس فقط قبل لمس القرآن، لا بل حتّى أن يكون طاهراً بشكل دائم إذا ما أمكنه ذلك. وقد خصّ الرّسولﷺ على الدّوام تعاليمه عن النظافة باهتمام مميّز.

ب) فيما يخصّ الإمام عليعليه السلام

قال الله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾.[٢]

في بدايات الإسلام، وتحديداً في السّنة الرّابعة للبعثة، تلقى الرّسولﷺ

---

١. النحل: ٤٣.

٢. الشعراء: ٢١٤.

أمر ربّه بإنذار عشيرته الأقربين، فدعا أبناء عبد المطلب إلى لقاء لهذه الغاية.

وكان الرّسول ﷺ قد طلب إلى عليّ عليه السلام أن يعدّ طعاماً لأربعين رجلاً من كيلوغرامين ونصف (صاع) من دقيق القمح وجدي صغير. فقام عليّ عليه السلام بذلك. وأكل القوم، وشبعوا جميعاً، وبقي الطّعام على حاله لم ينقص. تلك المعجزة هي ما جعل أبولهب يقول: بأنّ محمداً قد سحرهم. وبعد أن سمع الحاضرون هذا القول، تركوا المكان دون أن يعرفوا ما هو الهدف من وراء دعوتهم هذه؟

ثم دعاهم النّبيّ ﷺ ثانية، وحدث ما حدث كما في المرّة الأُولى، لكنّهم استمعوا إليه هذه المرة.

وعندها قال لهم النّبيّ ﷺ:

يابني عبد المطلب، إنّي والله ما أعلم شابّاً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا جئتكم به، جئتكم بخير الدّنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأيّكم يؤازرني على أمري هذا على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟.

فأحجم القوم، وأمام إحجام القوم المشوب بالاستغراب والسّخرية، قام الفتى عليّ عليه السلام وأعلن استعداده بكلّ همّة للقيام بالمهمّة المطلوبة، ولكنّ النّبيّ ﷺ لم يقبل هذا العرض الوحيد الّذي جاء من عليّ عليه السلام إلاّ بعد أن كرّر الدّعوة ثلاث مرات دون جدوى؛ لأنّ أحداً من الحاضرين لم يستجب لها غيره.

وعندها أخذ النّبيّ ﷺ بيد عليّ عليه السلام ورفعها عالياً، وقال:

«هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا».

وبذلك انتهى الاجتماع وتفرّق الجمع وسخر بعضهم بأبي طالب، لأنّه أُمر أن يطيع ولده، ويسمع له.

وقد ورد هذا الخبر في مصادر عديدة نذكر منها:

الكامل ابن الأثير (ص ٢٤)

جمع الجوامع، السّيوطي: ٣٩٢/٦، ٣٩٦، ٣٩٧.
تاريخ التّمدن الإسلامي، جرجي زيدان: ٣١/١.
حياة محمد، محمد حسين هيكل: ص ١٠٤.
مسند أحمد، ١١١/١.
كفاية الطالب، الكنجي الشّافعي: ص ٨٩.
كتاب الأوائل، الطّبراني.
ابن أبي الحديد في شرح *نهج البلاغة*، ٢٥٥/٣.

العالمان الغربيان المعروفان في العالم الإسلامي، وهما الإنجليزي جيورجيس في *مقالة في الإسلام*، وتوماس كارلايل في كتابه *الأبطال*.

لذا يمكننا أن نعتمد على هذه الآية في القول: بأنّ خليفة النّبيّ صلى الله عليه وآله هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.[1]

يخبرنا العليّ القدير أنّ النّبيّ إبراهيم عليه السلام قد تعرّض للكثير من الابتلاء قبل أن تجعله الله إماماً، ومن تلك الابتلاءات يمكننا أن نذكر: ابتلاءه بالنار، وبالقمر وبالشمس وحيرته وصبره، ووفاءه وبناءه الكعبة، وابتلاءه بما طلب إليه من ذبح ولده إسماعيل عليه السلام.

وكلّ ذلك يؤكّد ما قلناه آنفاً حول موضوع الإمامة من وجوب كون الإمام شخصاً استثنائياً من جميع الوجوه، وتحديداً على مستوى المعرفة والرّوحانيّة، وبالتّالي على مستوى الخلق، في ماضيه وحاضره.

وبكلام واضح، لابدّ للإمام من أن يكون معصوماً وبلا ذنب في ماضيه

---

١. البقرة: ١٢٤.

وحاضره، على ما تفيده كلمة «الظالمين» الّتي تعني الصّفة الدّائمة للظّلم في الماضي والحاضر؛ على ما هنالك من فرق بين إنسان يحكم عليه ثمّ يطلق سراحه وإنسان لم يحكم عليه إطلاقاً. فكلا هذين بريئان لكنّهما ليسا مستوى واحد في نظر القانون، بشهادة ما في السّجل العدلي لكلّ منهما.

فالإمام عليّ عليه السلام لم يعتنق ديناً غير الإسلام، وكان علمه غزيراً، وخصاله الإنسانية لا مثيل لها، وفضائله الخلقية بلا أيّة شائبة في كلّ فترات حياته، وهذا ما تقوله جميع المذاهب الإسلاميّة.[١]

ومن هنا، يحقّ لنا أن نتوقّع تعيين مثل هذا الشّخص إماماً من قبل الله، وذلك خلافاً للكثيرين من معاصريه الّذين قدّموا أنفسهم عليه في السّلطة، مع اعترافهم بكلّ مزاياه غير العاديّة وعلى الرّغم من اختيار الله له.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾.[٢]

ما إن نزلت هذه الآية على النّبيّ صلى الله عليه وآله حتى خرج من بيته واتّجه إلى المسجد. وقبل وصوله إليه التقى متسوّلاً فسأله عمّا إذا كان قد حصل على صدقة من شخص؟ وعن الشّخص الّذي أعطاه الصدقة. وردّ المتسوّل بأن أنّه قد حصل آنفاً على خاتم من قبل شخصٍ وصفته كذا و كذا، موضّحاً بأنّ ذالك الشّخص كان لحظة إعطائه الخاتم يصلي وفي حالة الرّكوع.

وكان ذلك الشّخص عليّ بن أبي طالب عليه السلام. أمّا النّبيّ صلى الله عليه وآله فقد تأكّد مرة أُخرى من الموقع الاستثنائي للإمام عليّ عليه السلام بوصفه خليفته المعيّن من قبل الله، وشعر بالفخر أمام كلّ هذا النور الإلهي، وصمّم على قول ما سيقوله في غدير خم حول موضوع تنصيب عليٍّ خليفة وإماماً للناس من بعده.

---

١. تراجع بهذا الصدد الفقرة حول الإمام عليّ.
٢. المائدة: ٥٥.

وقد أجمع المسلمون على تفسير هذه الآية لعلاقتها بما رواه المتسوّل في قضية تصدق الإمام عليعليه السلام عليه بالخاتم وهو راكع.

ومن هذه المصادر الكثيرة ذات الصّلة بهذه المسألة:

أسباب النزول النيسابوري: ص١١٣.

الدّرالمنثور، السّيوطي:٢٩٣/٢.

الأوسط، الطّبراني.

كفاية الطّالب، الكنجي الشّافعي: ص١٠٦.

التفسير الكبير: ٤١٧/٣.

نور الأبصار، الشّبلنجي: ص١٠٥.

الكشّاف، الزّمخشري: ٤٢٢/١.

ذخائر *العقبي*، الطّبري.

وقد كان يكفي لهذه الآية وحدها أن تثبت ـ فيما لو كانت هنالك حاجة أيضاً، رغم كلّ ما صرّح به النبيّﷺ ـ أنّ الإمام علياًعليه السلام هو خليفة الرّسولﷺ المعيّن من قبل الله. فالآية واضحة وشفافة كماء النبع الصّافي، ولا يمكن لتفسيرها أن يصطدم بأي اعتراض من قبل من يفهمون آيات الله.

قال الله تعالى: ﴿... قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.[١]

قال رسول اللهﷺ في حديث معروف في العالم الإسلامي كلّه: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها».

وغالباً ما كان الإمام عليّعليه السلام نفسه يقول:

«سلوني قبل أن تفقدوني... سلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلاّ وأنا

---

١. الزّمر: ٩.

أعلم أبليل نزلت أم بنهار؟ في سهل أم في جبل؟».

وعليه، يصبح من المؤكّد أنّ الإمام علياًعليه السلام كان أعلم أهل زمانه، وبالتالي يكون ـ وفقاً لهذه الآية ـ الشّخص الّذي يستحقّ أكثر من أيّ شخص آخر أن يحمل مشعل العلم بالإسلام بعد النّبيّصلى الله عليه وآله وأن يقود الأُمّة في مسيرتها الطّويلة نحو مجتمع التّوحيد الإلهي.

قال الله تعالى: ﴿يا أَيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.[1]

لقد نزلت هذه الآية على رسول اللهصلى الله عليه وآله في عرفات خلال حجّة الوداع الأخيرة إلى مكة على ما يقوله البعض، أمّا البعض الآخر فيقول: بأنّها نزلت بعد الحج، خلال عودته وحين وصوله إلى غدير خم.

غير أنّ جميع المسلمين متّفقون على القول بأنّ هذه الآية قد نزلت قبل مدّة وجيزة من الوصول إلى غدير خمّ، على طريق العودة من حجّة الوداع، حيث طلب النّبيّصلى الله عليه وآله إلى أصحابه ومَن حجّ معه في ذلك العام أن يحطّوا رحالهم ليسمعوا البلاغ.

وغدير خم: هو مكان قاحل وصحراوي وشديد الحرّ، وليس فيه أيّ شيء ممّا يشبه الواحات التي تصلح لمثل ذلك النزول. ويقال: بأن الرجل منهم كان يضع بعض ردائه فوق رأسه، و بعضه تحت قدميه من شدة الحر. وفي ذلك المكان بالذّات طلب النّبيّ من الحجّاج أن ينزلوا في ذلك المكان ليبلغهم ما نزل عليه من الله في حقّ عليعليه السلام لكي يكلّمهم. يمكننا إذن أن نتخيّل بأنّ ما كان يريد إبلاغهم إيّاه هو أمر مهمّ وملحّ حقاً.

ثمّ أمر النّبيّ بدوحات فقممن ماتحتهنّ، ثمّ طلب إلى بلال أن يرفع

---

١. المائدة: ٦٧.

الأذان (حي على خير العمل) لكي يجمع النـاس متقـدّمهم ومتـأخّرهم. وكـان عددهم يزيد على مئة ألف شخص.

ثم خاطب الناس قائلاً:

«إنّـي أُوشـك أن أدعـى فأُجيـب: وإنّـي تـارك فـيكم الثّقلـين كتـاب الله وعترتي أهل بيتي...». ثم قالﷺ:

«ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟»، فقالوا: بلى. عنـدها أخـذ بيـد علـيّ ورفعها حتّى بان بياض إبطيهما، وقال:

«من كنت مولاه فهذا عليّ مـولاه. اللّهـم، وال مـن والاه وعـاد مـن عـاداه وانصر من نصره واخذل من خذله...».

ثمّ بعد أن أكمل خطبته الطويلة،علّم الناس كيف يبـايعون عليـاً بالخلافـة ثـم أمـرهم بالبيعـة فبايعـه النـاس جميعـاً وفـيهم وجـوه المهـاجرين والأنـصار، وأمهات المؤمنين.

وكان عمر وأبو بكر في أوائل من بايعا، وهنئا الإمـام عليـاًعليه السلام. وقـد هنّـأه عمر كذلك قائلاً له: «بخ، بخ، لك يا أبا الحسن، أصبحت مولاي ومـولى كـلّ مؤمن ومؤمنة».

ومن جهة أُخرى، تـضمنت آيـة الإبـلاغ وعـداً مـن الله بالعـصمة وبنـصرة الرّسولﷺ عند تبليغ تلك الرّسالة. أمّا تلك النصرة فهـي حمايتـه مـن أولئـك الّذين كانوا يناصبون الإمام علياًعليه السلام العداء.

والواقع أنّ الإمام علياًعليه السلام كان له العديد من الأعداء بين الصّحابة، وذلـك لأسباب عديدة، منها:

خلال دفاع الإمام علىعليه السلام عن الإسلام وعن الرّسولﷺ في العديد مـن الحروب الدّفاعية الّتي شارك فيها قتل ـ أي الإمام عليّعليه السلام ـ أقربـاء لعـدد مـن الصّحابة وخصوصاً بين وجهاء مكّة من القرشيين.

ـ إغلاق أبواب المنازل الّتي كانت تفضي إلى المسجد ما عدا باب بيت عليّ وفاطمةعليهما السلام. وفوق ذلك كان الرّسولصلى الله عليه وآله يقرأ آية التّطهير كلّ مرة كان يمرّ فيها أمام بيتهما.

ـ فتح خيبر التي حدثت في السنة السابقة كانت فرصة تجلّت فيها بطولة عليّعليه السلام بعد إخفاق غيره من القادة العسكريين في اختراق خطوط يهود خيبر، حيث اختاره النّبيّصلى الله عليه وآله، بعد ليلة مشحونة بالانتظار، بوصفه «يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسول ويفتح الله على يديه».

وهكذا، وبعد أن كان النّبيّصلى الله عليه وآله قد تأخّر في إبلاغ رسالة ربّه بخصوص خلافته ـ خشية أن يتّهم بالتّحيز في اختيار رجل من أقربائه ـ أمره الله تعالى أن يبلّغ ماأنزل إليه من ربّه، مع التّنويه بأنّه إن لم يفعل فكأنّه لم يكن قد بلغ رسالته.

وبالطّبع فإنّ هذا التّفسير قد نقلته جميع سلاسل الرّواة. وهاكم بعض المصادر ذات الشّأن في هذا المجال:

أسباب النزول.

الدّر المنثور، السّيوطي: ٢١٥/٥.

التّفسير الكبير، الرّازي:٦٣٦/٣.

صحيح البخاري: ١٢/٦.

المستدرك، للحاكم:١٤٨/٣.

تجريد *التّمهيد*، ابن عبد البر الأندلسي: ص١٨٥.

ذخائر العقبي، محب الدّين الطّبري: ص١٩.

رياض الصّالحين، النّووي: ص٤٥٥.

وبعد انتهاء حقل التّنصيب هذا نزلت الآية:

قال الله تعالى: ﴿... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي

وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾.[١]

وعندها سجد الرّسول صلى الله عليه وآله شكراً لله (عز وجل).

فاطمة والأئمة الاثنا عشر عليهم السلام من ولدها

رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة عليها السلام والأئمة الاثناعشر عليهم السلام هم المعصومون الأربعة عشر. الخمسة الأُول، أيّ: النّبيّ صلى الله عليه وآله والإمام عليّ، وفاطمة، والحسن، والحسين عليهم السلام هم «أصحاب الكساء»؛ لأنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله أدخلهم ذات يوم تحت كسائه، ونزلت عليه الآية ﴿إِنَّمَا يرِيدُ اللَّهُ لِيذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيتِ وَيطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.[٢]

ج) من هي فاطمة عليها السلام؟

فاطمة عليها السلام هي: ابنة رسول الله الوحيدة وأمّ ذريته كلّها، وهي معصومة بشهادة الآية أعلاه، وكذلك بشهادة أحاديث نبويّة صحيحة، منها:

«فاطمة بضعة منّي، فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله».[٣]

ومنها: «فاطمة سيدة نساء العالمين».

وقد بلغت بعض النساء منزلة العصمة، على ما يؤكّده القرآن، كما في حالة السّيدة مريم عليها السلام والسّيدة فاطمة الزهراء عليها السلام.

ولدت فاطمة عليها السلام في العام السّادس للبعثة النبويّة، وأُمّها هي أمّ المؤمنين خديجة عليها السلام. واقترنت بالإمام عليّ عليه السلام في العام الثّاني للهجرة، وتوفيت في الثّامنة عشرة من عمرها، بعد وفاة خاتم النّبيين رسول الله صلى الله عليه وآله لفترة تتراوح بين ثلاثة أشهر وستة أشهر. وقد كرّست حياتها للقيام بأعمالها المنزليّة الّتي

---

١. المائدة: ٣.

٢. الأحزاب: ٣٣.

٣. راجع: *صحيح مسلم*: ١٤١/٧؛ وقريب منه في *صحيح البخاري*: ٢١٠/٤.

كانت تساعدها فيها خادمتها فضّة، ولتربية أطفالها وعبادة ربّها.

وكانت غالباً ما تقدّم حلولاً لمشكلات النساء وتساعد المحتاجين ببعض ما يصلها من غلّة أرضها في فدك، وهي أرض وهبها إيّاها الرّسول صلى الله عليه وآله بأمر من الله تعالى.

وكانت شديدة الاجتهاد في حفظ سنّة أبيها، حيث كانت تكتبها على رقع من الجلد وتحافظ عليها بمنتهى العناية، وعندما حدث لها أن افتقدت ذات يوم إحدى تلك الرّقع الأثيرة لديها، أخبرت خادمتها بأنّ تلك الرّقع هي بالنسبة لها كالحسن عليه السلام والحسين عليه السلام.

كما كانت تتميّز بدرجة عالية من القدرة على مواجهة المواقف الصّعبة، وهو الأمر الّذي تشهد عليه الخطبة الّتي ألّقتها، بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله في المسجد النبوي وأمام جميع المسلمين وفيهم الخليفة أبوبكر وعمر و غيرهم من شيوخ الصحابة.

كانت فاطمة عليها السلام مثالاً كاملاً لكلّ المسلمين والمسلمات، وهذا ما يعكسه قول النبي صلى الله عليه وآله عنها:

«فاطمة بضعة مني».

د) من هو الإمام علي عليه السلام؟

ولد الإمام عليّ عليه السلام في مكّة قبل ثلاثة وعشرين عاماً من الهجرة، في الثالث عشر من شهر رجب، وكان النّبيّ صلى الله عليه وآله يومها في الثّلاثين من عمره.

والده: هو أبو طالب بن عبد المطلب. وعبد المطلب هو والد عبدالله، والد النّبيّ محمّد صلى الله عليه وآله. أي أنّ علياً عليه السلام كان ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله.

أمّا والدته: فهي فاطمة بنت أسد رحمها الله. وعليه يكون الإمام عليّ قد ولد لأبوين هاشميين.

وبعد وفاة ولدي رسول الله صلى الله عليه وآله القاسم، وعبدالله عليهما السلام في سنّ مبكرة عزمت فاطمة بنت أسد رحمها الله ـ وكانت يومها حبلى بعليّ عليه السلام ـ على أن تضع

مولودها في عهدة محمّدﷺ، على سبيل التّعاطف معه. وبعد أن انتهت ذات يوم من الصّلاة والطّواف حول الكعبة، حدث أن انشق جدار الكعبة في مكان بجانب المستجار، فدلفت إلى داخلها ووضعت وليدها عليّاًعليه السلام هناك، ولم يحدث ذلك لبشر من قبل ومن بعد.

وكان النّبيّﷺ أوّل شخص رآه بعد مولده. وتوجّه رسول اللهﷺ بالشّكر إلى ربّه، وتنبأ بأنّ الإمام عليّاًعليه السلام هو من سيغسّله عند وفاته. وقد تحققت هذه النّبوءة بالفعل.

وقد نشأ الإمام عليّعليه السلام بين والديه وبين النّبيّﷺ حتّى بلغ خمس سنين عاش بعدها بشكل دائم مع النّبيﷺ، وكان شديد الحبّ لرائحة النّبيّﷺ، إذ كان ينام إلى جانبه في فراش واحد.

وكان عليّ في التاسعة من عمره عندما نزل الوحي على النّبيّﷺ وهو في سنّ الأربعين. وقد صدّقه عليّعليه السلام من فوره، وبذلك لا يكون قد اعتنق قبل الإسلام أيّ دين أو عقيدة أُخرى، في سنّ لم تكن أعماله قد بدأت تحصى عليه من قبل الله.

وعليه، يمكننا أن نؤكّد أنّه ولد مسلماً، وفوق ذلك حاز ـ بوصفه أوّل تلميذ وتابع للنبيّﷺ ـ على امتياز التّعلم على يد النّبيّﷺ: «علّمني رسول الله ألف باب من العلم، يفتح لي من كلّ باب ألف باب».[1] من هنا يمكننا أن نفهم ذلك الرّجل العظيم عندما قال للناس فيما بعد:

سلوني قبل أن تفقدوني[2]... ما من آية نزلت إلاّ وقد علمت فيم نزلت، وأين نزلت، وعلى من نزلت.[3]

---

١. راجع: *بحار الأنوار*: ١٨٣/٦٩.

٢. *نهج البلاغة*: الخطبة ١٨٩.

٣. *الطبقات الكبرى* لابن سعد: ٢ / ٣٣٨؛ *تأريخ الاسلام*، للذهبي: ٦٣٧/٣.

وقد أكد ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله نفسه، حيث قال في حديث شهير سبق وأوردناه:

«أنا مدينة العلم وعليّ بابها».

ومن جهة أُخرى، نقل الرّواة عن ابن عباس هذا الحديث الشّهير:

«قسّمت الحكمة عشرة أجزاء، فأعطى عليّ تسعة والنّاس كلّهم جزءاً، وأنّه لأعلمهم بالجزء الباقي».

وقد شاء الله أن يتزوج عليّ عليه السلام من فاطمة الزّهراء عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، زواج أحكمه الله نفسه وكان مقدراً له، على ما كتبه السّيد سفدار حسين في كتابه *تاريخ أزمنة الإسلام* الأولى: أن يكون في أساس ذرية طاهرة من أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله الّذين تميزوا عن غيرهم من أبناء الأُمّة بحمل صفة «الأئمة» وبموقعهم كخلفاء لرسول الله صلى الله عليه وآله. وقد ذكر ذلك كلّ من الطّبرى والطّبراني رواية عن الأحاديث النبوية.

والواقع أنّ تردد الإمام عليّ عليه السلام في طلب يد فاطمة، بسبب عفافه الشّديد واحترامه العميق لرسول الله صلى الله عليه وآله، جعل النّبيّ صلى الله عليه وآله يدعو فاطمة عليها السلام ويخاطبها بقوله:

«اطّلع الله إلى أهل الأرض فاختار منهم رجلين، فجعل أحدهما أباك والآخر بعلك، وشاء لذريتي أن تكون منك ومنه».

وفي حديث آخر يتضمن شرحاً لهذه الكلمات، يقول رسول الله صلى الله عليه وآله:

«كنت أنا وعليّ نوراً بين يدي الله (جلّ جلاله) قبل أن يخلق الله آدم بأربعة آلاف عام، فلما خلق آدم سلك ذلك النور في صلبه، فلم يزل (عزوجلّ) ينقله من صلب إلى صلب حتي أقرّه في صلب عبد المطلب، فقسمه قسمين فصيّر قسماً في صلب عبد الله وقسماً في صلب أبي طالب، فعليٌّ منّي وأنا من علي...».[1]

---

١. *الخصال*، الصدوق: ٦٤٠.

وقد وافقت فاطمة عليها السلام، بعد أن كانت قد رفضت بطريقة مؤدّبة جملة من الخاطبين، وتمّ زواجها بعليّ عليه السلام. وعلينا أن نلاحظ في هذا المقام أنّ فاطمة عليها السلام قد رفضت طلبات عديدة للزواج قدمت إليها بحضور أبيها، بأن اكتفت بغض بصرها، وكان أبوها يفهم ذلك ويحترم قرار ابنته. وهذا يشكّل درساً مهمّاً كموضوع للتأمّل من قبل أولئك الّذين يزعمون ـ باسم تقليد غير صحيح أو ظالم ـ على الأقل امتلاك الحق في أن يفرضوا على أبنائهم وبناتهم شريك حياة غير مرغوب فيه.

ومن جهة أُخرى، كان مصير كلّ من علي عليه السلام وفاطمة عليها السلام متلازماً فيما يتجاوز مجرد علاقة الزّواج، فنحن نعلم أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قد فقد يوم كان في سنّ الخمسين ـ وفي سنة واحدة عرفت باسم «عام الحزن»ـ عمّه أبا طالب الّذي كان قد ربّاه صغيراً، وزوجته الأولى خديجة عليها السلام. وكان كلّ منهما قد أسهم في حماية النبي صلى الله عليه وآله.

كان أبو طالب بوصفه وجيهاً من وجهاء مكّة وسيّداً لبني هاشم، يحمي النبي صلى الله عليه وآله من عشائر مكّة الأُخرى، ولهذا السّبب كان له أعداء كثر انتهوا إلى تصويره بخلاف ما كان عليه في الحقيقة، بقولهم: إنّه مات كافراً. فكيف نفهم إذا ما كان الأمر كذلك أن يحزن النّبيّ صلى الله عليه وآله إلى حدّ الحديث عن «عام الحزن» لموت رجل كافر حتىّ ولو كان عمه؟ علماً بأنّ الله تعالى يقول:

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِي وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَينَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.[1]

ومن ناحية أُخرى ساهمت خديجة عليها السلام في حماية النّبيّ صلى الله عليه وآله بفضل شرفها في أُسرتها، وحكمتها العالية النصوح وثروتها الكبيرة الّتي حصلت عليها من تجارة كانت تديرها، ولحسن الحظ أن هذه الحماية قد استمرت مع

---

١. التوبة: ١١٣.

عليّ عليه السلام بعد وفاة أبيه أبي طالب، ومع فاطمة عليها السلام بعد وفاة أمها خديجة عليها السلام.

وإذا أردنا أن نحصي كلّ فضائل الإمام عليّ عليه السلام للزمنا أكثر من كتاب لاستيفائها، لكننا لا نستطيع إلاّ أن نذكر إيمانه الرّاسخ بالله تعالى، وإخلاصه غير المحدود لرسول الله صلى الله عليه وآله، وعلمه الواسع، وشجاعته الفائقة، وما استجمعه من خصال العدل والكرم وحسن الخلق والرّأفة بالضّعفاء والمعوزين. فقد أثبت أكثر من مرة إيمانه الشّديد وإخلاصه لنبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله وإقدامه على القيام بأعمال باهرة تحديداً خلال كلّ ما كان عليه أن يخوضه من حروب كانت دفاعية كلّها، وكذلك خلال وبعد الهجرة الّتي أكره عليها الرّسول صلى الله عليه وآله إلى المدينة.

فهو قد خاض جميع حروب الإسلام ما عدا تبوك، حيث كان النّبيّ صلى الله عليه وآله قد طلب إليه البقاء في المدينة، وعندها بدأ المنافقون يشيعون فكرة مفادها أنّ الرّسول صلى الله عليه وآله قد ترك عليّاً مع النساء، مع إيحاءات بمقاصد خبيثة كانت بمستوى ما كانوا يضمرونه من الحسد تجاه عليّ عليه السلام.

وقد تأثر عليّ عليه السلام لهذه الأقاويل وطلب إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله أن يصطحبه معه في تلك الغزوة، فأجابه بقوله:

«أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبي بعدي»؟

عندها فهم عليّ عليه السلام أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله يقصد أن يخلف وراءه رجلاً ثقة؛ ليحمي خطوطه الخلفية ويسهر على حماية الشّيوخ والنساء والأطفال، وكذلك المحافظة على أمن المدينة الّتي كثر فيها المنافقون، وكانت كانت يومها عاصمة الإسلام.

وهنالك معركة أُخرى كان لها أثرها البالغ في تاريخ الإسلام، لما واجهه فيها المسلمون من صعوبات استراتيجية، إنّها معركة خيبر الّتي تألّق فيها عليّ عليه السلام بشجاعته وإقدامه، وخصوصاً بما حازه من هالات الولاية لله.

فقد كـان علـى المسلمين أن يقومـوا بمهمّـة مـن أصعب المهمّـات، أي بمهاجمة قلعة يحميها باب يستحيل اقتحامه.

ومن الضروري أن نوضّح في هذا المجال أن ما أثار تلك الحرب هـو فـي الأساس أنّ سكان خيبر قدنكثو، اتفاقية للدفاع المشترك بينهم وبين المدينة وتحالفوا مع مشركي مكـة، وقـد شـكّل ذلـك تهديـداً لأمـن سكان المدينـة، وخصوصاً للنبيّ صلى الله عليه وآله الّذي كان قـد طـرد مـن مكـة. وبكلمـة كـان مـا حـدث عبارة عن حرب أعلنها يهود خيبر على رسول الله صلى الله عليه وآله. ومن هنا، كانـت تلـك الحرب حرباً دفاعية خاضها المسلمون.

وبالعودة إلى تلك المعركة، تجـدر الإشـارة إلـى أنّ النّبـيّ صلى الله عليه وآله كـان قـد اشتكى حينها من وجع في رأسه، فأوكل مهمّة اقتحام حـصن خيبـر إلـى عـدد من أصحابه الواحد تلو الآخر، ومن بينهم أبو بكـر بـن أبـي قحافـة وخالـد بـن الوليد وعمر بن الخطاب. ولكن أيّاً منهم لم يتمكن من تنفيذ تلك المهمّة.

عندها قام النّبيّ صلى الله عليه وآله باتخاذ القرار التّالي:

«لأعطينّ الرّاية غداً لرجل يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، كرّار غير فرّار يفتح خيبر عنوة».[1]

وقد اهتمّ كلّ واحد مـن كبـار الـصّحابة فـي أن يكـون مـن يقـع عليـه اختيـار الرّسول صلى الله عليه وآله. ولم يظن أحـد منهم بـأنّ ذلـك الرّجـل قـد يكـون الإمـام عليـاً عليه السلام، خصوصاً وأنّه كان يعاني حينها من مرض شديد في عينيه يمنعـه مـن الرؤيـة. كمـا تقول بعض الأخبار (كما في *تاريخ الطبري*، وكتاب *روضة الأحباب*، وغيرهـا) بأنّه كان غائباً في ذلك اليوم، وكانت المفاجأة كبيـرة فـي اليـوم التّـالي عنـدما دعـا النّبيّ صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله من ريقه ومسح بها عيني علـيّ عليه السلام فبرئتـا على الفور، ثمّ طلب إليـه أن يحمـل رايتـه وأن يتوجـه لقتـال الأعـداء. ويقـال بـأنّ

١. راجع: الواقدي؛ البخاري؛ مسلم؛ أحمد بن حنبل؛ النسائي؛ الطّبري؛ ابن الأثير؛ السّيوطي، وغيرهم.

الإمام علياًعليه السلام لم يشعر بعدها بأيّ وجع في عينيه طيلة حياته.

أمّا النّهاية فمعروفة جيداً، إذ انتصر الإمام عليّعليه السلام واستقبله النّبيّصلى الله عليه وآله عند عودته بحفاوة بالغة، وقد عمل الرّسولصلى الله عليه وآله على رفع معنويات القادة الّذين عجزوا عن القيام بالمهمّة بأن تحدّث عن عليّعليه السلام كمثال يحتذى ولقبه بـ «أسد الله».[1]

وبالإضافة إلى ما ذكرناه أو شرحناه من سجايا الإمام عليعليه السلام، يظلّ من المهم أن نذكرعفته اللامتناهية، وخصاله الكريمة الّتي بلغت، في بعض المعارك، حدّ الإشاحة بوجهه عن عدوّ أبدى سوأته طلباً للنجاة، أو حدّ عدم ملاحقة الهاربين وعدم الإجهاز على الجرحى...

وقد كان على الإمام عليّعليه السلام أن يواجه في حياته أعداءً من كلّ صنف ولون. أمّا ما يفسّر كلّ ما واجهه من صنوف العداوة، فهو كونها قد تغذّت جميعها على الحسد (حيث كان النّبيّ يفضّله بأمر من الله على صحابته الآخرين)، والرّغبة في الثأر وقرينها الحقد (حيث كان قد قتل ـ دفاعاً عن الإسلام ـ عدداً كبيراً من شيوخ وشخصيات قريش، المعادين لبني هاشم، أي من بني أمية).

والحقيقة أنّ سجايا عليّعليه السلام والحسد والحقد اللذّين كانا يعتملان في صدور بعض الصّحابة وغيرهم، كانت تعود إلى ما يلي:

ـ كان والده أبو طالب واحداً من أوائل من أسلموا، خلافاً لآباء عدد كبير من الصّحابة، وبالرّغم من كلّ محاولات التّشويه الّتي تعرّض لها التّأريخ بهدف إثبات العكس.

ـ كان الإمام ابن عمّ النّبيّصلى الله عليه وآله وصهره حيث زوّجه من ابنته الوحيدة، فاطمة الزّهراءعليها السلام، الّتي كانت مطمح الطّامحين.

---

١. راجع: *سقوط الإمبراطورية الرّمانية*، جيبون، د. و: ٣٦٥/٥.

ـ كانت أبواب بيوت الصّحابة الّتي تفضي إلى مسجد المدينة قد سدّت كلّها بأمر النّبيّ صلى الله عليه وآله باستثناء باب بيته وباب بيت علي وفاطمة عليهما السلام.

ـ كان عليّ عليه السلام صاحب راية الرّسول صلى الله عليه وآله في جميع المعارك الكبرى، وتحديداً في خيبر الّتي فشل في فتحها الصّحابة الآخرون.

ـ كان الإمام عليّ عليه السلام أكثر الناس علماً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله الّذي كان يعترف بسعة معارفه الّتي أخذها عن رسول الله صلى الله عليه وآله فكان علي عليه السلام وارث علم الرسول صلى الله عليه وآله.

ـ كان عليّ عليه السلام يتمتع باستقامة استثنائيّة إضافة إلى صدق اللهجة.

ـ كان عليّ عليه السلام مثقلاً بكلّ هذه «التبعات والهموم» عندما بات عليه أن يواجه، بعد وفاة الرّسول صلى الله عليه وآله، أناساً يحقدون عليه بسبب هاشميّته وإيمانه ونجاحاته المتكرّرة وما حققه من مجد.

ـ كان عليّ عليه السلام خاضعاً لما يشبه الإقامة الجبريّة طيلة حكم الخلفاء الثّلاثة بعد النّبيّ (أي حوالي ثلاثين عاماً)، ومع ذلك كان المرجع النهائي في مسائل تفسير القرآن، والفقه والمعارف بالنسبة للحكام، أو بالنسبة للشعب.

ـ بعد مقتل الخليفة الثّالث (عثمان) بويع عليّ عليه السلام بالخلافة بإجماع شبه كامل. وكانت تلك المرة الأولى الّتي يكون فيها الإمام المنصوص عليه من الله والخليفة الرّسمي شخصاً واحداً. وبذلك يكون الإمام عليّ عليه السلام أوّل الأئمة ورابع الخلفاء، ويكون ولده (الإمام الحسن عليه السلام) ثاني الأئمة وخامس الخلفاء.

توفي الإمام عليّ عليه السلام في الحادي والعشرين من شهر رمضان عام أربعين للهجرة بعد أن قتل غيلةً، بأن تلقّى ضربة قاتلة على رأسه من قبل أحد الخوارج (أي الّذين خرجوا على كلّ من عليّ ومعاوية)، وهو المدعو «ابن ملجم». وكان عندما ضرب يوّمّ صلاة الفجر صبيحة التّاسع عشر من شهر رمضان.

وقبل أن ينتقل إلى ربّه عهد بقاتله إلى ابنه الحسن عليه السلام، وأوصاه بالعدل في معاملته، كما ذكر أسماء الأئمة الثّلاثة الأوّل من بعده، وهم: الإمام الحسن عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام والإمام زين العابدين عليه السلام. أما هذا الترتيب فيستند إلى حديث نبويّ يقول:

«الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا». وسنرى ما يعنيه ذلك فيما يأتي من البحوث.

هنالك مؤلّفات كثيرة كرّست للحديث عن مآثر عليّ عليه السلام في معركة خيبر وحدها، لذا فإنّه من الإدّعاء القول بأنّ ما ذكرناه يلخّص كامل حياته. لكن الضّرورة اقتضت تقديمه بهذا الإيجاز.

ه) من هو الإمام الحسن؟

الإمام الحسن عليه السلام: هو الحفيد الأوّل لرسول الله صلى الله عليه وآله من كريمته فاطمة عليها السلام، ولكنّه أيضاً الابن البكر للرّسول من أبيه عليّ عليه السلام، لقوله: بأنّ علياً هو نفس النّبيّ والنبيّ هو نفس عليّ. وهنا لا بدّ أن نذكر المباهلة الّتي جرت مع نصارى نجران. فالنبيّ صلى الله عليه وآله دعا الحسن عليه السلام والحسين عليه السلام، كما أمره الله، بـ «أبناءنا»، وعلياً بـ «أنفسنا» وفاطمة بـ «نساءنا».

ولد الإمام الحسن عليه السلام في المدينة في الخامس عشر من شهر رمضان في السنة الثّالثة للهجرة، وكان الرّسول صلى الله عليه وآله حينها في السّادسة والخمسين من عمره. ولمّا بلغه نبأ ولادته قام من ساعته إلى بيت فاطمة عليها السلام واحتضن الحسن وقبّله وسأل علياً عليه السلام عن الاسم الّذي اختاره له. فكان الجواب هو نفسه الّذي أجاب به فاطمة الّتي كانت قد سألته عن ذلك قبل لحظات ومفاده: أنّه لا يستطيع أن يسبق النّبيّ بتسميته. عندها قال النّبيّ صلى الله عليه وآله: بأنّه هو أيضاً لا يستطيع أن يسبق الله تعالى. وهنا نزل جبرائيل عليه السلام على النبيّ صلى الله عليه وآله وأنبأه بأنّ الاسم الّذي اختاره الله تعالى له هو «الحسن». اسم لم يكن قد تسمّى به أحد حتّى

ذلك الحين في جزيرة العرب وغيرها. ثم أذّن النّبيّﷺ في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى. وفي اليوم السّابع بعد ولادة الحسنعليه السلام، عقّ عنه رسول اللهﷺ بكبش وأعطى بعضاً منه وديناراً للمرأة الّتي أعانت فاطمةعليها السلام في ولادتها، معبّراً بذلك عن فرحه وامتنانه. ثمّ حلّق شعر الحسنعليه السلام وتصدق بوزن شّعره فضة. وبدلاً من الدم الذي كان العرب يمسحون به جسم المولود، استخدم النّبيّﷺ زيوتاً ممزوجة بالخلوق والزّعفران. وقد عاش الحسنعليه السلام وأخوه الحسينعليه السلام الّذي ولد بعده بعام واحد في كنف رسول اللهﷺ وحظيا بحبه الشّديد، وفي ذلك يروي الإمام أحمد بن حنبل عن أبي هريرة:

«من أحبّهما فقد أحبّني ومن أبغضهما فقد أبغضني، يعني حسناً وحسيناً»

وعندما لامه أحدهم على ما يبديه من شغف بالغلامين، أجابه بقوله:

«إن كان الله قد نزع الرّحمة من قلبك فما أصنع بك، من لم يرحم صغيرنا ولم يوقّر كبيرنا فليس منا».

وحتّى أثناء الصّلاة، أي في لحظة الحقيقة المطلقة عند الإنسان المسلم، ومن باب أولى عند رسول اللهﷺ، كان يحدث لأحد الحسنينعليهما السلام أن يأتيه وهو ساجد فيعتلي ظهره فيطيل الرّسولﷺ سجوده ولاينهض قبل أن ينزل عن ظهره.

وقد استفاد الأخوان من علاقتهما الوثيقة بالنبيّﷺ تربية محكمة وعلماً واسعاً ومكثّفاً في جميع مجالات المعرفة، وبقيا على ذلك حتّى وفاة الرّسولﷺ، وكان الحسنعليه السلام يومها في الثامنة من عمره والحسينعليه السلام في السابعة. وعندها، بدأ دور الإمام عليّ في تربيتهما.

وكان الحسنعليه السلام شديد الشّبه بجده رسول اللهﷺ من النّاحيتين الجسدية والمعنوية فقد كان بالغ النشاط في علاقته بجدّه ثمّ بأبيه، وذلك خلافاً لما كان يعتقده البعض وتروّجه بعض الكتب والرّوايات الّتي نسبت إليه

تصرفات مشوبة بكرم مبالغ فيه أو اتّهمته بأنّه لم يكن ذا شخصية قويّة.

يكفي للدّلالة على بطلان ذلك أن نتذكّر الدّور الّذي ادّاه الحسنعليه السلام مع أخيه الحسينعليه السلام في الدّفاع عن عثمان عندما حاصره المسلمون مجموعة من المسلمين الغاضبون بقيادة محمد بن أبي بكر. وهنالك، بيّن أمثلة أُخرى، ما أبداه من قدرة عالية في التّعبئة والقتال في حربي الجمل وصفين اللتين خاضهما الإمام عليّعليه السلام ضد جيوش عائشة ومعاوية.[١]

فقد كان الإمام الحسنعليه السلام جديراً بأبيه الإمام عليّعليه السلام لجهة كونه محارباً مرهوب الجانب ومخططاً بارعاً. فهو كان يعرف أنّ معاوية كان يسعى، بعد وفاة الإمام عليّعليه السلام إلى تصفية كامل ذرية النّبيّصلى الله عليه وآله، لذا فقد احتفظ بهذه القناعة، كما احتفظ بقول جدّه رسول اللهصلى الله عليه وآله حيث قال «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا». فمن أجل حماية ذرية النّبيّصلى الله عليه وآله وسائر المسلمين الصّادقين الّذين حافظوا على ولائهم له من مخطط معاوية، عرّض الإمام الحسنعليه السلام نفسه لعدوان البعض عندما قبل الموادعة مع معاوية، مختاراً بذلك أن يكون الإمام الّذي «قعد»، بسبب انكشاف الناس عنه وضعف هممهم بعد أن استعمل معاوية ما في بيت المال من أموال في شراء العديد من زعماء القبائل في تلك الفترة. وقد اسهم ذلك، إضافة إلى خروج الخوارج على كل من علي ومعاوية، في تفكك جيش عليّعليه السلام بعد حروب الجمل وصفين والنهروان، وما أعقب ذلك من الأسى الّذي أحدثه في نفس الحسنعليه السلام بعد وفاة أبيه ودفعه إلى خياره الحكيم بالتّفاوض مرغماً مع معاوية.

وقد نصّ عقد الصّلح الّذي عقده مع معاوية بكلّ وضوح على إلاّ يكون للخليفة عليه أي سلطان، وألاّ تتعرض شيعة عليّ لأيّة ملاحقة أو اضطهاد، وأن يتوقف سبّ عترة النّبيّصلى الله عليه وآله من على منابر المساجد، وغيرها من الأماكن العامّة.

---

١. انظر الفصل المتعلّق بالخلافة.

وإذا كان بعض المسلمين قد احتجّوا على الصّلح، فإنّ الإمام الحسين عليه السلام قبل قرار أخيه الّذي رأى القعود في تلك المرحلة، على أن يكون هو نفسه الإمام الّذي يقوم في مرحلة لاحقة.

ولم يوف معاوية بعهده، بل فعل ما هو أسوأ من ذلك عندما أرسل إلى امرأته جعدة ابنة محمّد بن الأشعث الكندي فدسّت السّم للإمام الحسن عليه السلام. وكان قد ضمن لها أن يزوّجها من ابنه يزيد وأن يعطيها وزنها ذهباً لقاء ذلك. ولكنّه على عادته لم يوف لها بذلك بعد أن قامت بتنفيذ المهمّة.

وهكذا استشهد الإمام الحسن عليه السلام في المدينة في الثّامن والعشرين من شهر صفر عام خمسين بعد الهجرة، ودفن في البقيع بعيداً عن قبر جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، وقبل موته فعل ما فعله جميع أئمة العترة الطّاهرة، بأنّ عيّن أخاه الحسين عليه السلام إماماً منصوصاً عليه من الله من بعده، وعلى ما مضت عليه سنّة سابقيه رسول الله صلى الله عليه وآله والإمام عليّ عليه السلام.

ولم نعرض هنا إلاّ لجزء يسير جدّاً من حياة الإمام الحسن عليه السلام، وهي حياة من شأنها أن تكون موضوعاً للكثير من الكتب، ولكن أهميّته في تأريخ الخلافة حتّمت علينا أن نطلّ عليه هذه الإطلالة القصيرة.

و) من هو الإمام الحسين عليه السلام؟

ولد الحسين عليه السلام في اليوم الثّالث من شهر شعبان في السّنة الرّابعة للهجرة. وفور ولادته حملته امرأة كانت تدّعى أسماء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فنظر إليه طويلاً ثمّ أخذ بالبكاء، عندها دهشت المرأة وطلبت إليه أن يخبرها عن سبب بكائه، فأخبرها بأنّ هذا الغلام الّذي حملته إليه ووضعته بين ذراعيه سيكون شهيداً من شهداء الإسلام، وأضاف النّبيّ صلى الله عليه وآله بأنّ الحسين ستقتله جماعة من الأشقياء الّذين لن تنالهم شفاعته.

ثمّ فعل النّبيّ صلى الله عليه وآله للحسين عليه السلام ما سبق له وفعله لأخيه الحسن عليه السلام، حيث

أذّن وأقام في أذنيه، وحلق شعره، وعقّ عنه وتصدّق بشيء من المال.

وكما هو الشّأن بالنسبة للحسنعليه السلام أخذ الحسينعليه السلام عن جدّه تربية غنيّة لا تشوبها شائبة، وعلماً واسعاً ومكثّفاً في جميع مجالات المعرفة. كما ترعرع في كنف رسول اللهصلى الله عليه وآله ومحبته الفائقة.

وكان الحسينعليه السلام في السّابعة من عمره عندما انتقل جدّه رسول الله إلى الرّفيق الأعلى، فالتحق بأبيه الإمام عليّعليه السلام الّذي واصل تربية ولديه الحسنعليه السلام والحسينعليه السلام الّذين كانا منصوصاً عليهما كإمامين على ما أخبر به النّبيّصلى الله عليه وآله.

وعلى ذلك يكون الإمام عليّعليه السلام وولداه الحسنعليه السلام والحسينعليه السلام قد تربّوا جميعاً على يد شخص واحد هو النّبيّصلى الله عليه وآله الّذي صاهر أحدهم، وكان والداً وجّداً للآخرَين، وهكذا حفظ الله تعالى ديمومة تعاليمه من خلال هذه السّلالة المقدّسة، أي من خلال عترة النّبيّصلى الله عليه وآله الّتي ربّاها الله على يد نبيّه محمدصلى الله عليه وآله الّذي كان أفضل خلق الله.

وبعد وفاة الإمام عليّعليه السلام كان الإمام الحسينعليه السلام في السّادسة والثلاثين من عمره، وتسلّم مقاليد الإمامة والقيادة بعد شهادة أخيه الإمام الحسنعليه السلام وعمره الشريف ستة وأربعون عاماً، وبات عليه أن يضطلع بمسؤوليات قيادة الأُمّة على أكمل وجه.

كان العبيء الموروث لا يزال ثقيلاً، فمعاوية كان قد فرض يزيداً ابنه على زعماء الدولة الإسلامية ما عدا من كان بالمدينة، وذلك بأن طلب إليهم أن يبايعوه طوعاً أو كرهاً. والواقع أنّ التّأريخ قد أخبرنا بأنّ يزيداً كان شخصاً واضحاً في خياراته ولا هم له إلاّ في أُمور ثلاثة، هي: شرب الخمر والنساء والصّيد، والمعروف أنّه تلقّى نبأ وفاة أبيه بينما كان في رحلة صيد. وما أن اعتلى المنصب بعد أبيه، حتّى طلب إلى واليه على المدينة ـ الوليد بن عتبة ـ

أن يأخذ له البيعة من الحسين عليه السلام وألاّ يتردد في حال امتناعه عن البيعة عن قطع رأسه وإرساله إليه. وبعث الوليد ليلاً في طلب الحسين عليه السلام ليبلغه بأمر يزيد، فطلب إليه الحسين عليه السلام أن يمهله إلى صبيحة الغد؛ نظراً إلى أهميّة المسألة. وأن بيعته لاتكون في الخفاء وإنما لابدّ وأن تكون البيعة أمام الناس. وكان مروان بن الحكم حاضراً فأشار على الوليد بألاّ يدعه يخرج حياً دون أن يبايع. عندها انتفض الحسين عليه السلام وأفصح عمّا في سره قائلاً:

«نحن أهل بيت النّبوّة، ومعدن الرّسالة، ومختلف الملائكة، وبنا فتح الله، وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله».

ثمّ خرج من المكان موقناً بأنّ حياته وحياة أفراد أُسرته قد أصبحت في خطر، وقرّر الذّهاب إلى مكّة. فمكّة كانت مدينة مقدّسة، وهي المكان الوحيد الّذي كان العرب يتجنبون فيه سفك الدّماء حتّى قبل الإسلام.

وعند وصول الحسين عليه السلام إلى مكّة، أرسل ابن عمّه مسلم بن عقيل إلى العراق، وتحديداً إلى الكوفة ليتحقق من بقاء أهلها على ولائهم له، وبعد أن راسله أهل الكوفة، فالكوفة كما هو معروف كانت عاصمة أبيه الإمام علي عليه السلام ومقرّ شيعتة وشيعة أبيه.

وكانت آلاف الكتب قد وصلته من الكوفة، وكلّها تدعوه للقدوم إليها. وعندما علم عبيدالله بن زياد بقدوم مسلم بن عقيل رسولاً من الحسين قتله مع مضيفه (هانيء بن عروة) وعدد من مناصريه. وبعد هذه الجريمة، أقفل ابن زياد أبواب المدينة وأبواب قصر الإمارة. ثم أخذ بتوهين الناس عن القيام بأيّ تحرك بعد ما أوهمهم بأنّ جيش يزيد قد أحاط بالمدينة من كلّ جانب، وبأنّه على استعداد لأن يقتل جميع المخالفين، وقد فعل ابن زياد ذلك ليحول دون انتشارالخبر عن مقتل مسلم، وبذلك اعتبر الحسين عليه السلام أنّ الكوفة ماتزال مستعدة لاستقباله.

وكانت آخر الأخبار الّتي تلقّاها الحسينعليه السلام من الكوفة قد أعلمته بأنّها على ولائها له. لذا اتّجه إليها مع أهل بيته وأصحابه ومن معهم من أفراد أسرهم.

وعند وصوله إلى كربلاء، التقى بجيش أرسله ابن زياد بقيادة الحر بن يزيد الرياحي، ثمّ وصل جيش آخر بقيادة عمر بن سعد، وقاموا بمحاصرة الحسينعليه السلام وأصحابه أيّاماً عديدة حتى نفد زادهم ونال منهم الجوع والعطش. وفي اليوم العاشر من المحرم، انقض ابن سعد بجيوشه على الحسينعليه السلام ومن معه وقتلوهم بمنتهى الوحشيّة، ثمّ أوطؤوا الخيل صدر الحسينعليه السلام وقطعوا رأسه، وربطوا نساء أهل بيت الرسولصلى الله عليه وآله بالسّلاسل، حيث جرّتهم الخيول في هذه الوضعيّة المذلّة من مدينة إلى مدينة، ولم ينج من هذه المجزرة غير واحد من أبناء الحسين البالغين و هو علي بن الحسين زين العابدينعليه السلام؛ لأنّه لم يشارك في القتال بسبب مرض ألّم به.

وقد تألّمت السّيدة زينب (شقيقة الحسينعليه السلام) لمرأى رأس أخيها بين يدي يزيد بن معاوية في طشت من ذهب وهو يتمثل بأبيات ابن الزبعرى شماتة، فقامت السيدة زينبعليها السلام فخطبت خطبة عظيمة في مجلس الطاغية، فضحت فيه بني أمية وبيّنت أهداف ثورة الحسينعليه السلام ومظلوميته، و مظلومية أهل بيته، حتي ارتجّ المجلس، وارتبك يزيد من منطقها و حججها، وأبكت كل عدو وصديق.[1]

وعندما وصل رأس الحسينعليه السلام إلى يزيد، تمثّل بأبيات ابن الزبعرى الّتي قال فيها:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلّوا فرحاً ثمّ قالوا: يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من ساداتهم وعدلنا ميل بدر فاعتدل

---

١. *معالم المدرستين*، السيد مرتضي العسكري: ١٦٥/٣.

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل[١]

ولما وصل موكب السبايا الي المدينة، خرجت أُم لقمان بنت عقيل تبكي وهي تقول:

ماذا تقولون إذ قال النّبيّ لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأُمم
بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي منهم أُسارى ومنهم ضرّجوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي[٢]

وقد انتشر نبأ مقتل الحسين عليه السلام بسرعة الصوت، وأخذ أعداؤه يشيعون الأقاويل العارية عن الصّحة حول استشهاده، ومن هذه الأقاويل أنّه كان يهتمّ بالسّياسة أكثر من اهتمامه بالدّين؛ لأنّه ترك المدينة وجاء إلى العراق لمحاربة يزيد.

لكن السّيدة زينب عليها السلام قادت على طول طريق السّبي مع أخواتها حملة إعلامية، شرحت فيها المقاصد النبيلة لأخيها الحسين عليه السلام، وألقت في ذلك عدداً من الخطب الجليلة في الكوفة والشام.

أمّا الإنجاز الرّائع فيكمن في معنى التّضحية الّذي جسّده شقيق الإمام الحسن عليه السلام وابن علي وفاطمة عليهما السلام وحفيد رسول الله صلى الله عليه وآله، لكن هذا المعنى ظلّ يتعرض طويلاً لسوء الفهم وللتّشويه المقصود من قبل الأُمويين، حيث إنّ بعض الأخبار قدمتهم على أنّهم قتلة، أو خارجين عن الدين وسلطان الخليفة(والعياذ بالله).

والحقيقة أنّ الحسين عليه السلام لم يذهب إلى الكوفة إلاّ بقصد الحفاظ على الشريعة الإسلامية التي حرّفها بنو أميّة،وعلى أهل بيته وشيعته، وخصوصاً على الإرث الّذي حمله من أخيه وأبيه وجدّه عليهم السلام، والأدلّة على ذلك كثيرة، حيث

١. *روضة الواعظين*، الفتال النيسابوري: ١٩١.
٢. المصدر: ١٩٢.

أنّ اصطحابه النساء والأطفال يقدم إثباتاً على أنّه لم يكن ينوي مهاجمة أحد. كما أنّ انصاره في الكوفة كانوا قد دعوه وألحّوا عليه بالقدوم والإقامة معهم؛ لإكمال ما كان قد بدأه سابقوه من أهل بيته عليهم السلام. وقد قال له بعض من لقيهم في الطّريق إلى الكوفة عن أهلها بأنّ «قلوبهم معك وسيوفهم عليك»، ومع ذلك واصل التّقدم؛ لعلمه بأنّه الإمام الّذي يتوجب عليه أن يقوم، ولم يكن أمامه أيّ خيار غير ذاك الّذي تتحقق من خلاله نبوءة رسول الله صلى الله عليه وآله حول مقتله، ولأنّ مقتله كان عملاً في غير صالح أعداء الإسلام، كما كان تعبيراً عن حبّه لمناصريه وعن تمسّكه بقضية الدّين.

فالواقع أنّ مقتل الحسين عليه السلام قد خلق على صعيد الأُمة حالة من الوعي كانت وما تزال بمستوى الأمانة، كما فضح انحرافات الأمويين وفسادهم، وكانت نتيجة ذلك انبعاث الإسلام الحقيقي وبالتّالي بقاؤه من خلال عترة النّبيّ صلى الله عليه وآله الّتي استمرت في الوجود عبرّ الإمام زين العابدين عليه السلام الّذي نجا من مذبحة كربلاء بمعجزة إلهية.

فالحقيقة أنّ الخيمة الّتي كان زين العابدين عليه السلام نائماً فيها؛ بسبب مرضه أثناء المجزرة قد شهدت تردد الإمام الحسين عليه السلام عليه كثيراً، ليطمئن على صحته، ليسلّمه ما كان قد استلمه من أسلافه من مقاليد الإمامة ومواريث الأنبياء عليهم السلام، أي أمانة الإمامة وأسماء الأئمة من بعده.

ز) من هو الإمام زين العابدين عليه السلام؟

الإمام الرابع: هو علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، وأمّه شاه زنان ابنة يزدجرد، وكانت ولادته في المدينة في الخامس عشر من جمادى الأولى سنة (٣٦) للهجرة.

وهو الوحيد الّذي نجا من مذبحة كربلاء بين رجال أسرة الحسين عليه السلام، وكان قد استفاد من أبيه الحسين عليه السلام وعمته السّيدة زينب عليها السلام تربية جمعت

الجديّة إلى الحكمة والمعرفة المعمّقة بالقرآن الكريم والسّنة المطهرة. ويكفي حادث وحيد ليعطينا فكرة عن جانب يسير ممّا كان يتمتّع به الإمام زين العابدين عليه السلام من حكمة عالية، فقد تعرّض له أحدهم ذات يوم بالشّتيمة فلم يردّ عليه الإمام، بل استمع إليه حتى أفرغ جعبته من الشّتائم، ولم يكتف بذلك بل زاره في منزله وتلا قوله تعالى:

﴿... وَالْكَاظِمِينَ الْغَيظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.[1]

ثمّ قال له:

«قد سمعت ما قلتَ في مجلسي ونحن في مجلسك، فاسمع ما أقول لك: إن كان الّذي قلت فيّ كما قلت فإنّي أسأل الله أن يغفرلي، وإن لم يكن ذلك كما قلت فإنّي أسأل الله أن يغفرلك».

أمّا لقبه «زين العابدين» فقد استحقه بفضل ما كان معروفاً عنه من التّقوى والورع، وبفضل كثرة صلاته ودعائه وغير ذلك من الفرائض والمستحبات. كما عرف أيضاً بلقب آخر هو «ذو الثّفنات»؛ لأنّ جلد ركبتيه قد أصبح شديد القسوة والخشونة لكثرة الرّكوع والسّجود. والجدير بالذّكر أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله هو الّذي أطلق عليه هذا اللقب في جملة ما أطلقه من ألقاب على سائر الأئمة عليهم السلام، فقد روى جابر بن عبد الله الأنصاري:

قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله:

«يا جابر، يولد لعليّ بن الحسين زين العابدين ولد يقال له محمد، فإذا رأيته يا جابر فأقرئه منّي السّلام».

أمّا سخاؤه المنقطع النظير على الفقراء والمساكين فلم يعرف إلاّ بعد وفاته؛ لأنّه لم يكن يتصدق إلاّ سرّاً وتحت جنح الظلام. وقد تتلمذ على يديه الكثير من العلماء في مجال معرفة القرآن والإسلام.

---

١. آل عمران: ١٣٤.

وكانت وفاة الإمام زين العابدين عليه السلام بالسّم في الخامس والعشرين من المحرم سنة (٩٥) للهجرة، وكان يومها في السّابعة والخمسين من عمره. وقد دفن في البقيع. وكما فعل أسلافه، نصّ هو أيضاً على الإمام من بعده وهو ابنه محمّد الباقر عليه السلام.

ح) من هو الإمام محمّد الباقر عليه السلام

الإمام الخامس: هو محمد الملقب بالباقر عليه السلام، أبوه: هو الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام المعروف باسم زين العابدين، وأمّه: هي فاطمة بنت الإمام الحسن عليه السلام، وكانت ولادته في يوم الإثنين الأول من شهر رجب عام (٥٧) للهجرة، وكان كلّ من أبيه وأُمّه حفيدي الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله، وبذلك يكون الإمام الباقر عليه السلام أوّل حفيد للإمام عليّ من جهتي أبيه وأُمه، إضافة إلى تشبّعه الكامل بالبيئة التّربوية لنبيّ الإسلام.

وقد حدث له شهد ـ وهو في الرّابعة من عمره ـ مأساة كربلاء حيث استشهد جدّه الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه.

ولكي نحيط بشكل أفضل بخصال الإمام نستشهد ببعض المقاطع المأخوذة من كتاب *الدّليل الإسلامي للأطفال* لمؤلّفه عباس أحمد البستاني:

«كان يتمتّع بالكثير من خصال العظمة والتّقوى والورع، كان جوهر العلم، وحَسَن الخلق، والاستعداد الطّبيعي للخير. وكان عابداً، ومتواضعاً، وسخياً».[١]

وتظهر لنا القصص التّالية مدى ما كان عليه الإمام الباقر عليه السلام من مكارم الأخلاق:

شتمه رجل نصراني بقوله: «أنت بقر». فقال له الإمام عليه السلام: «أنا باقر». قال: «أنت ابن الطّباخة». قال الإمام: «ذاك حرفتها». قال: «أنت ابن السوداء الزّنجية

١. *الدليل الإسلامي الإطفال*: ٣٠ و ٣١.

البذية». قال الإمام: «إن كنت صدقت غفر الله لها، وإن كنت كذبت غفر الله لك». فأسلم النصراني.

وروى صاحب رسول الله، جابر بن عبد الله الأنصاري، ما نصّه:

قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا جابر، يولد لعليّ بن الحسين زين العابدين ولد يقال له محمد، فإذا رأيته يا جابر، فأقرئه منّي السّلام».

وكان الإمام الباقر عليه السلام بحراً زاخراً في العلم، وكان يجيب على كلّ سؤال يطرح عليه، وعن ذلك يقول ابن عطاء المكي:

«ما رأيت العلماء عند أحد قط أصغر منهم عند أبي جعفر محمد بن عليّ بن الحسين عليه السلام، ولقد رأيت الحكم بن عتيبة ـ مع جلالته في القوم ـ بين يديه كأنّه صبيّ بين يدي أستاذه».

ويروي محمد بن مسلم:

«ما شجرني في قلبي شيء إلاّ سألت عنه أبا جعفر عليه حتّى سألته عن ثلاثين ألف حديث».

وكان الإمام عليه السلام في المدينة مرجعاً لكلّ سائل وطالب علم، ولكنّ النّاس كانوا يتجنبون اللقاء به خوفاً من انتقام بني أُمية. وكان الخليفة الأُموي، عمر بن عبد العزيز، قد قرّر، بعد أن لاحظ ضعف بني أُمية، بحكم ما تلقوه من ضربات بفعل الثّورات الّتي اندلعت ضدهم، كان قد قرر منع سبّ عليّ وأبنائه من على المنابر كما كان قد قرّر أن يعيد فدك إلى أحفاد رسول الله صلى الله عليه وآله، بعد أن رفض أبو بكر ذلك عندما طالبته به فاطمة الزهراء عليها السلام.

وقد شجّعت مثل هذه القرارات المسلمين على التّقرب من الإمام الباقر عليه السلام دونما خوف وقد سميّت تلك الفترة بـ«العصر الذّهبي» لما شهدته من بحبوحة في العلاقات.

وكان الإمام الباقر عليه السلام دائم الذّكر لله. وعندما هدّد إمبراطور الرّوم بسحب

العملة الّتي كانت لا تزال مستخدمة في بلاد الإسلام ممّا أوقع الخليفة الأُموي عبدالملك بن مروان في ورطة كبيرة، نصحه الإمام الباقر بأن يسكّ عملة خاصّة بالمسلمين، وقد استجاب الخليفة للنصيحة وتمكّن بفضلها من تجاوز الأزمة.

وقد مات الإمام الباقر عليه السلام مسموماً يوم الإثنين في السّابع من ذي الحجة في العام (١١٤) للهجرة، بسمٍّ دسّه له الوالي الأموي على المدينة بأمر من الخليفة نفسه وكان يومها في السّابعة والخمسين من عمره، ودفن في البقيع في المدينة المنورة.

ط) من هو الإمام جعفر الصادق عليه السلام؟

الإمام السادس: هو جعفر الصّادق بن محمد الباقر عليه السلام، ووالدته: هي فاطمة المكنّاة بـ «أمّ فروة».

ولد الإمام عليه السلام في المدينة يوم الإثنين في السّابع عشر من ربيع الأول ـ وهو يوم ولادة رسول الله صلى الله عليه وآله ـ عام (٨٣) للهجرة، عاش قرابة ستة عشر عاماً في حياة جده الإمام زين العابدين عليه السلام الّذي ساعده على أن يخطو خطواته الأُولى في طريق المعرفة. وقام أبوه الإمام الباقر عليه السلام، خلال خمسة عشر عاماً، بإكمال هذه المهمّة المقدّسة الموروثة عن جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقد توفّر الإمام الصّادق عليه السلام على علم جمّ وخصال عليا، فقد كان رجل الحكمة العارف بالشّريعة والإنسان العابد، وكان صادقاً وعادلاً وسخيّاً وذا شأن رفيع في مجال القيم، كما كان يتمتّع بمزايا أُخرى كثيرة.

يقول الشّيخ المفيد (ت/٤١٣هـ):

«تعلّم منه العلماء أكثر ممّا تعلّموا من غيره من أهل البيت».

وكان الإمام الصّادق عليه السلام أكثر من قام بنشرالعلوم في تأريخ الدّين والحديث.

وقد وصل عدد العلماء من مختلف المدارس الّذين تلقّوا العلم على يديه إلى أربعة آلاف عالم.

وكان في طليعة هؤلاء زيد بن عليّ، عمّ الإمام الصّادقعليه السلام، حيث أدلى بحق ابن أخيه بهذه الشّهادة المفعمة بالصّدق وبالحكمة:

«في كلّ زمان رجل منّا أهل البيت قطب يحتجّ به الله على خلقه، وحجة زماننا ابن أخي جعفر، لا يضلّ من تبعه ولا يهتدي من خالفه».

وقد قتل زيد بعد أن خرج على الأُمويين في خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان، واعتبره بعض أتباعه بعد موته إماماً سادساً على الرّغم من الشّهادة الّتي اعترف بها الجميع بحق الإمام الصّادقعليه السلام.

أمّا المذهب الّذي يقول بإمامة زيد فيعرف اليوم باسم الزيدية.

وكان أبو حنيفة ـ إمام أحد المذاهب الخمسة ـ من تلامذة الإمام الصّادقعليه السلام، ويقول في ذلك:

«لولا السّنتان لهلك النعمان»[١]، أيّ أنّ السّنتين اللتين أمضاهما في التّتلمذ على يدي الإمام الصّادقعليه السلام هما السّبب في نجاته من الهلكة.

ويروى أنّ الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور دعا أبا حنيفة وقال له:

«يا أبا حنيفة إنّ النّاس قد فتنوا بجعفر بن محمد، فهيء له من مسائلك الشّداد. يقول أبو حنيفة: فهيأت له أربعين مسألة... فجعلت ألقي عليه فيجيبني، فيقول: «أنتم تقولون كذا، وأهل المدينة يقولون كذا، ونحن نقول كذا، فربّما تابعناكم، وربّما تابعناهم، وربّما خالفناكم جميعاً حتّى أتيت على الأربعين مسألة، فما أخلّ منها بشيء، ثمّ قال أبو حنيفة: أليس أنّ أعلم الناس أعلمهم باختلافات النّاس؟»

وبعد هذا اللقاء، قال أبو حنيفة:

«ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد».[٢]

---

١. راجع: *تفسير الآلوسي*: ٨.

٢. راجع: *المناقب* لأبي حنيفة: ١٧٣/١؛ *جامع أسانيد أبي حنيفة*: ٢٢٢/١؛ *تذكرة الحفاظ* للذهبي: ١٥٧/١.

وكما كان الشّأن مع أبي حنيفة فإنّ الإمام مالكاً استفاد هو أيضاً من لقاءاته العديدة مع الإمام جعفر الصّادقﷺ وهو يقول في ذلك:

«التقيته في ثلاثة مواقف مصلّياً أو صائماً أو مدرّساً»، وقال:

«ما رأت عين، ولا سمعت أُذن، ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر الصّادق، فضلاً وعلماً وعبادةً وورعاً».[1]

وكان جابر بن حيّان، مؤسّس علم الكيمياء الحديث وسائر العلم التّجريبي واحداً من أشهر تلامذة الإمام الصادقﷺ. وقد ألّف أكثر من خمسمائة رسالة أملاها عليه الإمام، وجميع كتابات جابر تبدأ بعبارة: «قال معلّمي الإمام جعفر...».

والمعروف أنّ المذهب الجعفري هو أحد المذاهب الإسلامية الخمسة، وهو يعرف أيضاً باسم مذهب أهل البيتﷺ، وهذا المذهب هو أوّل مذاهب الإسلام؛ لأنّه سبق المذاهب الأُخرى في الظّهور، ومع أنّ هذا المذهب يحمل اسم الإمام الصّادقﷺ الّذي كان أحد خلفاء الرّسول ﷺ المنصوص عليهم من قبل الله تعالى، فإنّه المذهب الوحيد الّذي كان قائماً في حياة رسول اللهﷺ، ذلكم أنّ المذاهب الأُخرى كلّها لم تظهر إلاّ بعد أكثر من مئة عام من وفاة النّبيّﷺ.

أمّا السّبب في تسمية المذهب فيعود إلى كون الإمام الصّادقﷺ قد استفاد من فرصة ضعف الدولة الموية وبداية ظهور الدولة العباسية أكثر مما تهيأ لسائر الأئمةِ الآخرينﷺ من الظّروف الّتي سمحت له بتعليم أعداد كبيرة جدّاً من المسلمين في التّفسير الصّحيح لكتاب الله، وسنّة نبيه، وذلك في فترة تميّزت باشتداد الصّراع على السّلطة بين الأمويين والعباسيين.

---

١. راجع: *المجالس السّنة*: ج٥؛ *توسّل الوسيلة*، ابن تيمية: ٥٢.

أمّا طعام الإمام الصّادق(ع) فكان الخلّ والزيت، و أمّا لباسه فكان خشناً في أغلب الأحيان.

ومن عاداته أنّه كان يباشر العمل بنفسه في زراعة حقله، وكان غالباً ما يغيب عن الوعي عند ذكره ربّه.

ويقال بأنّ الخليفة العباسي في تلك الفترة بعث رجلاً في طلب الإمام(ع) بعد أن وشي إليه به. فذهب ذلك الرّجل إليه فوجده في بيته أغبر قائماً يدعو الله ويرتل آيات في الوعد والوعيد.

كان الإمام الصّادق(ع) كثير الإحسان وطيّب النقيبة. وكان يتحدّث بالكثير من الحنوّ ويبدي استعداداً طبيعيّاً للتّفاهم والتّعاون. وكان الناس يشعرون بالسّعادة في تعاملهم معه. ويحكى بأنّ الإمام(ع) دعا يوماً خادمه مصادفاً فأعطاه ألف دينار، وقال له: «تجهّز حتّى تخرج إلى مصر فإنّ عيالي قد كثروا». فتجهّز بمتاع وخرج مع التّجار إلى مصر. فلما دنوا من مصر التقوا بقافلة خارجة منها، فسألوهم عن المتاع الّذي معهم ما حاله فيها، فأخبروهم أنّ ليس بمصر منه شيء. فتحالفوا وتعاقدوا على أن يربحوا بكلّ دينار ديناراً. فلمّا قبضوا أموالهم رجعوا فدخل مصادف على الإمام الصّادق(ع) ومعه كيسان في كلّ واحد ألف دينار، فقال «هذا رأس المال وهذا الآخر ربح».

فقال الإمام(ع): «هذا الربح كثير، لكن ما صنعتم في المتاع؟». فحدثه كيف فعلوا وكيف تعاقدوا.

فقال له: «سبحان‌الله! تحلفون على قوم من المسلمين ألاّ تبيعوهم إلاّ بربح الدينار ديناراً؟». ثمّ أخذ أحد الكيسين فقال: «هذا رأس مالي ولا حاجة لنا في الرّبح!».

ثم قال(ع): «يا مصادف مجالدة السّيوف أهون من طلب الحلال».

وقد توفي الإمام الصّادق مسموماً في الخامس والعشرين من شهر شوّال

عام (١٤٨) للهجرة بأمرٍ من الخليفة العباسي المنصور، وكان في الخامسة والستين من عمره ودفن عليه السلام في مقبرة البقيع.

ي) من هو الإمام موسى الكاظم عليه السلام؟[1]

الإمام السّابع: هو موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصّادق عليه السلام، وأمه: حميدة المصفّاة. وكانت ولادته بالأبواء بين مكّة والمدينة يوم الأحد في السّابع من صفر عام (١٢٨) للهجرة.

توفي في السّجن بعد أن دسّ إليه السّم بأمر من الخليفة العباسي هارون الرّشيد، وذلك في الخامس والعشرين من رجب عام (١٨٣) للهجرة، بعد أن قضى أربعة عشر عاماً في السّجن، تعرّض خلالها لما لا يحصى من صنوف العذاب والاضطهاد، وصلّى عليه ابنه الإمام علي الرّضا عليه السلام ودفن في الكاظمية جنوب بغداد في المكان الّذي يقوم عليه مقامه اليوم.

كان أكبر علماء عصره، كما كان أفضل الناس في عصره وأسخاهم وأكثرهم شجاعة واستقامة، وكان خلقه النبيل معروفاً من الجميع، وكذلك علمه وشغفه بالعبادة. وقد سمّي بالكاظم؛ لأنّه كان يكظم غيظه وغضبه. كما لقب أيضاً بالعبد الصّالح؛ لاستقامته ونزاهته.

هذا، وقد تجلّت سعة علمه في مناسبات عديدة وأثارت إعجاب الجميع، ومناظرته مع النصراني (بُريحة) معروفة جداً حيث إنّها أفضت إلى اقتناع هذا الأخير واعتناقه الإسلام.

وفي أحد الأيام طلب أحد المساكين إلى الإمام الكاظم عليه السلام أن يعطيه مئة دينار، فطرح عليه الإمام عدّة أسئلة ليمتحن علمه بالدّين، ثمّ أعطاه ألفي درهم.

---

١. من الإمام السّابع إلى الإمام الحادي عشر، النصوص ماخوذة من *الدليل الإسلامي للأطفال*، ترجمه عن الانجليزية عباس البستاني، نشر في آب / اغسطوس عام ١٩٨٨ في إيران من قبل دفتر نشر فرهنك إسلامي.

وكان الإمام عليه السلام يرتّل القرآن بصوت جميل، ويقال بأنه كان يمضي أربع ساعات قائماً للصّلاة، كما كان يقرأ القرآن لفترات طويلة أثناء سجوده، وكان غالباً ما يبكي لذكر الله، وكان ساجداً عندما وافته المنية.

دعاه الخليفة هارون يوماً وقال له: «بم فضلتم علينا ونحن بنو العباس عمّ النّبيّ صلى الله عليه وآله، وأنتم بنو أبي طالب عمّ النبي صلى الله عليه وآله؟».

فأجاب الإمام عليه السلام: «نحن أقرب إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله؛ لأنّ أبا طالب وعبد الله شقيقان من أب واحد وأمّ واحدة، بينما العباس كان أخوهما من جهة الأب».

ثمّ طرح عليه هارون سؤالاً آخر: «لم جوزتم للعامّة وللخاصّة أن ينسبوكم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ويقولون لكم: يا بني رسول الله وأنتم بنو علي، وإنّما ينسب المرء إلى أبيه، وفاطمة إنّما هي وعاء، والنّبي صلى الله عليه وآله جدّكم من قبل أُمّكم؟».

فأجابه الإمام عليه السلام: «لو أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نشر فخطب إليك كريمتك، هل كنت تجيبه؟».

قال: «سبحان الله، ولِمَ لا أُجيبه، بل أفتخر على العرب والعجم بذلك».

فقال عليه السلام: «لكنّه لا يخطب إليّ ولا أزوجه؛ لأنّه ولدني ولم يلدك».

وفي أحد الأيام رآه أبو حمزة وهو يعمل في حقل له والعرق يتصبّب من رأسه إلى أخمص قدميه، فسأله لماذا لا يطلب إلى الخدم أن يعملوا بدلاً منه، فأجابه الإمام عليه السلام: «بأنّ من هو أفضل من الإمام ومن أبيه كان يباشر العمل بيديه» فسأله أبو حمزة عن ذلك الرّجل، فأجابه الإمام عليه السلام: «بأنّه رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ أمير المؤمنين عليه السلام، وبأنّ جميع آبائه وأجداده كانوا يباشرون العمل بأنفسهم. وتلك كانت سنّة رسل الله وأنبيائه والصّالحين من عباده».

ك) من هو الإمام علي الرضا عليه السلام؟

الإمام الثامن: هو علي الرضا بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام وأمه: هي السّيدة نجمة.

ولد الإمام الرضا عليه السلام في الحادي عشر من شهر ذي القعدة عام (١٤٨) للهجرة في المدينة المنورة. ومات بالسّم في اليوم الأخير من شهر صفر عام (٢٠٣) للهجرة، وصلّى عليه ابنه الإمام محمد التّقي الجواد عليه السلام، ودفن في مشهد بإيران حيث يقوم مقامه اليوم. وكان معروفاً من الجميع بعلمه ولطفه وسخائه وطيبته وتقواه. وقد ارتأى الخليفة العباسي المأمون أن يعيّنه وليّاً للعهد، ولكن الإمام الرضا امتنع عليه؛ لأنّه كان يعلم أنّها حيلة يلجأ إليها لبعض أغراضه، ولكنّ المأمون أجبره على قبول ولاية العهد فلم يقبلها الإمام عليه السلام إلاّ بعد أن اشترط عليه عدم الاضطلاع بأيّ شأن من شؤون الحكم.

وقد أظهر الإمام عليه السلام مقدرته العلمية الواسعة في مختلف مجالات علوم الدّين والفقه في المناضرات الّتي كان يقيمها المأمون، وكان المسافرون يتناقلون أخبار علمه وينقلونها معهم أينما حلّوا. وكانت مدينة نيشابور حاضرة من حواضر العلم في تلك الفترة، وعندما مرّ بها الإمام الرّضا عليه السلام في بعض أسفاره استقبله مئات العلماء، والقراطيس والأقلام في أيديهم ليكتبوا كلّ ما يصدر عنه من كلام، وقد اصرّوا على أن يُملي عليهم الإمام بعض الأحاديث النبويّة، فكان ممّا أملاه عليهم الحديث التّالي المعروف بحديث «السلسلة الذهبية»:

> عن أبي موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن عليّ، عن أبيه عليّ بن الحسين، عن أبيه الحسين بن عليّ، عن أبيه عليّ بن أبي طالب، عن النّبيّ، عن جبرائيل، عن ميكائيل، عن إسرافيل، عن الله تعالى: لا إله إلاّ الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي. وقال: وبعد أن مرّت الراحلة، نادانا [الإمام عليه السلام]: بشروطها، وأنا من شروطها.[1]

وكان عدد من كتبوا هذا الحديث المعروف باسم السّلسلة الذّهبية ـ لشرف رواته ـ عشرين ألفاً من العلماء.

---

١. *عيون أخبار الرضا* عليه السلام: ١٣٤/٢.

وقال الإمام الرّضا عليه السلام لأخيه زيد بن موسى ـ وكان قد خرج وارتكب أعمالاً دموية في البصرة ضد بني العباس ـ:

ويلكَ لماذا سفكت الدّماء وقطعت الطّرق؟ أغرّك قول سفلة أهل الكوفة: إنّ الله حرم ذريّة فاطمة على النار، ذلك للحسن وللحسين خاصّة... أنت أخي ما أطعت الله، فإن عصيت الله فلا إخاء بيني وبينك.

ويقال بأنّ الإمام الرّضا عليه السلام كان يصلّي الليل بطوله، وبأنّه كان يختم القرآن في ثلاثة أيّام. كما يقال بأنّه كان يصلي لساعات متواصلة ويؤدّي مئة ركعة في اليوم والليلة، ويمضي عدّة ساعات في السّجود، ويصوم في غالب الأوقات.

ولم يحدث له مطلقاً أن قاطع متكلّماً، أو ظلم أحداً، أو استلقى بحضور أحد، أو ضحك بملء فمه، أو تفل بحضور أحد من النّاس.

وكان يجلس مع جميع أهل بيته بمن فيهم النساء والخدم ويتناول طعامه معهم.

ل) من هو الإمام محمد التّقي الجواد عليه السلام؟

الإمام التّاسع: هو محمد التّقي الجواد عليه السلام، وأمّه: كانت سيّدة سوداء تدّعى سكيبة. ولد في العاشر من رجب عام (١٩٥) للهجرة في المدينة المنورة، ومات مسموماً في بغداد في الخامس من ذي الحجة عام (٢٢٠) للهجرة، ودفن خلف مقام جدّه الإمام موسى الكاظم في الكاظميّة.

وكان الإمام محمدالجواد عليه السلام أعلم أهل زمانه وأكثرهم سخاءً وإحساناً، وكان شديد التفهم للآخرين وبالغ اللطف في التعامل معهم، كما كان معروفاً بفصاحته البالغة.

وكان من عادته أن يمتطي جواداً ويدور على الفقراء والمحتاجين ليوزع عليهم المال والطّعام. وكان معروفاً بعلمه بين الناس. وقد اجتمع عنده مرة بعد رجوعه من الحجّ ثمانون عالماً، ليطرحوا عليه مختلف أنواع الأسئلة، فأجاب الإمام عليه السلام على أسئلتهم جميعاً.

وقد اجتمع حوله في أحد الأيام جمع من الناس في مكّة وطرحوا عليه آلاف الأسئلة في مجلس واحدة، وأجاب الإمامعليه السلام على أسئلتهم دون تردد أو إبطاء، وكان يومها في التّاسعة من عمره. غير أنّ مثل هذه الظّاهرة الإعجازيّة ليست أمراً غير عادي بالنسبة لأهل البيتعليهم السلام. ويقال بأنّ أحمد بن الأكثم، المعروف بعلو كعبه في المناظرات، قال للإمام خلال واحد من هذه الاجتماعات:

«يا أبا جعفر، ما تقول في محرم قتل صيداً؟».

قال أبو جعفر:

«في حلّ أو في حرم، عالماً أو جاهلاً، عمداً أو خطأً، صغيراً أو كبيراً، حرّاً أو عبداً، مبتدأً أو معيداً، من ذوات الطّير أو غيرها، من صغار الصّيد أو كبارها، مصرّاً أو نادماً، رمى بالليل في وكرها أو بالنهار عياناً، محرماً للعمرة أو الحج؟».

فانقطع يحيى انقطاعاً لم يخف على أحد من أهل المجلس، وتحيّر النّاس تعجباً من جوابه.

وقد زوّج المأمون ابنته للإمام وطلب إليه أن يبيّن ما الّذي يجب على كلّ صنف من الأصناف الّتي ذكرها في موضوع الصّيد، فأجابه الإمام إلى ذلك. وهذه القصّة معروفة ومشهورة تأريخيّاً.

ن) من هو الإمام على النقى الهادىعليه السلام؟

الإمام العاشر: هو علي النقي الهاديعليه السلام. وهو ابن الإمام محمد الجوادعليه السلام، وأمّه امرأة مغربية تدّعى سمانة.

ولد الإمام في المدينة المنوّرة في الخامس من رجب عام (٢١٤) للهجرة، وكان أفضل رجال زمانه، عالماً كبيراً وكان جوهر السّمو والسّخاء واللطف.

كان يعيش في بيت في منتهى البساطة ويمضي معظم وقته في ترتيل

القرآن الكريم. وهو عاشر خلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد أخذ على نفسه حماية الإسلام من كلّ انحراف وتحريف، ولهذا السّبب أجبره الخليفة العبّاسي الّذي عاش في أيامه على قضاء معظم حياته في نوع من الإقامة الجبريّة في معسكر سرّ من رأى، ومن هنا كانت اتّصالاته بشيعته محدودة جداً.

وكان الإمام الهادي عليه السلام خلال إقامته في المدينة المنوّرة مرجعاً لا محيد عنه للمسلمين، وكان ذلك هو السّبب الّذي دفع الخليفة العباسي (المتوكل) إلى استقدامه إلى سرّ من رأى وحبسه فيها. ولكنّ الخليفة لم يكن بإمكانه أن يطفئ نور الهدى الّذي كان يشع من الإمام.

وقد مات الإمام مسموماً في سرّ من رأى يوم الإثنين في الثالث من رجب عام (٢٤٥) للهجرة، وكان يومها في الثانية والأربعين من عمره، ودفن في سرّ من رأى حيث يرتفع مقامه المعروف.

ولم يكن علم الجراحة معروفاً بشكل جيّد في زمن الإمام عليه السلام، وكان لأحد المسلمين ولد مريض فنصحه أحد الإطباء بإجراء جراحة له. لكن الولد توفي أثناء إجراء العملية الجراحية، ما دفع أسرة الرّجل إلى لومه بسبب قبوله إجراء العملية، عندها ذهب الرجل لمقابلة الإمام عليه السلام وإخباره بما جرى له، وكان من الإمام عليه السلام أن طمأنّه بقوله: «بأنّ الطبيب قد فعل ما كان يتوجب عليه فعله». ويعود الفضل لهذه الحادثة في إقرار الجراحة الّتي لم تكن شائعة في تلك الفترة إلاّ في العالم الإسلامي.

وكان المراؤون في الّدين كثيرين جداً في زمن الإمام الهادي عليه السلام، وكانوا يتسترون بالزّهد ويزعمون أنّ جمال الطّبيعة من شأنه أن يصرف المسلمين عن عبادة الله. وحدث مرّة أن جاء أحد أبناء الإمام عليه السلام فناوله وردة فقبّلها ووضعها على عينيه، ثمّ قال:

«من تناول وردة أو ريحانة فقبّلها ووضعها على عينيه، ثمّ صلّى على

محمد وآله والإئمة عليهم السلام، كتب الله له من الحسنات مثل رمل عالج، ومحا عنه من السّيئات مثل ذلك».

س) من هو الإمام الحسن العسكري عليه السلام؟

الإمام الحادي عشر: هو الحسن العسكري بن الإمام الهادي عليه السلام، وأمه: هي السّيدة حديثة.

ولد الإمام العسكري عليه السلام يوم الإثنين في الثامن من ربيع الثاني عام (٢٣٢) للهجرة، ومات مسموماً يوم الجمعة في السابع من ربيع الأول عام (٢٦٠) للهجرة، وصلّى على جثمانه ولده الإمام الحجة المهدي (عج)، ودفن إلى جانب أبيه في سر من رأى. وكان معروفاً من الجميع بكرمه وإحسانه وعبادته وتواضعه.

كما كان قوي البنية وحسن الوجه، وجليلاً رغم صغر سنه. وكان شبيها برسول الله صلى الله عليه وآله في خلقه، وكان أيضاً أعلم أهل زمانه، ويقال إنّ عدد الّذين قبسوا من أنوار علمه قد بلغ الثمانية عشر ألفاً، ومنهم الفيلسوف المعروف الكندي (أستاذ الفارابي) الّذي أحرق إحدى مخطوطاته في تعارض القرآن؛ بسبب ملاحظات عليها تقدم بها الإمام عليه السلام.

وتروى بحقه الشّهادة التّالية عن إسماعيل بن محمد:

«قعدت لأبي محمد عليه السلام على ظهر الطريق، فلما مرّ بي شكوت إليه الحاجة، وحلفت أنّه ليس عندي درهم فما فوقه ولا غداء ولا عشاء».

فقال: «تحلف بالله كاذباً، وقد دفنت مائتي دينار، وليس قولي هذا دفعاً لك عن العطية، أعطه يا غلام ما معك. فأعطاني غلامه مائة دينار».

ويقال: بأنّ رجلاً سمع بسخاء الإمام، فذهب للقائه؛ لأنّه كان بحاجة إلى خمسمئة درهم، فأعطاه الإمام الخمسمئة درهم وزاد عليها ثلاثمئة.

ومن أخباره أنّ القيظ اشتد في سرّ من رأى فأمر الخليفة الناس بالخروج إلى الاستسقاء، فخرجوا ثلاثة أيام متوالية الى الصحراء ويدعون فما سقوا.

فخرج الجاثليق في اليومِ الرّابع الى الصّحراء، ومعه النصارى والرّهبان وكان فيهم راهب كلّما مدّ يده هطلت السّماء بالمطر فشكّ أكثر الناس وتعجّبوا وصَبُوا إلى دين النصرانية، فانفذ الخليفة إلى الحسن العسكري عليه السلام ـ وكان محبوساً ـ فاستخرجه من حبسه وقال: أدرك أُمّة جدّك فقد هلكت، فقال: إني خارج في الغد ومزيل الشّك إن شاء الله تعالى.

فخرج الجاثليق في اليوم الثالث والرّهبان معه وخرج الحسن عليه السلام في نفرٍ من أصحابه، فلما بصر بالرّاهب وقد مدّ يده أمر بعض مماليكه ان يقبض على يده اليمنى ويأخذ ما بين إصبعيه، ففعل، وأخذ من بين سّبابتيه عظماً، فاخذه الحسن عليه السلام بيده ثم قال له: استسقِ الآن، فاستقى وكان السّماء متغيّماً فتقشّعت وطلعت الشمس بيضاء.

فقال الخليفه: ماهذا العظم يا أبامحمد؟ قال عليه السلام: «هذا رجل مرّ بقبر نبيّ من الأنبياء فوقع إلى يده هذا العظم، وما كشف من عظم نبيّ إلاّ وهطلت السّماء بالمطر».

وكان النصارى يقرون بأنّ الإمام عليه السلام كان شبيهاً بالمسيح عليه السلام لجهة أعماله الصّالحة ومعارفه وقدرته على فعل المعجزات بإذن الله.

وكان الإمام العسكري عليه السلام شديد الاجتهاد في العبادة، ويقال بأنّه كان يصلّي الشّطر الأكبر من الليل.

ع) من هو الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف؟[1]

فكرة ظهور المخلّص[2] هي فكرة سابقة على الإسلام، ومعترف بها من قبل العديد من ديانات البشر ومعتقداتهم، حتّى إنّ الماديّة الديالكتيكية الّتي تفسّر

---

١. تقول العقيدة الإسلاميّة بأنّ المسيح عليه السلام قد رفع إلى السّماء وسيعود في آخر الزّمان.

٢. كلّ هؤلاء ينتمون إلى مجال الاجتهاد المطلق، تمييزاً لهم عن المراجع الّذين لم يبلغوا هذا المستوى.

التّأريخ عن طريق التّناقضات تعترف بتلك الفكرة، وتعتقد بيوم موعود تزول فيه تلك التناقضات، وتفسح المجال لظهور مجتمع مثالي هو المجتمع الشّيوعي.

وبالطّبع فإنّ جميع المذاهب الإسلاميّة تقرّ بهذه الفكرة، كما يجمع المسلمون على حقيقة المهدي عجّل الله فرجه وعلى أنّه:

من آل الرّسول صلّى الله عليه وآله وأنّ الله يخرجه ذات يوم ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن تكون قد ملئت ظلماً وجوراً،

يحكم العالم كما وعد الله في قوله: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾، و وأكّدت عليه مختلف الأحاديث الواردة عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله.

يقود البشرية إلى السّعادة بعد أن تكون قد غرقت في الشّقاء والبؤس.

يستقبل المسيح عيسى بن مريم عليه السلام عند نزوله من السّماء، فيأتمّ المسيح به ويصلّي بصلاته.

كما وردت عنه معلومات أُخرى في حوالي (٣٣٩) حديثاً مذكورة في مختلف المصادر.

ومن هذه المصادر، نذكر الطوسي والمجلسي من المذهب الجعفري، والإسفراييني من المذهب الحنبلي، والشّوكاني من المذهب الزيدي، وصديق حسن خان، ومحمد بن الحسين الآبري. وكلّ ما ذكره هؤلاء حول المهدي هو في جملة ما وصل إليه أئمة المذاهب الثّمانية، وخصوصاً المذاهب الخمسة الأكثر شيوعاً، ومنها:

مذاهب الإمام جعفر الصّادق عليه السلام وتلميذيه: مالك: إمام المذهب المالكي، وأبي حنيفة: إمام المذهب الحنفي. ومنها أيضاً: مذهبا الشّافعي وابن حنبل. أمّا المذاهب الثّلاثة الأُخرى ـ الزّيدي، والأباضي، والظّاهري ـ فإنّ أحداً منهم لم يخالف ـ على حدّ علمنا ـ ما صحّ من الأخبار حول حقيقة المهدي عجّل الله فرجه.

أمّا الأخبار الواردة عن أئمة أهل البيتعليهم السلام فتقول: بأنّه الإمام الثّاني عشر، هوالأخير بين قادة الأُمة الّذين عيّنهم الله تعالى، وهو صاحب الزّمان الّذي سيخرج لإنجاز مهمّته كما هي موصوفة في الأحاديث.

ولا بدّ من التّذكير أنّ الخلاف حول هذا الموضوع بين المؤمنين لا يمسّ جوهر المسألة، أي: خروج رجل يصلح أوضاع الأُمة بعد فترة طويلة من تفشي الظّلم والعذاب والاضطهاد. والحقيقة أنّ الجانب المعجز في هذه المسألة إنّما يكمُن في عملية الإصلاح، تلك أكثر ممّا يكمن في الطّول الاستثنائي فعلاً لعمر الإمام المهديعجل الله فرجه والّذي بلغ حتّى الآن ألفاً وثلاثمئة عام.

وبنتيجة التّحليل نصل إلى نتيجة مفادها أنّ عقيدة أهل البيتعليهم السلام تظلّ - مع كونها عقيدة لامادية، وبالتّالي أقلّ استعداداً، فيما يبدو، لاجتياز اختبار البرهنة الرّياضية - أكثر تماسكاً وقدرة على الإثبات.

فهي متماسكة.

أولاً: فيما يتعلق بموقع صاحب الزّمان الّذي يشغله المهديعجل الله فرجه من خلال وظيفته الّتي يستتبعها ذلك من حيث هو رقيب على الأمة - فأفضل رقيب في هذه الحالة هو الّذي يعرف الوقائع الّتي يعيشها من يقوم بمراقبتهم - خصوصاً؛ لأنّه نهل من منبع المعرفة النبويّة من لدن الأئمةعليهم السلام بما هم حفظة صفاء تعاليم النّبيّﷺ.

وبالنّظر إلى كونه أحد الأئمة الإثني عشر؛ فإنّه قد شهد جميع الانحرافات الّتي وقعت فيها الأمة ويمكنه - بالتّالي - أن يكون أفضل من يقوم بإنقاذها وقيادتها على طريق الكمال بأمر رحماني من الله تعالى.

إنّ هذا التّحول للسرّ المستقبلي إلى واقع (الوجود الفعلي معنا وبيننا للمخلّص الّذي يتطلّع معنا إلى اليوم الموعود دون أن يظهر بين الناس أو أن يكشف عن وجوده للآخرين) إنّما ينقل فكرة المهديعجل الله فرجه من المستقبل إلى الحاضر.

ثانياً: أكثر قدرة على الإثبات، لا بل ميسورة الإثبات، إذا ما رجعنا إلى البرهنة الرّائعة والجليّة الّتي قدمها حول هذا الموضوع السّيد محمد باقر الصّدر، في مقدّمته للمؤلف الّذي وضعه حول الإمام المهدي عليه السلام تلميذه وقريبه السّيد محمّد الصّدر. وسنحاول فيما يلي ـ مع ما يكتنف مثل هذا العمل من مجازفات ـ أن نقدّم تلخيصاً موجزاً لأهّم النقاط الّتي وردت في تلك المقدّمة:

فهو يذكر ـ قبل كلّ شيء ـ أن تجسد فكرة المهدي في شخص الإمام محمد بن الحسن عليه السلام يثير جملة من التّساؤلات والشّكوك عند كثير من المسلمين. ثمّ يقوم بجمع ذلك في مجموعة من سبع تساؤلات أساسية قبل أن يعمد إلى الإجابة عليها، بمنهجية علميّة لا يمكن لأيّ مفكر عقلاني أن يعترض عليها. فقد بيّن ـ بعد تحليل علمي وفحص دقيق لهذه المعجزة ـ أنّ ما يبدو غير معقول في العادة (أي: الطّول غير العادي لعمر المهدي) هو أمر ممكن علميّاً ومقبول منطقيّاً.

فلكي يبرهن ـ على سبيل المثال ـ كيف يمكن أن يكون عمر المهدي عليه السلام طويلاً إلى هذا الحد؟ يبدأ السّيد محمّد باقر الصّدر بتبيان أنّ دائرة الإمكان المنطقي (أو الفلسفي) تنطوي على دائرة الإمكان العلمي الّتي تنطوي بدورها على دائرة الإمكان العملي.

المثال الأوّل: هو إمكانية قسمة ثلاث برتقالات إلى قسمين متساويين دون باقٍ. ذلكم أنّ العدد (٣) هو عدد وتري ولا يمكنه أن يكون شفعيّاً في الوقت ذاته (أي: قابلاً للقسمة على ٢) ما يعني أنّ عمليّة القسمة هذه تقع في التّناقض، في حين أنّ التّناقض مستحيل من النّاحية المنطقيّة.

المثال الثّاني: هو عدم الانتفاء المنطقي لإمكانية العبور في النار، أو الصّعود إلى الشّمس دون التّعرض للإحتراق بفعل الحرارة؛ وذلك لوجود إمكان منطقي لانتقال الحرارة من جسم أكثر برودة إلى جسم أقل برودة،

والعكس بالعكس، غير أنّ الواقع العلمي يثبت أنّ الممكن هو الانتقال من الحار نحو البارد حتّى حصول حالة التّوازن. هنالك إذن واقع ممكن منطقياً (الصعود إلى الشمس) وغير ممكن علمياً؛ لاستحالة تصوّر وجود درع هو من القوّة بحيث يمكنه تحمّل الحرارة الشّمسية القصوى.

المثال الثّالث: هو أنّ الوصول إلى كوكب الزّهرة (وهو بشكل واضح أكثر بعداً عن الأرض من القمر، وأكثر قرباً إلى الشمس من الأرض) هو على عكس المثال الثّاني، ممكن منطقياً وعلمياً ولكنّه لا يزال غير ممكن عملياً، حتى الآن.

وعلى ذلك يجد السّيد محمّد باقر الصّدر أنّ البقاء على قيد الحياة لمدة طويلة بشكل استثنائي يزيد عن (١١٤٠) عاماً حتى الآن هو أمر معقول منطقيّاً؛ لأنّ الحياة بما هي مفهوم لا تشتمل على فكرة الموت السّريع، وهذا أمر لا نقاش فيه.

ثمّ يؤكّد ـ بعد ذلك ـ أنّ مثل هذه الحياة الطّويلة تظلّ ممكنة نظريّاً على المستوى العلمي وإن كانت غير ممكنة من الناحية العملية وعلى مستوى الوسائل العلمية الرّاهنة. وبالفعل هنالك وجهتا نظر في موضوع الهرم والشيخوخة عند الإنسان.

الأولى: تتحدث عن قانون طبيعي ملازم للخلايا وللأنسجة الحيّة الّتي تحمل بذرة موتها المحتوم بعد المرور بالهرم والشيخوخة لتنتهي بالموت.

أمّا الثّانية فتقول: بأنّ الظّاهرة ناجمة عن الصّراع بين الجسد وبين عوامل خارجية من نوع الجراثيم أو التّسمم، وهي عوامل تنشأ عن التّغذية المفرطة أو عن الإنهاك في العمل وما إلى ذلك. وبموجب وجهة النظر هذه، فإنّ بقاء المهدي(عج) حيّاً لكلّ هذه الفترة الطّويلة هو أمر ممكن علميّاً؛ إذ يكفي أن يتمّ تأمين حماية الجسم من هذه العوامل الخارجيّة، بحيث يمكن لأنسجة

الجسم أن تواصل الحياة وأن تتجاوز ظاهرة الشّيخوخة وتقهرها بشكل نهائي.

ويتابع السّيد الصّدر قائلاً: «فيما يتعلق بوجهة النّظر الأولى لا شيء يمنعنا من أن نتصور وجود طبيعة مرنة للقانون المذكور؛ لأنّنا نلاحظ في حياتنا العادية أنّ أشخاصاً متقدمين في العمر يمتلكون أعضاء ما تزال فتيّة تماماً. وهذا الأمر سمح لبعض العلماء بالاستفادة من مرونة قانون الشّيخوخة في إطالة عمر بعض الحيوانات لمئات المرات، وذلك عبر تهيئة الظّروف والعوامل الّتي تحدّ من تأثيرات ذلك القانون».

ثمّ يضيف: «وحتّى وإن كان من الصّحيح أنّ التّجربة العلميّة لم يمكن لها حتّى اليوم أن تجد طريقها إلى التّطبيق على مستوى الإنسان، فإنّ بإمكاننا أنّ نستنتج أنّ إطالة الحياة البشرية لقرون عديدة هي أمر ممكن منطقياً وعلمياً، حتّى وإن لم يتحقق ذلك حتّى الآن على مستوى التّطبيق، وأن التّطبيق العلمي يتّجه نحو تحقيق هذه الإمكانية على المدى الطّويل».

من هنا، فإنّ الاستغراب والتّساؤل اللذين تثيرهما مسألة استمرار المهدي عجل الله فرجه في الحياة لا مبرر لوجودهما؛ لأنّ الإسلام لا يتجاوز حركة العلم في هذا المجال وحده. فالدّور الاستثنائي للمخلّص المنتظر الّذي يمثله المهدي عجل الله فرجه بما هو مكلّف بتغيير العالم وبإعادة تأسيس بنيته الحضارية، هو بمستوى الظّواهر الخارقة للمألوف وغير العاديّة الّتي تصاحب ذلك الدور.

«وبالمناسبة فإنّ الرجلين الوحيدين المكلّفين بتخليص البشرية من محتواها الفاسد، وإعادة بنائها يتمتّعان بحياة طويلة لا تتناسب مع المألوف في الطبيعة».

الأول: هو نوح عليه السلام الّذي قال عنه القرآن بأنّه دعا الناس خلال «ألف سنة إلّا خمسين عاماً»، أي أنّه عاش (لفترة أطول) بين بني قومه، واستطاع بفضل الطوفان أن يعيد بناء العالم.

أمّا الثاني: فهو المهدي عجّل الله فرجه الّذي عاش حتّى الآن لأكثر من ألف عام بين بني قومه، وعليه أيضاً أن يعيد بناء العالم». فلماذا إذن نقبل الأول ولا نقبل الثاني؟

وأخيراً يذكّرنا السيد محمد باقر الصّدر، بأنّ إبراهيم عليه السلام عندما ألقي في النّار ﴿قُلْنَا يا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾،[1] فخرج منها سالماً.

ثمّ إنّ هنالك الكثير من القوانين الطّبيعيّة الأُخرى الّتي تمّ تعطيلها بهدف حماية حياة الأنبياء والرّسل. فقد حدث ذلك عندما شقّ اللهُ البحر لموسى عليه السلام، أو عندما جعل اليهود والرّومان يعتقدون خطأً بأنّهم قبضوا على المسيح عليه السلام، أو عندما أخرج النّبيّ محمد صلى الله عليه وآله من بيته دون أن تلحظ ذلك قريش الّتي كانت قد طوّقت البيت ورصدته عن كثب وبمنتهى الانتباه بانتظار اللحظة المناسبة لمهاجمته.

كلّ هذه الأمثلة تشهد على تعطيل القوانين الطّبيعيّة بهدف حماية شخص اختارت العناية الإلهيّة أن تحافظ على حياته، ويمكن لقانون الشّيخوخة أن يوضع في عداد تلك القوانين.

وبعد الاجماع (المستند إلى الأحاديث النّبويّة) الّذي تحقق حول مسألة المهدي عجّل الله فرجه حتّى نهاية القرن الثّالث الهجري، انقسم العلماء المسلمون حول هذا الموضوع إلى آخر يقين:

الفريق الأوّل ـ وهو لحسن الحظ الفريق الأوفر عدداً ـ: ضمّ العلماء الّذين يعتقدون بشكل راسخ بأنّ المهدي عجّل الله فرجه سيخرج عندما يحين أوان خروجه، وهم يستندون في ذلك إلى أحاديث الرّسول صلى الله عليه وآله الصّادق الّذي تشكّل أقواله حقائق لا مراء فيها، وهؤلاء لا يحتاجون إلى أدلّة أو حجج لتدعيم معتقدهم،

---

١. الأنبياء: ٦٩.

فهو بالنّسبة لهم أمر يقيني يعتقدون به كما ولو أنّه تحقق تحت أبصارهم.

وفي مقابل هؤلاء ـ و هم الفريق الثّاني ـ هنالك ولله الحمد عدد قليل ممّن ينكرون بكلّ بساطة هذه المعجزة وغيرها من المعجزات المشابهة. فبالنّسبة لهؤلاء المنكرين، وهم ماديّون مغرقون في ماديتهم، يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعضه، لا قيمة إلاّ للمنطق الخاص بعقلهم، إنّهم يجهلون وجود عقل أقوى هو عقل الله أو العقل القاعدي، بحسب تعبير الدكتور حميد داود[1]، وهو العقل الّذي يتمتع بملكة المزاوجة بين الأدواتي (الّذي تقدمه النّصوص المقدّسة) وبين العقلي.

وهم يحرمون بذلك أنفسهم من الحقائق اليقينيّة الّتي شاء الله أن يميّز بواسطتها بين أُمتنا وسائر الأُمم، على ما ورد في حديث خاتم الأنبياء المصطفىﷺ، حيث قال: بأنّ أيّة أُمّة لم تعرف من الحقائق اليقينيّة مثل ما عرفته أُمته.[2]

ومع ما تحقق في أزمنتنا الحديثة من مظاهر التّقدم العلمي المذهل، فَقَد هؤلاء الّذين يحملون إيديولوجياً علميّة كاذبة مزيداً من الحظّ في أن يفهموا، ناهيكم عن أنّ يؤمنوا بالماورائيات وببعض الأحداث الّتي ينقلها إلينا القرآن تارة والحديث تارة أُخرى.

ومهما يكن حظهم من المعرفة فإنّهم ينسون أو يجهلون حقيقة جوهريّة قوامها: أنّ الواقع لا يقف عند حدود ما يمكننا أن نتناوله بحواسنا.

---

١. في مقدمته للمقدّمة الشّهيرة الّتي كتبها السّيد محمّدباقر الصّدر لكتاب السّيد محمّد الصّدر حول الإمام المهدي عليه السلام.

٢. المقصود هو العلم الّذي لا يقتصر على التّجريب في المختبر على الأشياء القابلة للتغيير، فالعلم الحقيقي هو، كل شيء، منهاج يقع موضوعه فوق مجال المرئيات والمحسوسات.



الخلافة

قبل ثلاثة أشهر من التحاقه بالرفيق الأعلى كان رسـول الله صلى الله عليه وآله قـد أكمـل لنا ديننا في غدير خم[1] بعد حجه الأخير إلى مكة، وذلك عندما نزلت عليه الآية: ﴿... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.[2]

فبعد أن أبلغ الناس بـالوحي الإلهـي، ومـا نـزل مـن القـرآن وأدى (حجـة الوداع) فـي مكّـة، لـم يبـق عليـه إلاّ أن يعـيّن الخليفـة الّـذي اختـاره الله نفسه لاستكمال مسيرة الخلاص لخليقته، وكان ذلك ما فعله في غـدير خـم قبـل أن يختم بالآية الشّهيرة الّتي أوردناها أعلاه.

من الواضح إذن أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله كان عليه أن يغـادر هـذا العـالم عنـد نهايـة مهمّته، كما أنّه من الواضح أيضاً أنّ الله تعالى بحبّه غير المحـدود لخليقتـه قـد ترك للنّاس حرية سلوك السّبيل

المفضي إلى مجتمع التّوحيد الإلهـي بعـد أن حـدّد لهـم الثّقلـين الواجـب

---

١. راجع: حول غدير خم في الشّروحات المقدّمة للدّليل في الفصل المخصّص للأدلّة.

٢. المائدة: ٣.

عليهم أن يتمسّكوا بهما لكي لا يضلّوا: كتاب الله وعترة النّبيّ صلى الله عليه وآله[١] بدأً بالإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

إنّ حريّة الاختيار والضّعف البشري أمام جاذبيّة السّلطة سيعترضان هذا التّوجه الكبير عبر معركة من أجل الخلافة، لم تنته إلاّ بانقسام الأُمّة الإسلاميّة إلى حشد من المجموعات الصّغيرة، وخصوصاً بالابتعاد عن السّبيل الوحيد الّذي يعترف الجميع بصدقه وأحقيّته، ألا وهو سبيل العترة النبوية عليهم السلام.

وصية النّبيّ صلى الله عليه وآله أمر إلهي

يقول الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ * فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٢]

إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وهو خير البشر وصورة الكمال الإلهي؛ لا يمكنه أن يخرج عن القاعدة وأن يترك أُمّته بلا وصية، أي ـ بالتّالي ـ بلا خليفة، خصوصاً عندما نعلم مدى أهميّة وقيمة التّركة الّتي خلّفها وراءه.

وبالفعل فإنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قد ترك أشياء لم يتركها أحد غيره، وهي أشياء تتطلب أن يترك وصية بشأنها، ونحن نعلم أنّه ترك دين الله وهو لا يزال في طور بدايته الأُولى، وهو ما يجعل الوصي أكثر أهميّة بكثير ممّا لو كانت

---

١. بعض المسلمين يقولون خطأً بأنّ المقصود بذلك هو سنّة الرّسول صلى الله عليه وآله لا عترته عليهم السلام. فإذا ما علمنا أنّ الخلفاء الثّلاثة الأوّل (أبا بكر وعمر وعثمان) قد منعوا تدوين السّنة خوفاً من أن يحسبها النّاس من القرآن (والمعروف أنّ عمر كان قد قال: حسبنا كتاب الله)، يصبح من غير الممكن بناء إيمان الشّخص على ما يرفض كتابته وما لا يمكن نقله بطريقة موثوقة أُخرى، خلافاً لما هو عليه الأمر عند أهل البيت عليهم السلام الّذين سيستمرون في الوجود بإذن الله إلى آخر الزّمان.

٢. البقرة: ١٨٠ ـ ١٨٢.

التّركة فضّة أو ذهباً أو منزلاً أو حقلاً أو أنعاماً.

فالأُمّة بأسرها تحتاج إلى وصيّ يخلف النّبيّﷺ ويهتم بأمورها وينظّم شؤون هذا العالم وهذا الدّين، وأن يكون ضامناً لمواصلة السّعي في السبيل القويم.

من هنا فإنّه من المستحيل ـ سواء على مستوى الشّريعة الإلهية أم على مستوى العقل الخالص، بل على مستوى الحقيقة التّأريخيّة ـ ألاّ يكون النّبيّﷺ قد ترك وصية لأُمّته.

قال الله تعالى: ﴿يا أَيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.[1]

إذن كان النّبيّﷺ قد تلقّى أمراً من الله بأن يعلّم قومه باسم خليفته، وهذا ما جعله يجمعهم على عجل في غدير خم في الظّروف المعروفة لكي يعلّمهم باسم خليفته ووصيه:

> إنّي أوشك أن أدعى فأجيب وإنّي مسؤول وإنّكم مسؤولون فماذا أنتم قائلون؟». قالوا: نشهد إنّك قد بلّغت وجاهدت ونصحت، فجزاك الله خيراً، فقال: «أليس تشهدون أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً عبده ورسوله، وأنّ جنته حق، وأنّ ناره حق، وأنّ الموت حق، وأنّ البعث حق بعد الموت، وأنّ السّاعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور؟» قالوا: بلى نشهد بذلك. قال: «اللهم اشهد». ثم قال: «يا أيّها النّاس إنّ الله مولاي وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه، فهذا مولاه ـ يعني عليّاً ـ اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره...».

وكان عمر وأبوبكر في أوائل من هنؤوا الإمام علياًعليه السلام. وقد هنأه عمر بقوله: «بخ، بخ، أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة».

---

١. المائده: ٦٧.

أليست الوصية عبارة عن أن يقوم شخص بإيكال بعض أموره إلى شخص آخر؟

إذا كان الأمر كذلك فإنّ وصية النّبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام لا يمكن إنكارها، لأنّه لا شكّ على الإطلاق في أنّه أوصى عليّاً عليه السلام ـ بعد أن علّمه العلم والحكمة ـ بمهمّة غسله وتكفينه ودفنه،[١] ووفاء دينه ووعوده وتبرئة ذمّته، وبأنّ يبيّن للناس الحقّ والشّرائع المنزلة من الله عزّوجل، إذا ما ذرَّ بينهم قرن الفتنة. لقد أعلم النّبيّ صلى الله عليه وآله أُمّته بأنّ عليّاً عليه السلام هو قائدها من بعده، وبأنّه أخوه وأب أبنائه و وزيره. وهو إلى ذلك ابن عمّه ووصيّه وباب مدينة علمه وبيت حكمته، وباب حطّة الأُمّة وأمانها وسفينة نجاتها.[٢]

وعلينا أن نتذكّر أنّ المرة الأُولى الّتي أعلن فيها النّبيّ صلى الله عليه وآله على رؤوس الأشهاد هوية الخليفة الّذي اختاره الله، إنّما تعود إلى بدايات البعثة،[٣] أي: عندما أمره الله بأن ينذر عشيرته الأقربين في (يوم الدار).

ومن يومها لم يتوقّف النّبيّ صلى الله عليه وآله عن التّذكير بهذه الوصية حتّى لحظة وفاته. فقد عزم النّبيّ صلى الله عليه وآله في تلك اللحظة الأخيرة على كتابة وصيّته لعليّ عليه السلام لتأكيد ما سبق وقاله شفاهاً. فقال: «إئتوني بكتف أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً». لكنّهم تنازعوا ولا ينبغي عند النّبيّ صلى الله عليه وآله تنازع، وقالوا بأنّ النبي يهجر.[٤] (والعياذ بالله) من قولهم، قالوا ذلك مع أنّ الله يقول في كتابه الكريم: بأنّ النّبيّ لا ينطق عن الهوى، وبأنّ كلّ ما يقوله حق وذو معنى (انظر الفصل

---

١. نقل ابن‌سعد في *طبقاته*: ص٦١: أنّ عليّاً عليه السلام قال: «أمر النّبيّ صلى الله عليه وآله بإلاّ يغسّله أحد غيري».

٢. راجع: *المراجعات* بين الشّيخ سليم البشرى والسّيد شرف الدين العاملى: ص١٨٣.

٣. راجع: تفسير الآية وأنذر عشيرتك الأقربين ٢ ـ ٢.

٤. نقله بحرفيته محمد بن إسماعيل البخاري في *صحيحه*: ١١٨/٣؛ كما أورده كلّ من مسلم وابن حنبل. للمزيد من التّفاصيل، راجع: تفسير الآية د١ المتعلّقة بأهل البيت عليهم السلام في الفصل الثّاني.

الّذي يتحدث عن عصمة النّبيّ).

وعندها علم النّبيّ بأنّ ما كان سيكتبه سيفضي إلى الفتنة، لذا أمرهم بأن يقوموا عنه. وهنا يمكننا أن نتساءل عمّا إذا كان هؤلاء الصّحابة قد تذكّروا في تلك اللحظة الآية الكريمة الّتي تقول:

﴿يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾.[1]

وقد كان النّبيّ صلى الله عليه وآله قد طلب إلى أُمّته مرات ومرات بأن تتمسّك بالثّقلين، كتاب الله وعترته أهل بيته. وهاكم نصّ حديث الثقلين:

إنّي تارك فيكم الثّقلين: كتاب الله عزّوجل، كتاب الله حبل ممدود من السّماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنّ اللطيف الخبير أخبرني بهما أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلّفوني فيهما.[2]

وبالنتيجة، وعلى الرغم من عدم كتابة الوصيّة في حينها، فإنّها معروفة من قبل الجميع؛ لأنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله تلفّظ بها مرات عديدة وعلى رؤوس الأشهاد.

لقد بلّغ نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله رسالته، وأرضى بذلك ربّه الّذي أنزل عليه الآية التّالية بعد وقت قليل من إعلان غدير خمّ الشّهير: ﴿... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾.[3] وبعد العودة من غدير خمّ، اعتل النّبيّ صلى الله عليه وآله، ثمّ التحق بالرّفيق الأعلى بعد ذلك بمدّة تراوحت ـ وفق ما يقوله الرّواة وكتاب السّير ـ بين أربعة عشر وسبعة عشر يوماً. وكان النّبيّ قد علم بذلك مسبقاً وأخبر به أُمّته.

وكانت بداية علّته في شهر صفر من العام (١٢) بعد الهجرة. وفي يوم

---

١. الحجرات: ٢.

٢. *صحيح مسلم*: ٢٣٨/٢.

٣. المائده: ٣.

الإثنين الّذي سبق وفاته انتقل بمعسكره إلى الجرف الواقعة على بعد خمسة كيلومترات من المدينة، على الطّريق نحو بلاد الشام، وكان قد أُمّر على تلك البعثة شاباً بعمر ثمانية عشر عاماً هو أُسامة بن زيد، وكان زيد أبوه مولى لخديجةعليها السلام فوهبته لرسول اللهﷺ، وقد أعتقه الرّسولﷺ بعد ذلك وربّاه كما يُربّي المرء ولده. ثمّ أمّره الرّسولﷺ على الجيش الّذي بعثه إلى مؤتة بعد جعفر بن أبي طالبعليه السلام وعبد الله بن رواحةرضي الله عنه، حيث قتلوا جميعاً. وكان الرّسولﷺ قد بعث الحارث بن عمر الأنصاري بكتاب إلى حاكم البصرة، لكنّه وقع أسيراً في يد أحد قادة الرّوم المدعو شرحبيل بن عمرو الغساني الّذي قتله بعد أن أطّلع على الكتاب الّذي كان بحوزته.

عندها جرد النّبيّﷺ جيشاً من ثلاثة آلاف رجل وكلّفة بمهمّة الكشف عن السّبب في مقتل رسوله، لكنّ الجيش المذكور هوجم من قبل العدو وقتل أكثر أفراده، وكان قادته في أوّل من قتل. وفي هذه الظّروف تكلّم المنافقون في تأمير النّبيّﷺ لزيد.

إذن كان أُسامة ابن ذلك القائد الفذ، ولهذا كلّفه النّبيّﷺ بطلب الثأر لأبيه وسائر شهداء مؤتة، وفق العرف السّائد عند العرب، وقد رفض بعض الصّحابة امتثال أمر النّبيّﷺ واعترضوا على وضع الجيش تحت إمرة رجل كان أبوه من الموالي، إضافة إلى حداثة سنّه وقلّة تجربته، على ما قالوا.

وفي يوم الخميس التّالي عزم النّبيّﷺ على أن يكلّم القوم للمرّة الأخيرة بشأن بعث أسامة، والحقيقة أنّ أخبار الاعتراض على اختياره لأُسامة، وتمنّع البعض عن الذّهاب إلى الجرف، كانت قد بلغت النّبيّﷺ. وكانت العلّة قد اشتدت عليه في ذلك اليوم، غير أنّه كان مصمّماً على الحديث إليهم؛ لأنّ تأثير المفاجأة كان أساسياً لتلك البعثة كما كان قد سبق له وأخبرهم، لذا خرج إليهم متوكئاً على رجلين هما الفضل بن العباس بن عبد المطلب والإمام

عليّ عليه السلام. وكان الإمام عليّ عليه السلام هو نفسه من ساعد الرّسول صلى الله عليه وآله بمعية الفضل بن العباس على المشي عندما وافقت نساؤه ـ بطلب من أقاربه ـ على عدم تنقله بين بيوتهن بسبب وضعه الصّحي، وقد نقلاه يومها من بيت ميمونة، إحدى أُمهات المؤمنين، إلى بيت عائشة حيث أقام حتى لحظة التحاقه بالرفيق الأعلى.

إذن ارتقى النّبيّ المنبر في ذلك اليوم[1] وقال في جملة ما قال:

«أيّها النّاس، أسامة خليق لها، وإن قلتم فيه لقد قلتم في أبيه من قبل».[2]

ثمّ قال:

«أتمّوا بعث أسامة، لعن الله من تخلّف عن بعث أسامة».[3]

ولم يبق معه يومها غير أفراد أُسرته من آل البيت عليهم السلام، ويشهد على ذلك ابن قتيبة في كتابه *الإمامة والسياسة*.

ومع كلّ ذلك لم يلبث بعض الصحابة أن رجعوا سريعاً بعد أن أعلموا بتدهور صحة النّبيّ صلى الله عليه وآله، وبالطّبع كان من المهمّ جداً بالنّسبة لأُولئك الّذين كان يهمهم أن يخلفوه أن يكونوا حاضرين لحظة وفاته.

وفي يوم الإثنين الّذي سبق الوفاة تقدّم النّبيّ بوصاياه الأخيرة لنسائه، من خلال تذكيرهن بقوله تعالى:

﴿يا نِسَاءَ النَّبِي لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِي بُيوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يرِيدُ اللَّهُ لِيذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيتِ وَيطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.[4]

---

١. راجع: *تاريخ الطّبري*: ٢٢٦/٣؛ *تاريخ ابن الأثير*: ٣١٧/٢.

٢. راجع: المقدمة الرّابعة لـ *الملل والنحل*؛ *السّقيفة للجوهري*؛ وابن أبي الحديد في شرح *نهج البلاغة*: ٢٠/٢.

٣. راجع: *مدارج النبوة*؛ وكذا، شرح *المواقف*: ٣٧٦/٨.

٤. الأحزاب: ٣٢ ـ ٣٣.

وينقل البخاري والكثيرون غيره من رواة الحديث ـ في الفصل المتعلق بوفاة الرّسولﷺ ـ أنّه طلب إلى ابنته فاطمة الزهراءعليها السلام أن تقترب منه، ثمّ همس في أذنها كلاماً، فبكتْ، ثمّ عاد الرّسولﷺ فهمس في أذنها مرة ثانية، فتبسمت.

ولمّا سئلت الزّهراءعليها السلام ـ فيما بعد ـ عمّا أسرّه إليها النّبيّﷺ، قالت بأنّه أخبرها في المرة الأُولى بأنّه سيفارق هذه الحياة وشيكاً، وفي المرة الثّانية بأنّها ستكون أوّل من يلحق به من أهل بيته. وبالفعل توفيت الزّهراءعليها السلام بعد وفاة أبيهاﷺ بستّة أشهر.

ثمّ أخذ النّبيّﷺ برأس الإمام عليّعليه السلام ثم غطّاه مع رأسه بكسائه واستمرا على هذه الحال حتّى أخرج عليّعليه السلام رأسه ليعلن وفاة رسول اللهﷺ.[١]

وكان التّحاق رسول اللهﷺ بالرّفيق الأعلى ومالك الأنفس في صبيحة يوم الإثنين، وكان الحزن عليه كبيراً و الأسى عميقاً جداً.

وما أن علم عمر بالأمر حتّى سارع إلى النّبيّﷺ ليتحقق من وفاته، ثمّ صاح بالحاضرين قائلاً: «لم يمت رسول الله وإنّما ذهب إلى ربّه، كما ذهب موسى بن عمران، فغاب عن قومه أربعين ليلة ثّم رجع بعد أن قيل قد مات». ثّم شهر سيفه مهدّداً وقال: «سأقطع رأس كلّ من يقول بأنّ النّبيّﷺ قد مات».

ثمّ جاء أبو بكر واستمع إلى كلام عمر، ثمّ ذهب ليتحقق من حال النّبيّﷺ. وعند عودته كان عمر لا يزال يتوعد النّاس، فكلّمه فلم يصغ إليه، عندها خاطب أبو بكر النّاس قائلاً:

---

١. يقول ابن قتيبة في *الإمامة والسّياسة*: أن أبا بكر هو من حسم الأمر، ولكنّ جميع كبار الرّواة يؤكّدون أنّ أبا بكر كان حينئذ في السّقيفة.

أنسيتم ما أنزل الله على رسوله يوم أحد؟ أما علمتم بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾.[١]

وتابع أبو بكر قائلاً: «من كان يعبد محمداً فإنّ محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإنّ الله حي لا يموت».

ثمّ تلا قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾.[٢]

وفي هذه الأثناء كان الإمام عليّ عليه السلام منشغلاً بتجهيز النّبيّ صلى الله عليه وآله، وساعده في ذلك العباس، وولداه الفضل وقثم وقد غطّوا النّبيّ صلى الله عليه وآله بقطعة قماش وقام عليّ عليه السلام بغسله.

وبعد الفراغ من غسله كفّنوه بثيابه الّتي كان يرتديها قبل أن يدرجوه في ثوبين من قماش أبيض ثم بثوب من مقطّعات اليمن. وبعد ذلك، جاء وقت الصّلاة على الجثمان، فصلّى عليه عليّ عليه السلام أمام أقارب النّبيّ صلى الله عليه وآله، وبعدهم المهاجرون والأنصار الّذين دخلوا للصّلاة عليه تباعاً في مجموعات من عشرة أشخاص.

ولمّا لم يبق غير الدّفن نشب الخلاف حول مكان دفنه، لكنّ علياً عليه السلام حسم الأمر قائلاً: بأنّه سمع النّبيّ صلى الله عليه وآله يقول: بأنّه «ما قبض نبيّ إلاّ يدفن حيث قبض».

ولمّا أرادوا أن يحفروا لرسول الله صلى الله عليه وآله، وكان أبو عبيدة بن الجراح يضرح كحفر أهل مكة، وكان أبو طلحة زيد بن سهل هو الّذي يحفر لأهل المدينة. فأرسل العباس في طلب كلّ منهما رجلاً، فأمّا الرّجل الّذي ذهب في

---

١. الزّمر: ٣٠.

٢. آل عمران: ١٤٤.

طلب أبي عبيدة فلم يجده، فجاء أبو طلحة فلحد لرسول اللهﷺ.

ودفن رسول اللهﷺ ليلة الثلاثاء أو عند فجر الأربعاء. وكان الإمام عليّعليه السلام آخر من خرج من قبر النّبيّﷺ، وبعد إقفال اللحد أهيل عليه التّراب بعد أن بلل بقليل من الماء.

خلافة الإمام عليعليه السلام

كان أوّل عمل قام به الخليفة الجديد هو الاستجابة لطلب المسلمين الّذين طالبوا بعزل الولاة الّذين كانوا يحكمون الأمصار بغيرَ العدل.

وفي ما يتعلّق بمعاوية، رفض الإمام عليّعليه السلام اقتراح ابن عباس بعدم بعزله بشكل فوريّ بالنّظر إلى ما كان يتمتّع به من شعبية في بلاد الشّام، وكذلك لعدم توفر النيّة لديه في التّخلي عمّا بيده. وشرح عليّعليه السلام موقفه بأنّ قال بأن شريعة الله لا تسمح بالخداع والمخاتلة، وبأنّه لن يسمح لأحد من هؤلاء الولاة بالبقاء في عمله ولو ليوم واحد.

ثمّ طلب إلى عبد الله بن عباس أن يتوجّه إلى الشّام لاستلام العمل مكان معاوية، ولكن ابن عباس رفض ذلك واعتل بأنّ معاوية قد يقتله بسبب قرابته من عليّعليه السلام، وكان عليّعليه السلام مصمماً على تطبيق الإصلاحات الّتي يفرضها اتباع الصّراط المستقيم والّتي كان يتطلبها المسلمون منه. وعلى هذا قام في شهر محرم من العام (٣٦) للهجرة بإرسال ولاته إلى الأمصار، وهم:

١. عبيد الله بن عباس إلى اليمن؛

٢. قيس بن سعد بن عبادة إلى مصر؛

٣. قثم بن عباس إلى مكة؛

٤. عون بن عباس إلى اليمامة؛

٥. عثمان بن حنيف إلى البصرة؛

٦. عمارة بن شهاب إلى الكوفة؛
٧. سهل بن حنيف إلى الشّام؛

ولم يجد معظم الولاة الّذين أرسلهم الإمام إلى الأمصار أيّاً من الولاة السّابقين في عملهم، كما لم يجدوا أيّة أموال في بيوت مال المسلمين.

وقد تمكّن قيس بن سعد الوالي الّذي عيّنه عليﷺ على مصر لاستلام العمل من عبدالله بن سرح، تمكن من استلام عمله باللجوء إلى الحيلة. وكان ابن سرح قد التحق بمعاوية في الشّام منذ وصول الخبر بمقتل عثمان. وإزاء المقاومة الّتي أبداها المعارضون، اضطر قيس بن سعد إلى أن يتظاهر لبعض الوقت بأنّه من مناصري عثمان، ثم استقام له الأمر في مصر. ودخل عثمان بن حنيف إلى البصرة دون مقاومة تذكر.

أمّا عمارة فقد بلغه وهو في طريقه إلى الكوفة بأن هوى الناس مع إبي موسى الأشعري الّذي كان قد عيّن من قبل عثمان بطلب منهم. لذا عاد من حيث أتى وأبلغ علياً بما حدث له.

وحدث الأمر نفسه بالنسبة لسهل بن حنيف الذي أرسله عليّﷺ لاستلام عمل معاوية، فقد استقبلته خيالة معاوية قبل وصوله إلى الشام وأعلموه بأنّ أهلها لا يقبلون عليهم والياً من قبل عليّ.

وقد تمّ، بعد ذلك تعيين ولاة آخرين غير من ذكرناهم.

وكان طلحة والزبير في عداد من استقبل إصلاحات عليّﷺ بالاستياء. وكانا قد طالباه بان يولّيهما على الكوفة والبصرة، ولكنّ علياًﷺ أعلمهما برغبته في استبقائهما كمستشارَين إلى جانبه.

أمّا بالنّسبة للشّام، فكان عليّﷺ يعلم ما الّذي ينبغي عليه أن يقوم به، فكان عليه أن يعيد معاوية إلى رشده، وأن يرفع الحيف عن الناس بالحوار أوّلاً، أي بسلاح الأقوياء، ومن ثمّ بالحرب فيما لو فشل الحوار. وبالطّبع كان

عليّ عليه السلام حريصاً على ذلك، كما في كلّ أعماله، على الحكم بما أنزل الله في كتابه. والله تعالى يقول:

﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.[1]

حرب صفين

١. إمامة علي عليه السلام في الكوفة

بعد خمسة عشر يوماً على انتهاء حرب الجمل، تحرّك الإمام عليّ عليه السلام على رأس جيشه إلى الكوفة، بعد أن عيّن عبدالله بن عباس والياً على البصرة. فقد صمّم أن يجعل من الكوفة عاصمة لدولته، وكان هذا الاختيار يعود لسببين مهمين على الأقل،

الأوّل: كان لغرض استراتيجي، فالكوفة كانت في وسط الدّولة وعلى مسافة قريبة من المقاطعات الرئيسيّة الّتي تتشكّل منها البلدان العربية في ذلك الوقت، وهذا الأمر الّذي كان يخفف من أعباء انتقال الجيش من مكان إلى آخر ويجعله أكثر قدرة على التّحرك السّريع.

أمّا السّبب الثّاني: فكان على صلة بعدد سكّان الكوفة الّذين كانوا يزيدون كثيراً عن سكّان المدينة، ولكن أيضاً على صلة بالمؤيدين الّذي كان يحظى به بين سكّان الكوفة، فالإمام عليه السلام لم يتمكّن وهو في المدينة من أن يجمع حوله غير جيش من تسعمائة مقاتل، بينما جمع في الكوفة ما يزيد على تسعين ألفاً كلّهم من شيعته ومناصريه.

---

١. الحجرات: ٩.

٢. أهداف معاوية في الشّام

كان معاوية قد استغل مقتل عثمان، ووضع لذلك استراتيجية دعائية متكاملة ضد قتلته؛ لكي يعزز سلطته ويرضي طموحه في الانفصال، وكان امتناعه عن إرسال جيش لنصرة عثمان يوم كان محاصراً غير بعيد عن توجهه الشّخصي هذا.

وللأسف، لم يتمكن مناصروه من إدراك هذا الواقع رغم ظهوره للعيان. كما استفاد معاوية من انتقال عدد كبير من الأُمويين من المدينة إلى الشّام للالتجاء فيها، إضافة إلى اطمئنانه إلى مناصرة أهل الشّام له، وكانت هنالك ثلاثة أسباب مؤثّرة وإن تكن غير كافية لدفعهم إلى عدم التبصّر في هذا الأمر.

السبب الأوّل: أنّ بني أميّة شأنهم في ذلك شأن قبائل العرب في تلك الفترة، كانوا مصممين على الثّار لعثمان مهما كلّف الأمر، وكان هذا التّقليد المتعلّق بالثّأر سائداً بقوّة في بلاد العرب، كما كان ينتقل من جيل إلى جيل. والحال أن عثمان كان قد قتل في المدينة على يد جمع من المسلمين، لذا كان أيّ شخص يتمّ تقديمه ككبش فداء ـ خصوصاً إذا كان من سكان المدينة ـ قابلاً لأن يصبح العدو المطلوب، وخصوصاً إذا ما كان ذلك الشّخص هو الخليفة الجديد الّذي أصبح بذلك القاتل المحتمل، علماً بأنّ الجميع كانوا يعلمون بدور عليّ عليه السلام في نصح عثمان وفي الوساطة بينه وبين قتلته قبل وبعد الفترة الّتي استغرقتها المفاوضات مع الخارجين عليه.

وبعد ذلك، شنّ معاوية حملة خبيثة بهدف التّحريض على قتلة عثمان، آخذاً في ذلك بنصيحة عمرو بن العاص، وكان معاوية قد عرض فوق منبر المسجد في دمشق قميص عثمان الملطخ بالدم الّذي كان يرتديه عند مقتلة وأصابع زوجته (نائلة) الّتي قطعت في الموقعة.[1] وكما أمل معاوية ومناصريه،

---

١. كل هذه الأشياء قامت بإرسالها إلى الشّام أم حبيبة، إحدى نساء النّبيّ، وبنت أبي سفيان.

ظلت رؤية هذه الأشياء الّتي عرضت لأسابيع عديدة تحفز أهل الشّام على البكاء وتعزّز رغبتهم بالثّأر من مرتكبي هذا الفعل.

وأخيراً نذكر آخر الأسباب وإن لم يكن أقلها أهميّة، وهو نجاح معاوية في استمالة قلوب وجوه أهل الشّام عن طريق مختلف الإغراءات الّتي كانت قد أصبحت وسيلة معروفة في عهده، حيث بات الخضوع لسلطته مصدراً للإثراء السّريع وغير المشروع. وقد اشتهرت في تلك الفترة عبارة تلخّص ميل البعض إلى تأييد معاوية: «الصلاة خلف علي أسلم والأكل مع معاوية أدسم».

٣. لجوء عليّ عليه السلام إلى الوسائل السلميّة بهدف إعادة معاوية إلى رشده

استند معاوية إلى تأييد جيشه ودعم زعماء أهل الشّام له، بعد أن أعمّته مطامعه وقناعاته الشّخصيّة وامتنع، خلال عدّة أسابيع، عن الرّد على كتاب وجهه إليه عليّ عليه السلام فور مبايعته بالخلافة وطالبه فيه بالبيعة. وكان يطمع إلى استخدامه كشاهد على رغبة أنصاره بالثّأر، ثمّ أرسل الرّد إلى عليّ مع رسول من أهل الشّام.

وعندما فتح عليّ عليه السلام كتاب معاوية المختوم بخاتمه، لم يجد فيه غير ورقة بيضاء ليست عليها أيّة كتابة. وعندما استوضح من الرّسول عن معنى ذلك أجابه بقوله:

«اعلم أنّي تركت خلفي ستين ألف شيخ يبكون تحت قميص عثمان، وهو منصوب لهم قد ألبسوه منبر دمشق».

وقد استثار هذا الرّد غضب أصحاب رسول الله ﷺ إلى حدّ أنّهم همّوا برسول معاوية لو لم يمنعهم عليّ عليه السلام من ذلك. وإزاء حكمة عليّ عليه السلام وطيبته، استأذنه الرّسول بالعودة بعد أن حلف بأن يظلّ وفياً له.

أمّا عليّ عليه السلام، فقد استشهد الله على براءته من تلك الجريمة وأمر بالاستعداد لحرب معاوية.

ثمّ أرسل عليّ عليه السلام رسولاً ثانياً إلى معاوية في طلب البيعة له بوصفه الشّخص الّذي أصبح خليفة بإرادة الله والمسلمين. وكان الرّسول جرير بن عبد الله البجلي، وهو صديق قديم لمعاوية وسيّد من سادات همْدان. وكان قد جاء إلى الكوفة لكي يبايع عليّاً عليه السلام. وقد أرسله عليّ عليه السلام إلى الشّام في شعبان من العام (٣٦) للهجرة الموافق لكانون الثّاني، يناير من العام (٦٥٧) بعد الميلاد. وكان انتظار عودته إلى الكوفة طويلاً ومفعماً بالقلق. وبعد مضي ثلاثة أشهر عاد من الشّام بجواب شفهي من معاوية. وكان جواب معاوية هو الامتناع عن البيعة طالما بقي قتلة عثمان دون عقاب. وقد لام مالك الأشتر جريراً على تأخّره في الشّام ملمّحاً بأنّ المقام قد طاب له فيها إلى جانب معاوية. وأستاء جرير من هذه الملاحظة فغادر الكوفة مفضّلاً العودة إلى جوٍّ الرّخاء المحيط بمعاوية.

وبعد أن يئس عليّ عليه السلام إزاء عناد معاوية وإصراره على عدم التّخلي عن مطامعه الأنانيّة في رفضه للبيعة، عزم على المسير بجيشه إلى الشّام. وهكذا، انطلق بجيشه نحو المدائن في شهر ذي الحجة من العام (٣٦) للهجرة، بعد ان سيّر أمامه طليعة للحماية. ثمّ اجتاز الجيش الصّحراء العراقية، وعبر الفرات عند مدينة الرّقة، قبل أن يتّجه غرباً نحو سور الرّوم حيث التقت طليعة جيش عليّ عليه السلام بطليعة جيش الشّام وأجبرتها على الفرار.

٤. التقاء الجيشين في صفين

ثمّ لم يصطدم جيش عليّ عليه السلام بأيّة مقاومة حتّى وصوله إلى صفين في شهر ذي الحجة من العام (٣٦) للهجرة (أيار/ مايو من العام (٦٥٧) بعد الميلاد). وكان جيش معاوية قد أقام معسكره في ذلك المكان.

وكان جيش معاوية قد وضع يده على المنفذ الوحيد إلى ماء الفرات

ليمنع جيش عليّ من الوصول إليه. وكان أبو الأعور السّلمي، أحد قادة جيش معاوية هو المكلّف، على رأس بضعة آلاف من الجنود، بالحيلولة دون وصول جيش عليّعليه السلام إلى الماء. وقد لاحظ أفراد الجيش ذلك منذ وصولهم إلى المكان، وأعلموا عليّاًعليه السلام بالأمر. عندها أرسل عليّعليه السلام وفداً إلى معاوية ليطلب إليه إخلاء الطّريق إلى الماء، مذكّراً إياه بصلة الرّحم ومؤكّداً له بأنّه، لو كان في مكانه، لما حال بين جيشه وبين الوصول إلى الماء. وبالطبع، رفض معاوية أن يتخلّى عمّا كان يعتبره ضمانة لنصره.

وإزاء عناد معاوية والعطش الّذي كان قد بدأ يضّر بجيش عليّعليه السلام، حصل كلّ من مالك الأشتر، والأشعث بن قيس على إذن عليّعليه السلام في أن يقود كلّ منهما بضعة آلاف من الجنود والخيّالة، والهجوم على أبي الأعور، بهدف اختراق صفوفه وملء القرب من مياه النهر. وهكذا نشبت معركة بين الفريقين وانتصر جيش عليّعليه السلام رغم الإمدادات[١] الّتي عجّل معاوية بإرسالها إلى أبي الأعور، وعندما انهزم جيش أبي الأعور استولى جيش عليّعليه السلام بدوره على شريعة الماء. وهنا، طلب معاوية من موقف الضعف إلى عليّعليه السلام أن يمنحه ما سبق منعه منه؛ ولقّنه عليّعليه السلام درساً في الحكمة والأريحيّة بأن سمح لجيشه بأن يرد الماء وأن يستقي منه بكلّ حريّة.

٥. معارك صفين

دارت المعارك بين الجيشين في صفين طيلة أربعين يوماً. إلاّ أنّ هدنة تخللتها في شهر محرم الحرام.

وكان جيش عليّعليه السلام مكوناً من ستة وثمانين ألف رجل موزّعين على

---

١. أرسل معاوية ثلاثة آلاف فارس بقيادة عمرو بن العاص لنجدة أبي الأعور، ما زاد في تصميم الأشتر على حربهما.

ألوية يقودها كلّ من: عمار بن ياسر، وعبد الله بن عباس، وقيس بن سعد بن عبادة، وعبد الله بن جعفر، ومالك الأشتر، والأشعث بن قيس الكندي، وسعيد بن قيس الهمْداني وابن هانئ، ومحمد بن أبي بكر، والحسن بن عليّ عليه السلام.

أمّا جيش معاوية، فكان يضم مئة وعشرين ألفاً في ألوية يقودها كلّ من عمرو بن العاص، وأبي الأعور، وذي الكلاع الحميري، وعبد الرّحمن بن خالد بن الوليد، وحبيب بن مسلمة، وبسر بن أرطأة، ويزيد العبسي.

واشتبك الجيشان طيلة شهر ذي الحجة من العام (٣٦) للهجرة في معارك محدودة ومنظمة، ومن هنا كان طول مدتها. وكان عليّ عليه السلام حريصاً في البداية على تقليص عدد القتلى إلى أدنى حدّ ممكن، مع الأمل أيضاً بالتّوصل إلى اتّفاق يعود به معاوية إلى رشده.

وبعد انتهاء الموادعة الّتي توقّف خلالها القتال طيلة شهر محرم، اشتدت المعارك وسقط خلال الأسبوع الأول من شهر صفر (مع بداية العام (٣٧) للهجرة) عدد أكبر من الضّحايا بالقياس إلى ما كان عليه الأمر في بداية الحرب. عندها، قرر عليّ عليه السلام أن يعجل في إنهاء الحرب عبر الانخراط فيها شخصياً.

ولا بدّ من الإشارة إلى حدثين وقعا أثناء تلك الحرب. أحدهما مأساوي، والآخر مثير للسّخرية.

الحدث المأساوي هو مقتل عمار بن ياسر(رض)[١] وهو الّذي قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا عمّار، تقتلك الفئة الباغية».

آثار مقتل عمّار ـ أحد أبطال يوم بدر وأحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الأثيرين ـ أسف المقاتلين في جيشي عليّ عليه السلام ومعاوية على السّواء. وكان مصرعه بطعنة رمح وجهها إليه جوير السّكوني، أحد المقاتلين في جيش أهل الشّام.

---

١. كان عمار يومها في الثّالثة والتّسعين من عمره.

وبمقتل عمار ومعرفة الفئة الّتي قتلته مع التذكير بما قاله النّبيّ صلى الله عليه وآله حول مقتله، بات من المؤكّد، في نظر أنصارعليّ عليه السلام على الأقل، أنّ الفئة الباغية هي حزب معاوية.

وكان من الطّبيعي أن يفعل الشّك فعله في أنصار معاوية وأن تقع الفتنة بينهم، وبما أنّ الجندي لا ينبغي له أن يشك وهو في مواجهة مع عدوّه، تمكن الداهية عمر بن العاص من أن يوجّه التّهمة في اتّجاه معاكس بقوله: «ومن قتل عماراً غير عليّ؛ لأنّه هو من جاء به».[١]

وكان من الطّبيعي أن يفعل الشّك فعله في أنصار معاوية وأنّ تقع الفتنة بينهم. وبما أنّ الجندي لا ينبغي له أن يشك وهو في مواجهة مع عدوه، تمكّن الدّاهية عمر بن العاص من أن يوجّه التّهمة في اتجاه معاكس بقوله: «ومن قتل عماراً غير عليٍّ لأنّه هو من جاء به».[٢]

وعندما نقل الخبر إلى عليّ عليه السلام ردّ بما مضمونه: بأنّه لوصحّ قوله، لصحّ القول بأنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله هو الّذي قتل حمزة؛ لأنّه جاء به إلى اُحد. وبهذا المعنى، ورد قول مأثور مفاده أنّ الشّيطان لم يقل الحقيقة ولكنّه بث الشّك في النّفوس. لقد كانت حجة عمرو ملتوية حقاً، ولكنّها أحدثت تأثيراً إيجابياً في صفوف جيش أهل الشّام حيث جرى تناقلها وبدا أنّ الجنود قد اقتنعوا بها.

أما الحدث الثّاني والمثير للسّخرية أيضاً مع أهميّته والّذي ينبغي أن يعرفه القراء؛ ليطّلعوا من خلاله على ما كان يتمتّع به الإمام عليّ عليه السلام من مزايا سامية، فقد جرى بين شخصين هما عليّ عليه السلام وعمرو بن العاص نفسه. وكان من عادة

---

١. كانت هند، والدة معاوية، قد تعاقدت مع أحد العبيد لقتل حمزة مقابل أجر اتّفقا عليه. وعندما تمكّن العبد من قتل حمزة مضغت هند قطعة من كبده لإشفاء غليلها.

٢. يروى أنّ عمرو بن العاص قال يومها كلاماً مفاده: لو كان في جيش عليّ ألف رجل مثل عليّ لأتى عليهم جميعاً. راجع: *تاريخ أزمنة الإسلام الأولى*.

عليّ عليه السلام أن لا يعلن أحياناً عن نفسه في المعركة ليستدرج الرّجال بذلك إلى منازلته. ويقال: بأنّه قد تخفّى أكثر من سبعين مرة! وفي إحدى هذه المرات، كان عمرو بن العاص قد تحقق من عدم وجود عليّ في المجموعة الّتي كان ينوي مهاجمتها، فاقترب منها وهو يطلق عبارات يتحدّى[1] فيها عليّاً عليه السلام بالذّات، وصادف أنّه كان يقترب من الإمام عليه السلام الّذي أجابه بكلام كشف به عن شخصيته، عندها تراجع عمرو بشكل ملفت وسارع إلى الهرب بفرسه الّتي ألهب ظهرها وجنبيها بسوطه لشّدة ما اعتراه من الخوف، ولم يكن من عليّ عليه السلام إلاّ أن انطلق في إثره، وعندما أدركه أوقعه عن فرسه بطعنة من رمحه، وعندما سقط عمرو عن الفرس كشف عن عورته ليجبر عليّاً عليه السلام على الانصراف عنه. وأمام هذا المشهد المخجل والمنافي للدّين تصرّف عليّ عليه السلام مرة أُخرى بأريحيّة وأبقى عمراً على قيد الحياة، ولكن بعد أن طلب إليه إلاّ ينسى الموقف المخجل الّتي يدين إليها بحياته.

وبالطّبع تعرّض عمرو للسّخرية اللاذعة من قبل معاوية، فردّ عليه بأنّه كان سيتصرّف بالطّريقة نفسها لو وجد نفسه في مثل ذلك الموقف.

الجولات الأخيرة من معركة صفين جرت في الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر من صفر، عام «٣٧» للهجرة. وكان جيش علي عليه السلام يقاتل بطريقة لا هوادة فيها، حيث إنّه كان يكثر من العمليات الهجوميّة دون كلل بهدف الانتهاء من أمر العدو. وفي الثالث عشر من صفر، كان القمر بدراً في تمامه، فقام مالك الأشتر ـ بطل تلك الحرب ـ بتنفيذ اختراقة شديدة الأهميّة في صفوف الجيش المعادي. وفي صبيحة اليوم التّالي، ذهل عسكر أهل الشّام أمام حجم التّراجع الّذي أجبروا عليه، وأمام الخسائر الفادحة الّتي ألحقها بهم جيش علي عليه السلام.

---

١. المسعودي ومؤرخون آخرون.

وكان معاوية قد همّ بالهرب عندما جاءه عمرو بن العاص بدهائه واقترح عليه خطة ذكيّة وغير شريفة لتلافي المشكلة. فقد أعلمه بأنّه أدخر له أمراً يسمح بعبور الأزمة وهو دعوة عليّ عليه السلام وأصحابه إلى كتاب الله برفع المصاحف على رؤوس الرّماح. على أساس أنّ قبولهم بذلك يضمن النصر لمعاوية، وأن عدم قبولهم به من شأنه أن يبث الفتنة في صفوفهم.[1]

٦. الخديعة لتلافي الهزيمة (رفع المصاحف)

لم يكن قد بقي أمام معاوية من خيار آخر. فإمّا الهرب (كان قد جهّز فرسه لذلك) وإمّا اللجوء إلى الخديعة الّتي أوصى بها عمرو. وكان أن اعتمد الخيار الثّاني. وعليه، قام أصحابه ورفعوا ما يزيد على خمسمائة مصحف على رؤوس رماحهم، وجعلوا ينادون أصحاب عليّ عليه السلام بقولهم: «كتاب الله بيننا وبينكم».[2]

ولم يتردد بعض أصحاب علي عليه السلام ـ وعلى رأسهم الأشعث بن قيس ـ لحظة واحدة في الاستجابة لهذا الدّعوة الّتي توهّموا صدقها. فوضعوا أسلحتهم وردّوا بصوت واحد: «أجل! كتاب الله بيننا وبينكم».

وقد عارض عليّ عليه السلام دعوة العدوّ بمنتهى الشّدة وحاول إقناع رجاله بأنّ أهل الشّام قد لجؤوا إلى الخديعة بعدما يئسوا من النّصر، وعندما اتّهمه هؤلاء بأنّه يرفض حكم القرآن الّذي يدعون إليه، حاول إفهامهم بأنّه لم يقاتلهم كلّ هذا القتال إلى لأنّهم تركوا حكم القرآن. ثمّ شرح لهم كيف أنّ معاوية وجنده هم من القاسطين، وكرّر دعوته إلى العودة لقتالهم مؤكّداً لهم بأنّه أكثر معرفة منهم بمعاوية، وعمرو بن العاص، وابن أبي سَرَح، وحبيب بن

---

١. *الكامل في التاريخ*، ابن الأثير: ٣١٦/٣.
٢. *روضة الصّفاء*؛ حبيب السّيار؛ أبو الفداء؛ وغيرهم.

مسلمة والضّحاك، وبأنّهم لا يقيمون وزناً للّدين وللقرآن.[١]

ولكن هؤلاء الرّجال كانوا للأسف قد حزموا أمرهم، وهدّدوا الإمامعليه السلام بالانقلاب عليه إذا لم يستجب لدعوة المتمردين.

هذا العناد وتلك اللجاجة كانا فاتحة تاريخ تلك العصبة الّتي عرفت باسم الخوارج.

وفي هذه الأثناء كان مالك الأشتر لا يزال يقاتل للوصول إلى الهدف الّذي جاء من أجله، لذا طلب هؤلاء إلى عليّعليه السلام أن يرسل في طلبه. واستجاب عليّعليه السلام لطلبهم وأرسل يستدعي الأشتر وقال للرسول: بأنّ يعلمه بأن النّصر لا فائدة منه طالما أنّ الفتنة قد نشبت في عسكرنا. وطلب إليه أن يرجع من فوره؛ لأنّ القوم يهددون بقتله أو بتسليمه لعدوّه. ورجع الأشتر وقال كلاماً قاسياً في وجوه الخوارج؛ معرباً عن حنقه إزاء موقفهم الجبان. وردّ عليه هؤلاء بالشّتائم، فصاح بهم عليّ وأمرهم بالهدوء.

٧. التّحكيم

استأذن الأشعث بن قيس الّذي أصبح واحداً من وجوه الخوارج، استأذن عليّاًعليه السلام في الذّهاب إلى معاوية وسؤاله عمّا أراده برفع المصاحف، فإذن له عليّعليه السلام بذلك، وعند عودته أخبر بأنّ معاوية وأصحابه يعرضون تعيين حكم من كلّ فريق، وبأنّ يتولّى الحكمان شأن النظر في الخلاف، على أن يحكما بحكم القرآن وأن يكون حكمهما ملزماً للفريقين. وعندما طلبوا من عليّعليه السلام رأيه في الموضوع أجابهم بقوله: «لا رأى لمن لايطاع»، ثم قال لهم بأن يقرروا بالطّريقة الّتي يجدونها مناسبة لأنفسهم. وهكذا اختار الخوارج أبا موسى الأشعري ـ الّذي كان في السّابق والياً على الكوفة ـ حكماً عن معسكر عليّعليه السلام.

---

١. *تأريخ أزمنة الإسلام الأولى*، للسّيد سفدار حسين.

لكنّ علياً عليه السلام اعترض على ذلك واقترح تعيين عبد الله بن عباس، ابن عم النّبيّ صلى الله عليه وآله؛ لأنّ أبا موسى لم ينصره في الحرب؛ ولأنّ علياً عليه السلام كان قد عزله من منصبه. غير أنّ الخوارج ردّوا على عليّ عليه السلام رأيه، وأصّروا على موقفهم من أبي موسى.

أمّا أهل الشّام فقد وقع اختيارهم على عمرو بن العاص؛ لحنكته ودهائه، وخصوصاً لأنّه كان صاحب هذه الخطّة الجهنميّة.

ثمّ اجتمع الحكمان في معسكر عليّ عليه السلام لكتابة وثيقة التّحكيم. وهنا برز خلاف أوّل عندما شرع عليّ عليه السلام بإملاء نصّ الوثيقة على الكاتب:

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما اتّفق عليه أمير المؤمنين، عليّ، و...».[١]

لكن ابن العاص قاطعه بقوله بأنّه ليس خليفة على أهل الشّام، وبأنّ عليه الاقتصار على اسمي «علي ومعاوية». وعندها تذكر عليّ عليه السلام ما سبق لرسول الله صلى الله عليه وآله أن قاله له: «ولك مثلها يا عليّ». كان ذلك يوم التّوقيع على صلح الحديبية بين النّبيّ صلى الله عليه وآله والمشركين الّذي جرى للاتّفاق بين الطّرفين حول إخلاء مكّة لحج المسلمين. وكانت قريش قد اعترضت يومها على إضافة صفة «رسول الله» إلى اسم محمد صلى الله عليه وآله.

وقد قبل عليّ عليه السلام أخيراً بعدم تثبيت صفته كأمير للمؤمنين، ولكن بعد ذكّرهم بما حدث في الحديبية، وكان يقصد بذلك أنّ أبا سفيان وأبا جهل وغيرهم ممّن قاتلوا النّبيّ صلى الله عليه وآله قد تركوا خلفهم ذريّة أمنت استمرار عملهم المعادي للإسلام ولآل البيت عليهم السلام، حملة مشعل طهارة تعاليم الله ورسوله صلى الله عليه وآله.

وتمّ التّوقيع من قبل عليّ عليه السلام ومعاوية، على وثيقة التّحكيم يوم الأربعاء في الثالث عشر من شهر صفر عام (٣٧) للهجرة (الموافق للحادي والثلاثين من تموز / يوليو من العام ٦٥٧ بعد الميلاد).

---

١. في شهر رمضان من العام (٣٧) للهجرة، الموافق لشباط / فبراير من العام (٦٥٨) للميلاد.

وأقسم الحكمان على أن يحكما بحكم القرآن ودون أيّة محاباة، وذلك عند لقائهما في مكان تمّ الاتفاق على أن يكون في نقطة وسط بين الكوفة ودمشق. واتّفق الفريقان على أن يأخذا بحكم الحكمين، وهو الحكم الّذي كان سيصدر بعد سبعة أشهر يلتزم خلالها الطّرفان بالهدنة.[1]

٨ . حصيلة حرب صفّين[2]

يقول أبو الفداء بأنّ ثمانين معركة قد وقعت خلال حرب صفين. ويتّفق معظم المؤرخين على أنّ عدد قتلى الجيشين قد بلغ سبعون ألفاً، منهم: خمسة وأربعون ألفاً من معسكر أهل الشّام، وخمسة وعشرون ألفاً من معسكر أهل العراق.

أمّا القادة الّذين سقطوا من معسكر عليّ عليه السلام فهم: عمار بن ياسر، وهاشم بن عتبة، وخزيمة بن ثابت، وعبد الله بن بديل، وأبو الهيثم بن التيهان.

أمّا القادة الّذين سقطوا من معسكر معاوية فهم: ذو الكلاع الحميري، وعبيد الله بن عمر، وحوشب بن ذي الظليم، وحبيب بن سعد الطائي.

٩. حكم الحكمين أو غدر عمرو بن العاص

وفي اليوم الموعود التقى الحكمان ـ أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص ـ في المكان المتّفق عليه، ومع كلّ منهما وفد من أربعمئة رجل.

وتوافى إلى المكان وجهاء عديدون من المدينة ومكّة والعراق والشّام؛ ليشهدوا عملية التّحكيم لما لها من أهمّيّة في تقرير مصير الأمّة، وكان عمر بن العاص يعرف نقاط الضّعف الّتي يعاني منها أبو موسى الأشعري، كان يعرف مثلاً: أنّ إحاطته بآيات الاحترام والتّبجيل تضمن له السّيطرة عليه، وكان ذلك

---

١. كان سعد بن عباده قد امتنع عن بيعة أبي بكر. وفيما بعد قتله خالد بن الوليد، الّذي كان ابنه عبدالرحمن محارباً في صفّ معاوية.

٢. راجع: *تأريخ الطبري*: ٤ / ٢٧.

ما فعله معه منذ البداية، حيث أبدى له توقيراً استثنائياً استقبله أبو موسى بمنتهى الارتياح، وقد تمكّن عمرو من إقناع أبي موسى بسهولة: بأنّ عثمان قد قتل مظلوماً، وبعد ذلك حاول إقناعه بأنّه من الطّبيعي لمعاوية أن يخلفه؛ لأنّه قريبه وولي دمه، إضافة إلى كونه قد نجح في تدبير شؤون الحكم في ولايته. وقد رفض أبو موسى الاعتراف لمعاوية بولاية دم عثمان؛ لأنّ ابن عثمان أحقّ منه بهذه الولاية. عندها طلب عمرو إلى أبي موسى أن يقترح حكماً مناسباً، فاقترح عزل عليّ ومعاوية، وأن تقوم الأُمة باختيار شخص آخر غيرهما.

وأظهر عمرو قبوله بهذا الاقتراح، وطلب إلى أبي موسى أن يقوما معاً ليعلنا ما اتّفقا عليه أمام الملأ. وعند الإعلان أصّر عمرو على أن يكون أبو موسى هو من يصعد أوّلاً إلى المنبر؛ ليكون البادئ بالكلام، وذلك على سبيل إجلاله وتوقيره. وقد كان أبو موسى ساذجاً بسيطاً عندما صعد إلى المنبر دون احتياط للأمر، ليقول: بأنّه نظر في الأمر مليّاً مع عمرو، وأنّ أفضل وسيلة للعودة إلى السّلام، ووأد الفتنة هي: عزل عليّ ومعاوية من الخلافة وترك المجال أمام المسلمين ليختاروا لهم خليفة أفضل منهما، ثمّ أعلن بأنّه يخلع علياً ومعاوية من الخلافة كما يخلع خاتمه من إصبعه، ثمّ نزع خاتمه من إصبعه بالفعل.

ثمّ ارتقى عمرو المنبر، وكانت المفاجأة عندما قال ما معناه:

لقد سمعتم كيف نزع أبو موسى صاحبه من الخلافة، أمّا أنا فإنّني أنزع صاحبه كما نزعه، وأثبّث صاحبي معاوية في الخلافة كما أثبّتُ خاتمي هذا، وأنا في ذلك عادل؛ لأنّ معاوية يطلب بدم عثمان وهو وليّ دمه.

وعمّ الذهول جميع الحضور؛ لأنّ أحداً من الفريقين لم يكن يتوقّع حصول مثل هذه الخديعة. أمّا أبو موسى الّذي راعه غش عمرو فلم يكن بوسعه غير التّسليم بأنّه قد خدع.

ونزل عمرو عن المنبر وسط ابتهاج أهل الشّام الّذين لم يكن بإمكانهم أن يتصوّروا حلّاً أفضل مما جاء به. أمّا أهل الكوفة فاستبدّ بهم الغضب على عمرو، وعلى أبي موسى حيث لم يترددوا عن شتمه، لا بل عن ضربه بالسّوط، وكان شريح هو من ضربه.

وقد علّق ابن عمر ـ عبد الله بن عمر ـ على هذا الحدث بشكل يوجز سيول التّعليقات الّتي أثارها هذا الموضوع، حيث اشتكى ممّا حلّ بالإسلام عندما فوّض أهمّ أموره إلى رجلين: أحدهما لا يعبأ بالحق وبالباطل، والآخر رجل أحمق، أو كما قال.

وقد عجّل أبو موسى بالرّحيل إلى مكّة، حيث مات كئيباً بعد خمس سنوات أو خمس عشرة سنة، بحسب اختلاف الرّوايات.

وفي الشّام، أعلن معاوية نفسه خليفة واحتفل الناس بذلك. ومنذ تلك اللحظة أخذت شؤون معاوية تنمو وتزدهر، بينما بدأت سلطة عليّ عليه السلام بالتّراجع يوماً بعد يوم.

١٠. موقف عليّ من حكم الحكمين

لم يكن بوسع عليّ غير أن يرفض نتيجة التّحكيم؛ لأنّها جاءت غير عادلة ومخالفة ـ فوق ذلك ـ لكتاب الله، لذا عزم على استئناف الحرب ضد معاوية. وكان قد احترم الهدنة بين الطّرفين رغم إرادته ـ تحت ضغط الخوارج ـ كما رأينا سابقاً.

فالواقع أنّ الحُكْمين اللذين صدرا عن عمرو وأبي موسى كانا متناقضين رغم الاتّفاق الّذي توصّلا إليه في البداية. من هنا فإنّ عملية التّحكيم تكون قد انتهكت؛ لأنّ الحكمين قد اتفقا على الخروج بقرار مشترك يتّفق مع حكم القرآن ويكون خالياً من التّناقض بطبيعة الحال، وبعد ذلك كان من المفترض

بهذا القرار المشترك أن يصار إلى تطبيقه على الطّرفين المتنازعين. ولا يمكننا أن نفهم كيف يمكن للأمر أن يكون غير ذلك، وإلاّ لما كان عليهما أن يتّفقا لو كان بإمكان كلّ منهما أن يصدر حكماً بمفرده. ومن البديهي أنّ أيّة محكمة لا يمكنها أن تخرج بحكمين قاطعين ومتناقضين بخصوص قضيّة واحدة.

من هنا كان عليّ عليه السلام محقّاً في عدم اعتبار نفسه معنياً بأحكام قائمة على الخديعة وسخيفة، إضافة إلى تناقضها مع روح القرآن ونصّه اللذين ينبذان الإفك والنفاق اللذين لجأ إليهما عمرو بن العاص، وأسرف في الاعتماد عليهما.

ولمّا كان على الطّرفين المتنازعين أن يلتزما بالهدنة حتّى صدور حكم الحكمين، فإنّ عليّاً عليه السلام بات في حلّ من الالتزام بأيّ اتّفاق. ومن هنا كانت دعوته لشيعته لاستئناف الحرب ضد معاوية.

معركة النهروان ضد الخوارج

١. بدء خروج الخوارج

لنعد قليلاً إلى الوراء في طريق العودة إلى الكوفة بعد «معركة صفين» ظهرت في صفوف جيش عليّ عليه السلام انتقادات لما اتخذه من قرارات، فقد أخذ أولئك الّذين تحولوا إلى الخوارج فيما بعد، اعترضوا على عليّ عليه السلام قبوله بحكم البشر في أمر الله، علماً بأنّهم هم أنفسهم من كان قد أكرهه على القبول بذلك. كان هنالك برنامج متكامل لم يلبث أن نحا منحى التّعصب ليتحول إلى هرطقة حقيقية تعادي كلّ من يريد أن يتولّى أمر قيادة الناس، وكان أن امتنع هؤلاء عن مواصلة السّير إلى الكوفة مع بقية الناس، واجتمعوا في قرية يقال لها «حروراء».

وقد قامت عقيدتهم على تأويل خاطئ لقوله تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾.

وكانوا يقولون: بأنّه لا حق لإنسان في أن يتولى أمر إنسان آخر، ولا لإنسان في أن يبايع إنساناً آخر. وبالتّالي لم تكن هنالك حاجة ـ بنظرهم ـ لوجود الخليفة. كما قالوا فوق ذلك: بأنّ عليّاً عليه السلام قد كفر، وبأنّ عليه أن يتوب؛ لأنّه حكّم البشر في كتاب الله.

وعندما شعر عليّ عليه السلام بما يوجهون إليه من تهم، ذهب للقائهم في المكان الّذي تجمّعوا فيه، وشرح لهم كيف أنّهم أساؤوا تأويل الآية القرآنية الّتي كانوا مولعين بترددادها. فالآية تعني أنّ كلّ حكم يجب أن يكون قائماً على الحق المطلق الّذي ينطق به القرآن، وبلا أية مرجعية عدا القرآن والرّسول صلى الله عليه وآله وعترته من المعصومين عليهم السلام.

أوضح لهم أنّ رفضه مواصلة القتال بعد موافقته على الهدنة إنّما كان تحت ضغطهم وهو يعود إلى وفائه بالعهد، وفقاً لما يدعو إليه كتاب الله، وأنّ عدم إلتزام الحكمين بما تمّ الاتفاق عليه يبيح له استئناف القتال.

٢. معركة النهروان

لكنّ الخوارج ظلّوا على ضلالهم رغم كلّ شيء، والأسوأ من ذلك أنّهم بدؤوا القيام بأعمال إرهابيّة في القرى المجاورة للمكان الّذي تجمّعوا فيه. كان من جملة ما فعلوه أنّهم قطعوا الطّريق على رجل صحابي وقتلوه، ثمّ بقروا بطن زوجته الحامل وقتلوها.

وكان الإمام عليّ عليه السلام قد سار بجيشه نحو الشّام للقاء معاوية، لكنّه عرج بعد أن بلغته أخبار جرائم الخوارج على النهروان، حيث كانوا يحتشدون. فالواقع أنّ أفراد جيشه كانوا يخشون من الإرهابيين الخوارج على أُسرهم الّتي خلّفوها وراءهم.

وبعد أن أقام عليّ عليه السلام معسكره قريباً من النهروان أرسل إلى الخوارج

رسولاً على أمل إعادتهم إلى رشدهم، ولكن أيضاً ليبلغ من أحبّ منهم بأنّ بإمكانهم أن يلتحقوا مجدداً بجيشه. وبالفعل، تناقص عددهم من اثني عشر ألفاً إلى إلى ثلاثة آلاف بعد أن انضمّ إلى جيش عليّ عليه السلام أولئك الّذين اقتنعوا بحججه وأولئك الّذين خافوا على أنفسهم الموت.

وما لبث العصاة الثّلاثة آلاف أن انقضوا على جيش عليّ عليه السلام ولاقوا المصير الّذي كان ينتظرهم. ولم تسفر المعركة إلاّ عن مقتل حوالي عشرة من أفراد جيش عليّ عليه السلام.

أمّا العدد القليل من جرحى الخوارج، فقد سلّمهم عليّ عليه السلام إلى أهلهم. وكان لهؤلاء الّذين نجوا من القتل أن اجتمعت كلمتهم مع المنافقين الّذين التحقوا بجيش عليّ عليه السلام خوفاً على حياتهم؛ ليعيدوا فيما بعد تشكيل حركة الخوارج بعد أن كانت قد اجتثت بشكل شبه كامل في النهروان.

المشكلات الّتي واجهها عليّ عليه السلام بعد معركتي صفين والنهروان

١. إخفاق مسير عليّ إلى حرب معاوية

بعد القضاء على الخوارج عاد جيش عليّ عليه السلام ليكمّل مسيره نحو الشّام، لكنّ الجنود كانوا قد تعبوا. لذا طلبوا إلى عليّ عليه السلام أن يمنحهم بعض الوقت للرّاحة، ولتجديد أعتدتهم وأسلحتهم بالشّكل المناسب للمسير الطّويل، ولقاء معاوية الّذي كان بانتظارهم.

والحقيقة أنّ هذه الاعتبارات لم تكن غير إضافة إلى خشيتهم من أن يتركوا أسرهم بلا دفاع أمام خطر الإرهابيين الخوارج، كما أنّ الشّكّ كان قد تسرّب إلى نفوس الجنود، والارتياب المتبادل كان قد فعل فعله في نفوس القادة العسكريين.

وهكذا منحت إجازة من يوم واحد لكلّ من كانت لديه أعمال ملحّة في

الكوفة الّتي لم تكن بعيدة عن مكان المعسكر، ولكنّ الجنود الّذين ذهبوا لم يرجعوا، ممّا اضطرّ عليّاًعليه السلام إلى اللحاق بهم لاستنهاضهم ودعوتهم إلى المسير، لكن دون جدوى. وبذلك أجهضت الحملة الّتي جرّدها عليّعليه السلام للمسير إلى الشّام، ما جعله يصرف النظر عنها بالكثير من المرارة.

٢. التّقدم الّذي أحرزة معاوية

في مصر: تتابع على حكم مصر عدّة ولاة منذ مقتل عثمان. كان أوّلهم ابن أبي سَرَح الّذي عيّنه عثمان والّذي عاد إلى المدينة لنصرة الخليفة يوم كان محاصراً في بيته، وقبل وصوله إلى المدينة بلغته أخبار مقتل عثمان ومبايعة عليّعليه السلام بالخلافة. وبما أنّه كان معارضاً لعليّعليه السلام، فقد فضل عدم الرجوع إلى مصر وحولّ طريقه نحو الشّام ليلتحق بمعاوية، وكان قبل توجهه إلى المدينة قد عهد بإدارة شؤون مصر إلى محمد بن حذيفة، ابن أحد الصحابة المرموقين. وكان محمد هذا رجلاً تقياً وعادلاً ممّن ينكرون تجاوزات معاوية الصّارخة، لذا نصب له معاوية فخّاً بأن طلب إلى عمرو بن العاص بدعوته إلى زيارته، فأجابه عمرو إلى ذلك وقبض على ابن حذيفة وسجنه في إحدى المدن على حدود مصر، وفي هذه الأثناء كان عليّعليه السلام قد عيّن والياً على مصر، هو قيس بن سعد بن عبادة،[١] وعند وصول قيس إلى مصر كان ابن حذيفة قد غادرها كما أسلفنا. وقد نجح قيس في الإمساك بزمام الأمر في معظم أنحاء مصر، باستثناء مدينة خربتا الّتي واصلت الطّلب بدم عثمان.[٢] وقد وجد قيس أنّ من الحكمة عدم التّصدي لإخضاع المدينة

---

١. راجع: *الكامل في التأريخ*، لابن الأثير: ٣ / ٢٦٦.

٢. وفي رواية أُخرى أنّه توفي بعد ثلاثة أيام في الثّاني والعشرين من شهر رمضان عام (٤٠) للهجرة. ويختلف المؤرخون حول عمره حين وفاته، لكن المتعارف عليه أنّه توفي عن ثلاثة وستين عاماً.

بالقوّة، وكفّ حتّى عن مطالبتها بدفع ما يتوجب عليها من استحقاقات مالية.

وقد استاء معاوية إزاء القوّة الّتي كان يتمتع بها قيس في مصر. لذا عمد كعادته إلى استخدام الحيلة لتصفيته عبر محاولة تعكير علاقته بعليّ عليه السلام مستغلاً في ذلك وضع مدينة خربتا بالذّات.

وقد نجح عليّ عليه السلام في تجاوز الفخ الّذي نصبه معاوية، لكن الشّأن مع قيس كان بخلاف ذلك. فقد طلب عليّ عليه السلام إلى قيس أن يلجأ إلى الشّدة مع المعترضين في خربتا، لكن قيساً أعوزه بعد النظر عندما امتنع عن العمل بهذا التوجيه، ما دفع علياً إلى إقالته من منصبه، وتعيين محمداً بن أبي بكر والياً على مصر.

وبذلك أثبت عليّ عليه السلام، مرة أُخرى بأنّه لا يتردد لحظة واحدة، إذا ما دعت الحاجة، عن إقالة أقرب المقربين إليه، إذا ما جانب الطّريق القويم. وقد وقعت هذه الأحداث في العام (٣٨) للهجرة.

وللأسف كان محمد بن أبي بكر مختلفاً في سياسته عن قيس بن سعد، فقد شرع على الفور بملاحقة المطالبين بدم عثمان دون هوادة. وبذلك ضعفت سلطته وعمّت الفوضى أنحاء مصر، ما اضطر عليّاً عليه السلام ـ وهو المعروف بحرصه الدائم على إحقاق الحق وإقامة العدل ـ إلى استبدال محمد بن أبي بكر بوال آخرهو مالك الأشتر.

وقبل وصول الأشتر إلى مصر تمكّن معاوية من أن يدسّ له السّم وهو في الطّريق إليها، فقد وعد أحد الوجهاء بإعفائه من الزّكاة إذا ما تمكّن من قتل الأشتر عند مروره عليه للاستراحة عنده، فدسّ له السّم في كأس من العسل، وعندما وصل الخبر إلى معاوية عبّر عن فرحته، بأن قال قولته الشّهيرة: «إنّ لله جنوداً من عسل»، بمعنى أنّ الله يستطيع قتل أعدائه بالعسل، ما يشكّل إساءة كبرى لغذاء قال عنه الله في كتابه الكريم بأنّ فيه شفاء للناس.

ومع مقتل الأشتر وتضعضع سلطة محمد بن أبي بكر بسبب الفوضى السّائدة حوله، وجّه معاوية إلى حكم عليّ عليه السلام في مصر ضربة قاضية عندما جرّد عليه حملت عسكرية انتهت بإخضاعها تماماً لسلطانه.

وقد أسّر محمد بن أبي بكر، وقتل بكثير من الوحشية بعد أن وضع داخل جلد حمار وأُحرق. وعندما سلّم رأسه المحترق إلى أخته عائشة، زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله تألّمت له أشدّ الألم. يقول أبو الفداء: بأنّها لم تتوقف منذ ذلك اليوم عن لعن معاوية، وعمرو بن العاص بعد كلّ صلاة.

في البصرة: وكان حزن عليّ عليه السلام كبيراً إزاء فجيعته بمحمد بن أبي بكر، ومالك الأشتر، وخروج مصر عن سلطانه، وزاد في حزنه عدم امتلاكه لوسيلة للرّد، رغم دعواته المتكررة لتجريد جيش قوي بما فيه الكفاية لمواجهة معاوية. وفي تلك السّنة، أي سنة (٣٨) للهجرة وصل والى البصرة ـ عبد الله بن عباس ـ إلى الكوفة لتعزية ابن عمه عليّ عليه السلام. ولكنّ معاوية استغلّ غيابه عن البصرة وقام بمهاجمتها، فأرسل عليّ عليه السلام إليها جيشاً بقيادة جارية بن قدامة الّذي تمكّن من استعادتها وتسليمها إلى عبدالله بن عباس بعد عودته إليها من الكوفة.

وقد قام جيش معاوية، طيلة السّنة التّالية، أي سنة (٣٩) للهجرة، ببثّ الفوضى وعدم الاستقرار في معظم المناطق التّابعة لحكم عليّ عليه السلام. وبذلك تمكّن جزئياً من تحقيق هدفه القاضي بإضعاف مكانة عليّ عليه السلام في قلوب الناس، ومن ثمّ بإضعاف سلطته عبر نشر الشّعور الدّائم بفقدان الأمن.

في الحجاز: وفي العام (٤٠) للهجرة عزم معاوية على الاستيلاء على مكّة والمدينة، المدينتين الرّئيسيتين في الحجاز، فأرسل إليهما جيشاً بقيادة بسر بن أرطأة الّذي نجح في أخذ البيعة من وجهائهما لمعاوية.

في اليمن: فقد تمكّن أنصار معاوية من قتل عدد كبير من أنصار عليّ عليه السلام، وبقسوة لا مثيل لها، قتل بسر قائد الجيش الأموي صبيين صغيرين

هما ولدا عبيد الله بن العباس، ابن عمّ عليّعليه السلام وواليه على اليمن. وأرسل عليّعليه السلام فرقة من الخيّالة لنجدة أهل اليمن بقيادة جارية بن قدامة، وعند وصوله إلى اليمن كان بسر وجيشه قد لاذوا بالفرار، فتبعهم جيش جارية إلى نجران، حيث استقبلهم السّكان بحفاوة، وهرب بسر ومن معه، في حين قتل جارية كلّ من ناصر بسراً وشاركه في أعماله السّيئة.

ثمّ واصل جارية زحفه إلى مكّة والمدينة وطرد منهما أنصار معاوية وأعادهما إلى حكم عليّعليه السلام.

وقد غضب عليّعليه السلام غضباً شديداً لمقتل ولدي عبيد الله بن عباس، ولعن بسراً ودعا عليه لشنيع فعله، وبالفعل أُصيب بسر بالجنون في أواخر أيام حياته.

٤. مؤامرة الخوارج الثّلاثة

واصل الخوارج القيام بتحركاتهم التّخريبية خلال العام (٣٩) للهجرة. ولكنّ علياًعليه السلام استخدم القوّة وتمكّن من قمع هذه التّحركات، وأخيراً عزموا على التّظاهر بالهدوء؛ لأنّ القوات الّتي كانوا يواجهونها في وقت واحد ـ وهي: قوات عليّعليه السلام، من جهة، وقوات معاوية، من جهة أخرى ـ كانت أكثر تفوّقاً بشكل واضح.

إلاّ أنّ ثلاثة أشخاص من الخوارج التقوا خلال الحج في مكة، عام (٣٩) للهجرة، وقرّروا الثّأر لدماء إخوانهم و«تخليص الإسلام من الكفرة»، أي من عليّعليه السلام، ومعاوية، وعمرو بن العاص، وأقسم هؤلاء الثّلاثة ـ وهم: البرك بن عبد الله، وعمرو بن بكر التّيمي، عبد الرحمن بن ملجم ـ علّى قتل عليعليه السلام، ومعاوية، وعمرو، أو الموت في هذا السّبيل.

وقد فشل اثنان منهما في بلوغ هدفيهما؛ إذ على الرّغم من نجاح البرك في طعن معاوية في عجزه فإنّ معاوية لم يمت. فكان على معاوية أن يختار

بين شربة تقطع منه النسل وبين أن يكوى بالنار في المكان الّذي أصابته فيه الطّعنة. وقد فضّل معاوية الشربة ونجا، في حين تمّ قطع يدي الخارجي ورجليه عقاباً، ثمّ أرسل ـ فيما بعد ـ إلى البصرة ليقتل فيها، وقد قتله عامل معاوية على البصرة، لأنّه رزق بولد بعد أن حرم معاوية من الولد.

أمّا الإرهابي الثاني فقتل رجلاً يدّعى خارجة، بدلاً من عمرو بن العاص الّذي كان قد كلّفه في ذلك اليوم بالخروج مكانه إلى الصّلاة؛ لإسهال أصيب به ومنعه من الخروج. وقد أمر عمرو بقتل الخارجي على الفور.

ولسوء حظ الإسلام، فإنّ واحداً فقط من هؤلاء الثّلاثة، وهو عبد الرحمن بن ملجم تمكن من تحقيق غرضه. كان القاسم المشترك بين محاولات القتل الثلاث هذه، هو أنّها جرت خلال صلاة الفجر وفي يوم واحد اتّفق عليه المتآمرون مسبقاً. فالواقع أنّ وقت صلاة الفجر كان اللحظة المناسبة أمام القتلة في تلك الفترة؛ لتحقيق غرضهم القذر.

٥. شهادة عليّ عليه السلام

كان يوم الجمعة ـ التّاسع عشر من شهر رمضان من العام (٤٠) للهجرة ـ يوماً حزيناً من أيام الأُمة. ففي ذلك اليوم جرح الإمام عليّ عليه السلام في رأسه بضربة من عبد الرّحمن بن ملجم.

وما أن ضرب القاتل علياً عليه السلام بالسّيف أثناء أدائه صلاة الفجر حتّى التفت إليه وأمسكه من ذراعه وهو يقول: «فزت وربّ الكعبة».

صرخة الفوز الّتي اطلقها عليّ عليه السلام والّتي كانت كذلك بشهادة أنّ القاتل هو ذلك الخائن، هي ذاتها الصّرخة الّتي كان يطلقها في جميع مسارات حياته. إنّها صرخة انتصار الحق والعدل والخير على الباطل والظّلم والشر.

ثمّ أودع الإمام عليّ عليه السلام عبدالرحمن بن ملجم ابنه الحسن عليه السلام، وطلب

إليه في حال موته أن يقتله ضربة بضربة. على أن ينظر هو نفسه في أمره، في حال عدم موته.

وبعدها أوصى للإمام الحسن عليه السلام بالخلافة من بعده[1]، ومن بعده للإمام الحسين عليه السلام، ثمّ أعطاه قائمة بأسماء الأئمة التّسعة من ولده. ولم يلبث بعد ذلك أنّ فارق الحياة وهو في الثّالثة والسّتين من عمره، ليلة السّبت الّتي في صبيحتها الأحد[2]، وذلك في الحادي والعشرين من شهر رمضان، عام (٤٠) للهجرة، وقام بغسله ولداه الحسن والحسين عليهما السلام وعبد الله بن جعفر. ثمّ صلّى عليه الإمام الحسن عليه السلام ودفن في النجف الأشرف على بعدُ سبعة كيلومترات من الكوفة، وقد عرف ذلك المكان فيما بعد باسم «مشهد عليّ».

٦. مشهد عليّ عليه السلام

في المأثور أنّ إبراهيم عليه السلام وولده إسحق ذهبا يوماً إلى النّجف، وكانت المنطقة في ذلك الزّمان مسرحاً دائماً للهزّات الأرضيّة، لكن سكّان المنطقة لاحظوا عدم حدوث أيّة هزة خلال فترة إقامتهما فيها.

وفي أحد الأيام غادر إبراهيم عليه السلام وإسحق عليه السلام النّجف وذهباً إلى قرية مجاورة؛ وللفور عادت الهزّات الأرضية إلى الحدوث من جديد، وعند عودتهما وافق إبراهيم عليه السلام وإسحق عليه السلام على الإقامة في النّجف بعد أن ألحّ عليهما أهلها في ذلك، ولكن بشرط أن يبيعاهما الوادي الواقع خلف القرية لكي يستخدماه في الزّراعة.

وقد حاول إسحق عليه السلام إقناع أبيه بالتّراجع عن هذا المشروع، لكن إبراهيم عليه السلام أخبر ولده بأنّ هذا المكان سيشهد ذات يوم حدثاً كبيراً،

---

١. *تاريخ الطّبري*: ٩٣/٦.
٢. *الكامل في التّاريخ*، لابن الأثير: ١٦٢/٣.

وسيكون فيه قبر يقام عليه مزار يدخل الجنة بفضله سبعون ألفاً ممّن تقبل شفاعتهم للمؤمنين.

أمّا الوادي الّذي شاء إبراهيمعليه السلام شراءه فيعرف باسم وادي السّلام.

كما روي عن الإمام عليّ بن الحسينعليه السلام حديث عن الإمام عليّعليه السلام مفاده: أنّ وادي السّلام بقعة من الجنة، وأنّ روح المؤمن سواء أكان في المشرق أو في المغرب تنتقل بعد موته إلى هذه الجنة لتنعم فيها بالسّلام والرّاحة.

أصل تسمية النجف: في القديم كان هنالك جبل يشرف على منطقة النجف، وعندما انتهى نوحعليه السلام ـ (قبره وقبر آدمعليه السلام موجودان داخل مزار عليّعليه السلام ـ من بناء الفلك أمر الله بأن يأخذ فيه من كلّ زوجين اثنين، إضافة إلى من كان معه من المؤمنين.

وقد رفض أحد أولاده ـ وهو ممّن لم يؤمنوا بالله ـ أن يدخل الفلك، قائلاً: بأنّه سيأوي إلى جبل يعصمه من الماء.

وما أن قال ذلك حتّى اندكّ الجبل من أساسه، أمّا ذلك الشّقي فابتلعته الأمواج، ثمّ انبثق نهر في المكان الّذي كان يقوم فيه الجبل، ومع مرور الأيام جفّ ذلك النهر وسمي المكان بـ«ناي جف»، أي النهر الّذي جف.

حكم بني أُميّة

١. صعوبات الخلافة وموت الحسنعليه السلام

بايع أهل الكوفة الإمام الحسنعليه السلام كخليفة جديد للأُمّة الإسلاميّة، ولم يكن يومها قد بقي من الأمصار تحت حكم عليّ غير الحجاز (مكّة والمدينة) والكوفة.

ورغم كلّ ما بذله الإمام الحسنعليه السلام طيلة ستة أشهر من محاولات غير مجدية ـ كما فعل أبوهعليه السلام من قبل ـ فقد عانى كثيراً من عدم إمكانية استئناف الحرب ضد معاوية الّذي كان قد أصبح خصماً بالغ القوة بالفعل.

وكان الجيش الّذي ورثه الإمام الحسن عليه السلام عن أبيه قد أصيب بالضّعف لأسباب كالنقص في الرّجال والمعدات والنزاعات الدّاخلية وقلّة التّنظيم.

وفي ظلّ هذا الوضع الحرج أرسل معاوية جيشاً إلى الكوفة لإخضاع الإمام الحسن عليه السلام.

وبالنظر إلى سوء الأوضاع، اتضح للإمام الحسن عليه السلام بأنّ لا مندوحة له من التّفاوض مع العدوّ، على أساس أنّ الوصول إلى تسوية يظلّ أفضل من التّمسك بقضية محقّة لا سبيل إلى إحقاقها.وبهذا المعنى يمكن القول بأنّ صلحاً يراعي الظّروف يظلّ أفضل من حرب من شأنها أن تصادر، بشكل نهائي، مستقبل الإسلام عبر تصفية القلّة القليلة الباقية من ممثليه الحقيقيين.

وفي ظلّ هذه الظّروف تمّ إبرام الصّلح بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية. وبهذا الخصوص يقول الطّبري، وابن الأثير: أنّ معاوية أرسل إلى الحسن عليه السلام قرطاساً لا كتابة فيه وممهوراً بخاتمه، إضافة إلى رسالة أُخرى يقول له فيها بأنّ بإمكانه أن يكتب كلّ ما يطلبه في ذلك القرطاس مع تعهّد منه بالوفاء بكلّ ما يطلبه الإمام الحسن.[١]

وقد كتب الإمام الحسن عليه السلام شروطه في ذلك القرطاس، لكن المؤرخين لم يولّوا تلك الشّروط ما تستحقه من اهتمام لسبب بسيط، هو أنّ معاوية كان قد أعلن منذ استلامه السّلطة بأنّه لن يفي بأيّ منها. غير أنّ إخضاع جميع الرّوايات بهذا الشأن للتحليل يسمح بالخروج في الحدّ الأدنى بالتّصور التّالي:

تمّ الاتّفاق على أن يتخلّى الحسن عليه السلام لمعاوية عن الخلافة (الزّمنية) على أن تعود إليه بعد موت معاوية، ومع ذلك يبقى الإمام الحسن عليه السلام محتفظاً

---

١. يتحدّث السّيوطي في *تاريخ الخلفاء* عن تواريخ مختلفة باختلاف الرّواة. فمنهم من يقول: بأنّه توفي عام ٤٩ للهجرة، ومنهم من يقول في العام ٥٠ للهجرة، فيما يقول آخرون في العام ٥١.

بالسّلطة الرّوحية في قيادة الأُمة، وهي سلطة من الله لا يمكن لأيّ بشر أن ينتزعها منه.

وبالمقابل تعهّد معاوية بالتزام القرآن والسّنة، وبعدم توريث السّلطة لعقبه، بل للإمام الحسن عليه السلام أو في حال وفاته لأخيه الإمام الحسين عليه السلام، كما تعهّد بالكفّ عن ملاحقة شيعة عليّ واضطهادهم في جميع بلاد الإسلام بعد كلّ الحروب الّتي جرت بين الفريقين، وبعد ذلك غادر الإمام الحسن الكوفة وأقام في المدينة، حيث مات مسموماً في (٢٨) صفر من العام (٥٠) للهجرة.[1] وكان مقتل الحسن من تدبير معاوية، حيث وعد امرأة[2] كانت إحدى نساء الحسن عليه السلام، بهدف تنفيذ جريمتها بعد ما وعدها به معاوية، بأن يزوّجها من ابنه يزيد وأن يمنحها مبلغاً كبيراً من المال، إذا ما تمكنت من دسّ السّم للإمام الحسن عليه السلام، وقد نجحت تلك المرأة في دسّ السّم للحسن عليه السلام الّذي كان زوّجها حينئذ.

وعندما زفّت الخبر إلى معاوية، وفّى لها بالمال الّذي وعدها به، لكنّه أبى تزويجها من يزيد معتبراً أنّ من يقتل الحسن عليه السلام لا يمكن ائتمانه على يزيد بن معاوية.

وكان الحسن عليه السلام قد أبلغ أخاه الحسين عليه السلام قبل موته يدفنه إلى جانب جده محمد صلى الله عليه وآله، وبأنّ عليه إلاّ يهرق محجماً من دم فيما لو جرى الاعتراض على ذلك.

وكان مروان بن الحكم والياً في ذلك الحين على المدينة من قبل معاوية، فحال دون دفن الحسن عليه السلام عند جدّه صلى الله عليه وآله، فدفن في البقيع حيث كان يدفن المسلمون موتاهم.

---

١. كانت تلك المرأة ابنة الأشعث بن قيس، وابنة أخت أبي بكر. والأشعث كان في طليعة الخوارج في صفين.

٢. *تاريخ الخلفاء* السيوطي نقلاً عن *صحيح البخاري*: ٢٣٠؛ *والنسائي*؛ *تفسير*، ابن أبي حاتم.

وتولّى الإمامة من بعده أخوه الإمام الحسين عليه السلام، فقد كان هو إمام الأُمّة الّذي يقودها من الناحيّة الروحيّة، ولكن دون جانبها المادي والأرضي، ومن جهته كان معاوية قد استولى على ذلك الجانب من الخلافة وبالطّبع فإنّ الخلافة (بما هي ولاية زمنيّة وحسب) كانت في تعارض كامل مع خلافة الله الّتي كان يتولاها الإمام الحسين عليه السلام والّتي قلّدها رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام عليّاً عليه السلام والحسن عليه السلام من بعده.

٢. الخلافة بعد الحسن عليه السلام

ما إن علم معاوية بموت الحسن عليه السلام حتّى خرّ إلى الأرض ساجداً، وفرح بالخبر أشدّ الفرح. لا لأن ابن الإمام عليّ عليه السلام كان يحول بينه وبين ما يريد، حيث إنّه كان قد عزم على عدم احترام أيّ من العهود الّتي قطعها له، بل إنّ فرحه كان لموت عدوّه الّذي كان شديد الحقد عليه.

ثمّ سارع معاوية إلى أخذ العهد لولده يزيد خليفة من بعده، وذلك خلافاً للشّرط الّذي تمّ الاتفاق عليه في الصّلح والذي يقضي بأن تفضي الخلافة إلى الإمام الحسين عليه السلام إذا ما حدث مكروه للإمام الحسن عليه السلام.

وقد قوبل قرار معاوية بمعارضة العديدين من وجوه أهل المدينة، وفي مقدمهم الحسين عليه السلام، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عباس، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن جعفر، وسائر بني هاشم.

وهنالك رواية[1] جديرة بالاهتمام في هذا المجال. فقد بعث معاوية إلى مروان بن الحكم، واليه على المدينة، برسالة يشرح له فيها سبب اختياره ليزيد كولي لعهده، ويطلب إليه أخذ البيعة له بالخلافة من بعده. وبالنظر إلى موالاة

---

١. كانت تلك المرّة الأولى، بعد أن رفضوا النّص الواضح من قبل النّبيّ صلى الله عليه وآله على خلافة علي عليه السلام، الّتي يقوم فيها خليفة بتعيين خليفة من بعده قبل وفاته بمدة طويلة.

مروان لمعاوية فقد انبرى إلى الدّعاية إلى هذه البدعة.[١] وعلى هذا الأساس أعلن على ملأ من المسلمين أنّ معاوية لم يفعل ما فعله إلاّ بهدي من سنة أبي بكر وعمر؛ لأنّ كلّاً منهما عيّن الخليفة من بعده في حياته.

لكن عبد الرحمن بن أبي بكر ردّ عليه بأنّ تلك سنّة كسرى وقيصر؛ لأنّ أبا بكر وعمر لم ينصّبا أبناءهما من بعدهما.

وقد غضب مروان لمواجهته بهذا الرّد، وأمر بحبس عبد الرحمن الّذي التجأ إلى أخته عائشة زوجة رسول الله ﷺ وأمّ المؤمنين، وبذلك توقّف مروان عن ملاحقته، وقال:

دعوه، تبّاً له فهو الّذي قال الله تعالى فيه:

﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي...﴾.[٢]

وعندما سمعت عائشة بما قاله مروان ردّت عليه بأنّ أيّ قرآن لم ينزل فينا، وأضافت بأنّ رسول الله ﷺ لعن أبا مروان ومروان في صلبه.[٣] وهي بهذا تشير إلى أنّ هؤلاء هم الشّجرة الملعونة المذكورة في القرآن الكريم.

لنعد إلى رفض وجوه أهل المدينة بيعة يزيد:

رفض الحسين عليه السلام كان يستند إلى عدم قبوله الخضوع لمعاوية، وبالتّالي لابنه. أمّا عبد الله بن الزبير فكان يأخذ على معاوية كونه يفرض على المسلمين خليفتين كليهما على قيد الحياة، والأسوأ أنّ يزيد كان معروفاً بشغفه بالخمر وبالغناء، والصيد واللهو وبعدم التقوى.

---

١. ذكر ذلك عدد كبير من المؤرخين.

٢. الأحقاف: ١٧.

٣. عن عباس أحمد البستاني في نصوص جمعها حول الإمام الحسن عليه السلام ونشرتها جمعية أهل البيت.

وقد ذهب معاوية بنفسه إلى المدينة لتحقيق غرضه. والتقى سرّاً مع وجوهها كلّاً على حدة، حيث لم يسفر لقاؤه مع الحسينعليه السلام وعائشة، وعبد الله بن الزبير، عن أيّ نتيجة.

ومع هذا قال أمام الملأ بأنّ الجميع قد وافقوا على قراره في تنصيب يزيد خليفة، وبذلك، يكون معاوية قد نجح كعادته في إثارة النعرات والشّبهات في أذهان النّاس عبر دفعه وجوه المدينة إلى التّساؤل حول الشّخص أو الأشخاص الّذين وافقوا سرّاً على مطلب معاوية غير المقبول.

وظلّ هذا الوضع على حاله خلال ولاية مروان والوالي الّذي تلاه على المدينة من قبل معاوية، حيث واصل بنو هاشم وعلى رأسهم الإمام الحسينعليه السلام، وعدد من أبناء صحابة النّبيّﷺ، رفضهم لسلطة خليفة أموي يأتي عن طريق التّعيين.

٣. معاوية ومساؤه المعهودة

ومات معاوية بعد ذلك بعشر سنوات في شهر رجب من العام (٦٠) للهجرة، ودفن في دمشق تاركاً الوضع على حاله في المدينة رغم توسّع سلطته في بقية الأمصار.

وقد يحتاج الحديث عن مساوئ معاوية إلى كتابة مؤلّفات عديدة، فما قلناه حتّى الآن لا يشكّل غير جزء يسير جداً من مساوئه الّتي لم نأت على ذكرها.

فقد كان معاوية بن أبي سفيان قد عارض حكم الإمام عليّعليه السلام، ومن بعده حكم ولده الإمام الحسنعليه السلام، وذلك بذريعة كاذبة هي الطّلب بدم الخليفة الثّالث عثمان. وبالتأكيد، فإنّ تلك الذّريعة لم تصمد طويلاً أمام الزّمن، ولكنّها أحدثت فعلها التّدميري في وحدة الأُمّة، قبل أن تخلّى المجال

أمام كلّ ما يكنه معاوية من حقد على آل البيتعليهم السلام، وأمام طموحه الموروث وغير المحدود إلى السّلطة.

ويعود ذلك الحقد وذلك الطّموح ـ وكلاهما ورثهما معاوية عن أسلافه ـ إلى الخلافات الّتي كانت ناشبة بين هاشم وأُميّة، وهما جدّ بني هاشم (الفخذ الّذي ينتمي إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام وعقبهما) وبني أُميّة (الفخذ الّذي ينتمي إليه أبو سفيان وولده معاوية وعقبهما).

ويتحدّث عن هذه الخلافات الكاتب المصري عباس محمود العقاد[١] الّذي يمكن وصفه بأنّه من مؤيدي الإمام عليّ عليه السلام ومعارضي معاوية، فيقول: بأنّ هاشماً وأميّة كانا يتنازعان الزّعامة قبل ولادة معاوية بزمن طويل. وقد أدّى هذا النّزاع بأميّة إلى الخروج مكرهاً وحاقداً من الحجاز والرّحيل إلى الشّام، في حين بقي هاشم وحده زعيماً لبني عبد مناف في مكّة. وقد شكّل ذلك أوّل خلاف بين هاشم وأُميّة، حيث أقام الأوّل في الحجاز وأقام الثاني في الشّام.

وبعد ذلك، ارتفع نجم أبي سفيان بن حرب بن أُميّة في الحجاز، حيث تمكّن من منافسة بني هاشم على الزّعامة.

وعندما انطلق رسولالله محمد صلى الله عليه وآله بالدّعوة إلى الإسلام خاف أبو سفيان بن حرب بن أُميّة (والد معاوية) على الزّعامة، وكان في طليعة من ناوؤوا الدّعوة إلى الإسلام. وإنّه من النادر أن نجد معركة ضد المسلمين لم يشارك فيها أبو سفيان عن طريق تحريض القبائل وتعبئتها وتمويلها. وشاءت الصّدف أن يصبح أبو سفيان زعيم قريش الأوحد في حربها على النّبيّ صلى الله عليه وآله.

والواقع أنّ موت الوليد بن المغيرة ـ زعيم بني مخزوم ـ، ودخول زعماء تيم وغيرهم من زعماء قريش الثّانويين إلى الإسلام قد رفعا أبا سفيان إلى

---

١. أيّ أنّ أبا سفيان هدّد بالثّورة على أبي بكر.

طليعة المواجهة في الجاهليّة، وجعلا بني أُميّة يحاربون النّبيّﷺ وأصحابه من المهاجرين والأنصار. وقد بلغت عداوة بني أُميّة للنبي ﷺ حدّاً جعل أبا لهب ـ وهو الوحيد بين أعمام النّبيّﷺ الّذي عادى الدعوة الإسلامية ـ يشارك في التآمر على النّبيّﷺ وفي تحريض النّاس ضدّ الإسلام، لأسباب منها: أنّه كان متزوّجاً من امرأة من بني أميّة هي أمّ جميل بنت حرب (أخت أبي سفيان) الّتي وصفها القرآن بـ«حمّالة الحطب» في إشارة إلى ما قامت به من أعمال أساءت بها إلى الإسلام وأذكت نيران الأحقاد.

ولم يعتنق أبو سفيان وابنه معاوية الإسلام إلاّ خلال فتح مكّة، وكان ذلك أصعب عملية دخول في الإسلام بعد الفتح، حيث كانت هند بنت عتبة، زوّجة أبي سفيان تصرخ في وجوه الناس بعد أن أسلم زوجها وتحرضهم على قتله. وظلّ أبو سفيان لفترة طويلة يعتبر أنّ انتصار الإسلام هزيمة له، وفي ذات يوم كان يرمي النّبيّﷺ وهو في المسجد بنظرات الحيرة والتّعجب ويتمنّى، في سرّه، أن يعرف بم غلبه النّبيّﷺ. وفهم النّبيّﷺ معنى نظراته، وقال له: «بالله غلبتك يا أبا سفيان»!

وفي معركة حنين ـ وادٍ بين مكّة والطّائف وقعت بين المسلمين وهوازن في السّنة الثّامنة للهجرة وانتصر فيها المسلمون في النهاية ـ كان أبو سفيان يلاحظ هزيمة المسلمين في بداية المعركة، ويصيح بأنّه لا يظن بأنّ المسلمين سيتوقّفون منهزمين قبل بلوغ ساحل البحر. ويقال: بأنّه كان خلال الحرب بين المسلمين والرّوم، يصرخ في كلّ مرّة يتقدم فيها الرّوم: «أيهاً بنو الأصفر!» (وهو الاسم الّذي كان العرب يطلقونه على الرّوم)، وفي كلّ مرة يتراجعون فيها، كان يعرب عن أسفه بقوله: «تعساً بنو الأصفر».

وكان النّبيّ قد بذل ما بوسعه لاستمالة أبي سفيان إلى الإسلام قبل الفتح وبعده، فقد تزوّج ابنته أمّ حبيب قبل الفتح، وبعد الفتح، جعل بيته آمنا لمن

دخله: «ومن دخل بيت أبي سفيان فهو آمن». كما جعله في طليعة «المؤلّفة قلوبهم» ممّن أغدق عليهم المال على أمل أن يغسل قلوبهم من الحقد بعد انتصار الإسلام.

وعلى الرّغم من ذلك كلّه، كان المسلمون يتحاشون أبا سفيان ويمتنعون عن النظر إليه ومخالطته، وقد تضايق أبو سفيان من هذه العزلة ورغب في إنهائها بأن طلب إلى النّبيّ ﷺ بأن يستكتب معاوية ابنه، وبأن يشركه في محاربة المشركين بعد أن كان قد حارب المسلمين.

وعند وفاة النّبيّ ﷺ نشب الخلاف بين المهاجرين والأنصار وغيرهم من الصّحابة حول الخلافة. وقد سرّ أبو سفيان لهذا الخلاف وظنّ أنّ بإمكانه إحداث فتق بين المسلمين يعيده إلى ترؤس قريش والأُمّة كلّها. لذا ذهب إلى عليّ عليه السلام وعمّه العباس بقصد تحريضهما على التّحرك، وعرض عليهما أن يمدّهما بالرّجال والخيل مستنكراً وصول الأمر إلى من اعتبره أحطّ قريش.[1] وبلا شكّ، فإنّه لم يغضب لإبعاد بني هاشم عن الخلافة فهو كان سعيداً بذلك؛ لأنّه ما كان سيقدر أبداً على انتزاعها منهم، كلّ ما كان يريده أبو سفيان هو إحداث خلاف قد يسمح له بفتح باب يفضي به إلى زعامة قريش وسائر الأُمّة، لكنّ عليّاً عليه السلام انتبه إلى خبث مقصده وأفهمه بأنّ المسلمين أولى ببعضهم البعض.

وعندما وصلت الخلافة إلى عثمان حقق بنو أمية بذلك انتصاراً كبيراً؛ لأنّه كان واحداً من زعمائهم وابن عمّ لجميع أفراد عائلاتهم، وأصبحت الدّولة الإسلاميّة دولة أموية لا يمكن إلاّ لبني أمية وأنصارهم أن يستفيدوا من سلطتها وتسهيلاتها، فكان مروان بن الحكم المقرّب من الخليفة يغدق الأعطيات على أقاربه ويحرم منها جمهرة المسلمين. أمّا معاوية بن أبي سفيان،

---

١. *في العبقرية الإسلاميّة*، عبّاس محمود *العقاد*: ١٧٠/٢ و ما بعده.

عامل عثمان على الشّام، فكان يحيط نفسه بأقاربه وأنصاره... وعندما قتل عثمان، كانت جميع مناصب الدّولة وأملاكها دولة بين الأمويين والعاملين لحساب الأمويين.[١]

لم يكن معاوية راضياً عن سماع اسم النّبيّ يتردّد في الأذان خمس مرات في اليوم، بصيغته «أشهد أنّ محمداً رسول الله». بينما كان يعتبر أنّ أبا بكر وعمر وعثمان قد ماتوا ودفنت مع كلّ واحد منهم ذكراه.[٢]

إنّه ذلك الشّعور القمئ بالحسد الّذي بلغ بمعاوية حدّاً أمر به عمّاله بلعن الإمام عليّ عليه السلام في خطبهم، كما التزم هو نفسه بهذا الأمر. حتّى العلّامة أبي الأعلى المودودي[٣]، الذي كان يحاول دائماً أن يجد أعذاراً لمعاوية لم يجد مناصاً من الاعتراف بأنّ بدعة بغيضة ظهرت في عهد معاوية، حيث كان يسبّ سيّدنا عليّاً ويأمر عماله بسبّه من على منابرهم، والأشدّ خطورة من ذلك هو أنّهم كانوا يلعنونه ـ مع أنّه كان أحبّ الناس إلى النّبيّ وأقربهم إلى قلبه ـ وذلك حتّى من فوق المنبر في مسجد النّبيّ، وأمام بيت النّبيّ، وبحضور أهل البيت عليهم السلام من اقارب سيدنا علياً الّذين كانوا يسمعون بآذانهم سبّ سيدهم.

ويضيف المودودي أن توجيه الشّتم لأيّ إنسان بعد موته هو شيء مخالف للأخلاق الإنسانية، وذلك دون الحديث عن كونه مخالفاً للشّريعة. والأنكى أنّ إيراد مثل هذه الحقارات في خطبة صلاة الجمعة هو عمل فظّ ومشين من النّاحيتين الدّينية والأخلاقية.

والأكيد أنّ هذا العمل المشين لم يكن يحظى بقبول المسلمين

---

١. عن مروج الذّهب؛ شرح *نهج البلاغة*، ابن أبي‌الحديد.
٢. *الخلافة والملك*: ١١٣.
٣. *تاريخ الخلفاء*، السيوطي: ص٢٣٧.

المخلصين ممّن كانوا لا يحضرون صلاة الجمعة إلاّ بعد انتهاء الخطبة؛ لكي لا يسمعوا شتم عليّ عليه السلام ولعنه فيها.

ولم تلبث ردود الفعل على ذلك أن بدأت بالظّهور من قبل بني أُميّة، أولاً: باللجوء إلى القتل. ففي هذا الإطار قتل حجر بن عدي وهو أحد الصّحابة المقربين إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله. وكان معروفاً بزهده وتقواه. وكان مقتله مع سبعة من أصحابه على يد زياد بن أبيه، عامل معاوية على البصرة. وقد أرسل معاوية إلى زياد رجُلاً ثامناً من أصحاب حجر مع كتاب يأمره فيه بأن يقتله بطريقة شنيعة. وبالطّبع، استجاب زياد بكلّ طيب خاطر وقتل الرّجل، بأنّ دفنه وهو على قيد الحياة!

ولا بدّ من الإشارة أنّ هؤلاء لم يكن لهم من ذنب غير الاحتجاج على تأخير زياد بن أبيه لوقت الصّلاة بعد أن أطال خطبته، لا لشيء إلاّ لأنّ ذلك الحاكم الأموي كان يريد أن يستمتع في هدر وقت الله ووقت المسلمين في سبّ الإمام عليّ عليه السلام.

هل يسستحق هؤلاء ـ أي معاوية وعماله ـ أن يصانوا ويمتدحوا ويمجدوا؟ سؤال بسيط نطرحه على من فعلوا ذلك ولكن أيضاً على من يستمرون حتّى الآن في فعله. لقد فرض الله علينا المعروف باليد واللسان والقلب، وحرّم علينا المنكر باليد واللسّان والقلب، ثمّ منحنا القدرة على فعل الخير وفعل الشر، أي أنّه خيّرنا في ذلك. وأخبرنا بأن هنالك جنة لمن عمل صالحاً وناراً لمن جاء بالسّيئات. لذا علينا أن نسعى لأن نكون من أهل الصّلاح، وألاّ نساند من أساؤوا ومن يواصلون الإساءة.

٤. عهد يزيد

ولد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان في العام (٢٦) للهجرة في المدينة على الأرجح، وقد ورّثه أبوه معاوية كلّ حقده على أهل البيت عليهم السلام، وهو الحقد

الّذي ورثه ـ هو نفسه ـ عن أبيه أبي سفيان، الّذي ورثه بدوره عن تاريخ طويل من الخصومة بين بني هاشم (قوم النّبيﷺ) وقومه بني أُميّة، مع أنّ الفريقين ينتميان إلى عبد مناف، أحد أفخاذ قريش.

وقد دام حكم يزيد ثلاثة أعوام (لكنّه غطّى أربعة أعوام غير مكتملة) وتميز بالعديد من التّجاوزات بحق الأمّة، وهذه التّجاوزات هي من النّوع الّذي يمكن وصفه في أيامنا بأنّه يشكّل انتهاكاً لحقوق الإنسان، أو حتّى جرائم بحقّ الإنسانيّة، وللإحاطة بمعالم تلك الشّخصيّة المشؤومة، فإنّنا سنحاول اختصار حكمه بثلاثة أمور فعلها وتركت في الوعي الجمعي آثاراً لا تمحى:

١. في السّنة الأولى: يزيد يقتل الحسينعليه السلام

٢. في السّنة الثّانية: جيش يزيد يجتاح المدينة

٣. في السنة الثالثة: يزيد يموت بينما جيشه يحرق الكعبة

إنّ عودة سريعة إلى مسألة وصول يزيد إلى الحكم تسمح لنا بتعريف القارئ بتلك الأحداث الثّلاثة، وخصوصاً بالحدث الأول:

فكما رأينا في القسم الّذي تحدثنا فيه عن الحسينعليه السلام، كان معاوية قد فرض ابنه الفاسق يزيد على جميع البلدان باستثناء المدينة، وذلك بأن طلب إليهم أن يبايعوه طوعاً أو كرهاً.

وعندما تولى يزيد السلطة بعد أبيه طلب إلى عامله على المدينة ـ الوليد بن عتبة ـ أن يجبر الحسينعليه السلام على البيعة، أو أن يقتله إذا أبى ذلك، وقد ذكرنا ما حدث بعد ذلك من رحيل الحسينعليه السلام إلى مكّة، ومنها إلى الكوفة، حيث قتل بطريقة همجيّة في كربلاء مع آل بيته وعدد من صحابة رسول اللهﷺ، وقد قتله عبيد الله بن زياد، عامل يزيد على الكوفة بعدما أرسل إليه جيشين:

أحدهما، بقيادة الحر بن يزيد الرّياحي. والآخر، بقيادة عمر بن سعد بن أبي وقاص. أمّا من أمر بهذه المجزرة المروعة فهو يزيد نفسه، وقد علمنا مبلغ

ما أظهره من شماتة وفرح في قصيدة قالها عندما وصل إليه رأس الحسين عليه السلام.

كان ذلك أوّل الأفعال القبيحة الّتي طبعت بطابعها حكم يزيد. «مأثرة» كبيرة تمثّلت بقتل الأكثرية السّاحقة من ذريّة رسول الله صلى الله عليه وآله، باستثناء الإمام زين العابدين، علي بن الحسين عليه السلام، وابنه الإمام محمد الباقر عليه السلام الّذي كان يومها في الخامسة من عمره. وبالطّبع، وخلافاً لفكرة مغلوطة لكنّها شائعة جداً في بعض الأوساط الإسلاميّة، فإنّ عدداً من أبناء الإمام الحسن عليه السلام نجوا من تلك المجزرة، بينما قتل فيها عدد منهم.

«مأثرة» يزيد هذه تبعتها «مأثرة» أُخرى. فالواقع أنّ أهل المدينة استنكروا مقتل الحسين عليه السلام بشدّة وقرروا طرد والي يزيد على المدينة، وفي مقدمتهم الوليد بن عتبة، فقد كان مقتل الحسين عليه السلام بالنسبة لأهل المدينة بمثابة نقطة الماء الّتي طفح بها الكيل فأخرجوا أقارب يزيد من بني أميّة وممثليه ممّن كانوا على شاكلته من الظلمة العتاة الّذين كان أهل المدينة يخشون أن تمطر السماء بسببهم حجارة فوق رؤوس الناس.[١]

وقد أرسل عامل يزيد المطرود من المدينة كتاباً إلى سيده أعلمه فيه بإجلاء بني أُميّة عنها.

عندها أرسل يزيد إلى المدينة جيشاً بقيادة مسلم بن عقبة الّذي عرف باسم مسرف؛ لما تميّز به من الإسراف في القتل. وكان اختياره له قائماً على معيار واحد هو غلظته وقسوته، وكان تعداد الجيش الّذي هاجم به المدينة ثلاثين ألف رجل. وللأسف لم يتمكن أهل المدينة من المقاومة إلاّ لفترة قصيرة، تعرض خلالها ما لا يقل عن أربعة آلاف رجل وامرأة من الصّحابة والتّابعين وأبنائهم للإذلال والتّعذيب والاغتصاب والقتل. كان ذلك عبارة عن مجزرة حقيقية تخللها الكثير من فصول الفسق الشّيطانية.

---

١. مسند أبي حنيفة، *مروج الذهب*: ٢٦٨/٣.

وقد عرفت هذه المعركة الشّهيرة في التاريخ الإسلامي باسم «وقعة الحرّة». وكانت الـ«مأثرة» الثّانية الّتي ارتكبها يزيد في السّنة الثّانية من حكمه.

كان سرور يزيد كبيراً بالنتيجة الّتي حققها مسرف في المدينة، فطلب إليه أن يتابع مسيره إلى مكّة، لكنّه مات في طريقه إليها. لكنّ موته لم يمنع جيشه من مواصلة الزّحف على مكّة بقيادة رجل آخر كان يزيد قد عيّنه قائداً ثانياً عند مسير الجيش من الشّام.

وفي مكّة، دارت معارك عنيفة على مدى عدة أشهر بين جيش يزيد، وجيش عبد الله بن الزّبير، ابن الصّحابي المعروف.

وخلال المعارك، حاصر جيش يزيد الكعبة، أشرف مدن الإسلام، وكان جنود يزيد قد دمّروا جوانب من الكعبة ورموا النار على أستارها وعندها وصلهم خبر وفاة يزيد، وكانت تلك «مأثرة» يزيد الثّالثة والقاضية.

وقد حدث ذلك في النصف الأوّل من شهر ربيع الأول من العام (٦٤) للهجرة.

وبذلك بات على جيش يزيد أن يتراجع، وبتراجعه أصبح ابن الزّبير السّيد المطلق في الجزيرة العربية، ما عدا الأماكن الحصينة في الشّام ومصر، اللتين بقيتا تحت سلطة بني أُميّة.

وقد قتل ابن الزبير في العام (٧٣) للهجرة على يد جيش أرسله عبد الملك بن مروان، وقد صلب جسده العاري وظلّ أيّاماً معلّقاً على خشبة.

حكم بني أُميّة بعد معاوية ويزيد: بعد موت معاوية في العام ستين للهجرة ظل ابنه يزيد في الحكم حتّى العام (٦٤) للهجرة.

وخلف معاوية بن يزيد أباه في الحكم، وهو ابن إحدى وعشرين سنة، وذلك لمدة شهرين أو ثلاثة أشهر، على اختلاف في الرّوايات.

وعندها قدم مروان من مصر واستلم السّلطة في الشّام، ثمّ أرسل جيشاً لمحاربة ابن الزبير في مكّة.

لكن مروان مات قبل إنجاز هذه المهمّة الّتي تولّاها ابنه عبد الملك، الّذي حاصر ابن الزبير في مكّة وقتله عام (٧٣) للهجرة.

وبعد عبد الملك بن مروان تولّى الحكم، على التوالي كلّ من

الوليد بن عبد الملك

سليمان بن عبد الملك

عمر بن عبد العزيز. وكان الوحيد الّذي اعترف بأنّ بني أُمية اغتصبوا الحكم من آل النّبيّ صلى الله عليه وآله وقرر إعادته إليهم، ولكنه لم ينفذ هذا القرار. لكنّه ألغى الأمر الّذي كان خطباء المساجد يسبّون بموجبه عليّاً عليه السلام وآل بيت الرّسول صلى الله عليه وآله في خطب صلاة الجمعة.

يزيد بن عبد الملك

هشام بن عبد الملك

الوليد بن يزيد بن عبد الملك

يزيد الناقص (أبوخالد بن عبد الملك)

إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك

مروان بن محمد الملقب بالحمار، آخر خلفاء بني أميّة.

ولابدّ من ذكر بعض الملاحظات المتعلّقة بنسب السّلالة الأُموية الحاكمة:

الحاكم الأوّل: معاوية، هو ابن أبي سفيان المعروف كان عدوّاً كبيراً للإسلام وخصماً للنبيّ صلى الله عليه وآله يوم القيامة.

الحاكم الثاني: هو يزيد بن معاوية، لا قول فيه غير أنّه كان أسوأ من أبيه... بل أسوأ بكثير!

الحاكم الثالث: هو معاوية بن يزيد، الّذي لم يفعل خيراً ولاشراً لقصر مدّة حكمه.

الحاكم الرابع: هو مروان، وأبوه الحكم طريد رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث

طرده من المدينة ولعنه هو وكلّ ذريته.

أمّا الباقون فهم من ذرية مروان، أي أنّهم ملعونون على لسان رسول اللهﷺ.

وقد حكمت هذه الأُسرة طيلة (٨٣) عاماً وألحقت ضرراً جسيماً بالإسلام وبالأُمّة الإسلامية.

وبعد بني أُمية جاء بنو العباس الّذين فاقوا الأمويين بالفظائع والابتعاد عن تعاليم الإسلام. وباختصار، فإنّ العباسيين أغرقوا الأُمّة أكثر ممّا فعله الأمويون في ظلمات دياجير الكفر والجهل والظّلامية.

المذاهب الخمسة: بعد أكثر من قرن على وفاة رسول اللهﷺ، لم يكن قد ظهر بعد أي مذهب في تفسير القرآن وفي مجال الفقه غير مذهب أهل البيت، أي ذلك المذهب الّذي استنه النّبيّﷺ واستمرّ عليه الإمام عليّعليه السلام والأئمة الأحد عشرعليهم السلام من عترته والأنوار المضيئة من متابعي أهل البيتعليهم السلام. ذلك يعني أنّ مذهبهم هو أوّل مذاهب الإسلام.

ومع مرور الوقت والقطيعة المتزايدة، بسبب الحروب ـ وجهل الحكام الزمنيين ـ بين السّلطة الرّوحية والسّلطة الزّمنية، ظهرت مذاهب أُخرى.

ومن هنا نجد اليوم أنّ أهل السّنة يتابعون بوجه عام هذا أو ذاك من المذاهب الكبرى، وهي:

المذهب الحنفي (مؤسسه الإمام أبو حنيفة النعمان)، والمذهب الشّافعي (مؤسسه الإمام الشّافعي)، والمذهب المالكي (مؤسسه الإمام مالك بن أنس)، والمذهب الحنبلي (مؤسسه الإمام أحمد بن حنبل).

ولابدّ من أن نعرف منذ البداية أنّ أياً من هؤلاء الأئمة الأربعة لم يعلن انفصاله عن الخط الرّئيسي الوحيد والأصيل في الإسلام. كما أنّ أياً منهم لم يعترف أو يقبل بأنّه رائد تيار خاص في تفسير القرآن والسّنة وإن كانت بعض تعاليمهم تبتعد بشكل واضح عن التّعاليم الأصيلة. لا بل إنّ أبا حنيفة والشّافعي

اعترفا، في نصوص معروفة[١] وبشكل لا نقاش فيه في جميع أنحاء العالم الإسلامي بأنّهما أخطأا في العديد من المسائل، كما اعترفوا جميعاً، وعلى الدّوام بأنّ الأعلم بالقرآن وتفاصيله هم عترة الرّسول (من آل البيت عليهم السلام. وللأسف، وفي الوقت الّذي كانوا يقومون ـ هم أنفسهم ـ بتصحيح أقوالهم، كانت هذه الأقوال قد أصبحت منتشرة في طول العالم الإسلامي وعرضه، ومن هنا بلغت الأخطاء حدّاً من الانتشار جعل الشّكوك تتسرب إلى أذهان تلامذتهم، أو حتّى تقودهم إلى التّخاصم والتّنازع.

أوّل رواد هذه المذاهب الأربعة هو أبو حنيفة النعمان الّذي ولد عام (٨٠) للهجرة وتوفي عام (١٥٠) للهجرة. وكان عالماً كبيراً مارس التّعليم، وكتب الكثير عن الإسلام.

وقبل أن يذهب للقاء الإمام جعفر الصّادق عليه السلام كان أبو حنيفة قد تلقّى أمراً من الخليفة العبّاسي ـ أبي جعفر المنصور ـ في تلك الفترة بأن ينتقي أربعين من المسائل الفقهية الأكثر صعوبة؛ ليمتحن بها حفيد رسول الله صلى الله عليه وآله، الإمام الصادق عليه السلام. ولو عجز الإمام الصادق عن حلّ هذه المسائل سيكون مبرراً بيد المنصور أن يتهمه بالكذب والتّدليس، وبالتّالي بتحقيق حلمه في القضاء عليه. ولا بدّ من التذكير هنا بأنّ الإمام الصّادق عليه السلام هو سادس الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وبأنّه عمل الكثير من أجل تنظيم ونشر تعاليم الإسلام.

ولسوء حظ المنصور أجاب الإمام الصّادق عليه السلام على جميع أسئلة أبي حنيفة النعمان، وذلك بمنتهى السّهولة والدّقة والفصاحة التي أذهلت أبا حنيفة،[٢] وعندما سئل مؤسس المذهب الحنفي عن أعلم الناس بالإسلام،

---

١. راجع: *مناقب على بن أبى طالب*.

٢. راجع: *مناقب أبى حنيفة*؛ الموفق: ١٧٣/١ وقال الحسن بن زياد بأنه سمع أبا حنيفة يقول ذلك

أجاب بقوله[١]: «ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد».

وبعد السنتين اللتين أمضاهما كتلميذ ينهل من نبع المعرفة في شخص الإمام الصادق‌عليه‌السلام، قال قولته المشهورة:

«لولا السنتان لهلك النعمان»[٢] معترفاً في ذلك بأنّ السّنتين اللتين درس خلالهما على يد الإمام الصّادق‌عليه‌السلام قد مكّنتاه من تصحيح الكثير من آرائه الّتي كان يحسبها من الأمور الصّحيحة.

أمّا الإمام مالك، فقد قال عن جعفر الصادق‌عليه‌السلام:

«ما رأت عيني، ولاسمعت أُذني، ولاخطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمدالصادق علماً و عبادة وورعاً».[٣]

ويروي محمد بن طلحة الشّافعي في كتابه *مطالب السّؤال* عن الإمام أحمد بن حنبل قوله: «لم ينزل على أحد من الفضائل والخصال مثلما نزل على عليّ». وهذا يشكّل اعترافاً واضحاً بصحّة مذهب أهل البيت‌عليهم‌السلام.

ويورد ابن حجر في كتابه *الصّواعق المحرقة* عدداً من شهادات الإمام الشّافعي الّتي يقرّ فيها لأهل البيت‌عليهم‌السلام بخصال العلم والاستقامة والجود وكرم النفس، وغير ذلك من الفضائل. ومن ذلك قوله:

يا آل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم الفضل أنّكم من لم يصلّ عليكم لا صلاة له[٤]

وهو يستخلص ذلك من الآية القرآنية الّتي يقول فيها الله تعالى، بأنّه هو وملائكته يصلّون على النّبي قبل أن يأمر المؤمنين بأن يفعلوا ذلك:

---

١. ذلك معروف ومعترف به من جميع كبار المؤرخين.

٢. *التحفة الاثنى عشرية* للآلوسي: ٨.

٣. راجع: *مناقب على بن أبى طالب*؛ الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: ٥٣/ عن التهذيب:١٠٤/٢؛ والتوسّل والوسيلة، ابن تيميّة: ٥٢، ط٢.

٤. إعانة الطالبين، البكري الامياطي: ٢٠٠؛ نظم دررالسمطين، الحنفي الذرندي: ١٨.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.[1]

وقد ورد أنّ النّبيّ ﷺ قد طلب إلى المسلمين إلاّ يصلّوا عليه الصّلاة البتراء، مشدداً على أنّ من يصلي عليه، عليه أن يصلي أيضاً على عترته.

حتّى الآن، نكون قد علمنا بأنّ مؤسسي المذاهب السّنية الأربعة قد أجمعوا على امتداح أهل البيت عليهم السلام، واعترفوا بصفاء تعاليمهم الّتي نهلوا من منبعها هم أنفسهم، فأبو حنيفة النعمان (٨٠ ـ١٥٠ بعد الهجرة) كان تلميذاً للإمام جعفر الصادق عليه السلام، كما أنّ الإمام مالكاً (٩٥ـ ١٧٩ بعد الهجرة) تعلّم الكثير على يدي الإمام الصادق عليه السلام، وكذلك على يدي أبي حنيفة، في حين أنّ الشّافعي (١٥٠ ـ ٢٠٤) تتلمذ لمالك بن أنس. أمّا الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ ـ ٢٤١)، فقد اتّبع تعاليم الإمام الشّافعي. أمّا الأشعري، وهو مؤسّس أحد المذاهب المعروفة، فقد ولد في العام (٢٥٠ بعد الهجرة) وتوفي في العام (٣٠٠ بعد الهجرة).

كلّ ذلك يبيّن أنّ شيئاً لا يمكنه أن يبرّر الاختلافات في تعاليم هذه المذاهب، وخصوصاً تلك الاختلافات الّتي تفضي أحياناً إلى الصّراع الفعلي بين أتباع هذه المذاهب. ذلكم أنّ جميع المسلمين ينهلون من نبع واحد هو القرآن وسنّة الرّسول ﷺ كما حفظها الأئمة عليهم السلام ونشروها.

على أنّ بعض الظّروف التّخفيفية تفسّر ـ دون أن تبرر بالضّرورة ـ اختلاف التّفسيرات المقدمة من قبل أئمة المذاهب المختلفة:

أولها: أنّهم اعتقدوا في الغالب بأنّ عليهم أن يكيّفوا تعاليم النّبيّ ﷺ الأصيلة بحسب الجماعات البشريّة الّتي عاشوا بينها. غير أنّ بعض الظّروف

---

١. الأحزاب: ٥٦.

كانت قد أصبحت أشدّ عسراً، في حين رفعت بعض أشكال التيسير الّتي سمح بها الله عزّ وجل. والعكس بالعكس في حالات أُخرى.

وإذا ما علمنا بأنّ أئمة المذاهب قد اعترفوا مرات ومرات، بأنّهم قد أخطؤوا في بعض المسائل، فإنّنا نفهم بسهولة كيف أنّ المسلمين كانوا عرضة للانقسام فيما بينهم.

ثانيها: في تلك الظّروف فإنّ التّقية كانت في ظلّ الأمويين والعباسيين، أفضل السّبل المتيسّرة للعلماء الحقيقيين من أجل تفادي قسوة الحكّام. لذا فإنّهم كانوا مجبرين في تلك الفترات على التّفسير والقطع في المسائل؛ تبعاً لإرادات الحكّام.

لكنّ المعروف يقيناً هو أنّ أئمة المذاهب الأربعة كانوا يرجعون إلى أهل البيت عليهم السلام. ولكي نكّون فكرة عن ذلك يكفينا أن نقرأ لائحة بأكثر من مئة مراجعة في المراجعات الشّهيرة، بين الشّيخ سليم البشري (شيخ الأزهر) والإمام شرف الدين العاملي (أحد كبار علماء مذهب آل البيت عليهم السلام).

هل يمكننا بعد كلّ ذلك أن نرفض اتّباع مذهب أهل البيت عليهم السلام؟ طالما أنّ النبع الأصيل يظلّ أفضل من الينابيع الثّانويّة، خصوصاً عندما يكون نبعاً لا ينضبّ ويظلّ الوصول إليه ممكناً من قبل الجميع.

دخول الإسلام إلى إفريقيا (ما عدا مصر)

١. أوائل الفتوحات الإسلاميّة في إفريقيا في ظلّ الحكم الأُموي

شكلّت مصر من الناحية العمليّة جزءً من الدّولة الإسلامية منذ فجر الإسلام. لذا فإننا سنتوقف عند الفتح الإسلامي في إفريقيا الشّمالية والغربية.

فقد تعرّفت هاتان المنطقتان على الإسلام للمرّة الأُولى من خلال الفتوحات الأمويّة، وهذا ما يفسّر دون شك كون الأُطروحات الأمويّة، ومن

بعدها العباسيّة معروفة ومقبولة أكثر من أُطروحات أهل البيت عليهم السلام، وإن كان هؤلاء قد أحدثوا بعض التّأثيرات الهامّة.

ففي حدود العام (٥٠ بعد الهجرة)، أرسل معاوية عامله على مصر ـ عقبة بن نافع ـ على رأس جيش من خمسة وعشرين ألف رجل (عشرة آلاف، في رواية أُخرى) وذلك لفتح شمال إفريقيا. وقد أخذ عقبة طرابلس الغرب، ثمّ دخل تونس حيث أُسس مدينة القيروان وجعلها قاعدة له، كما بنى فيها جامع القيروان الكبير.

ومن القيروان تقدّم عقبة باتّجاه طنجة في المغرب الأقصى، وهناك، استفاد الإسلام من حركة التّجارة عبر الصّحراء، فانتشر شيئاً فشيئاً في إفريقيا الغربية عبر شينغيطي، وتومبكتو وغيرهما.

ومن الأكيد أنّ الكثير من العرب المسلمين قد زاروا فيما بعد ـ فرادى أو جماعات ـ تلك المناطق الإفريقية، إضافة إلى العديد من الحملات العسكرية الأُخرى. ولا يسعنا هنا أن نتوسع في ذكر هذه الأحداث، اللهم إلاّ في ما يتعلّق بقدوم بعض أحفاد رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث إنّنا نعرفهم جيداً بالنظر إلى كوننا شخصياً من المنتسبين إليهم.

٢. دخول أحفاد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى إفريقيا

إذا كان الأمويون قد اتخذوا دمشق عاصمة لهم، فإنّ العباسيين قد جعلوا عاصمتهم في بغداد. وكان للخليفة هارون الرشيد عاملاً على المدينة، وكان هذا الأخير يراقب بأمر من هارون، تحركات من بقي فيها من أحفاد الرّسول صلى الله عليه وآله.

وكما كان عليه الأمر أيّام الحكم الأموي، كان سكان المدينة يعارضون انحرافات القادة الجدد ممّن كانوا ينظرون إليهم بوصفهم استولوا على موقع يخص آل الرّسول صلى الله عليه وآله.

وقد أرسل هارون الرّشيد جيشاً لإخضاع أهل المدينة، بناء على طلب تقدم به عامله عليها.

وردّ أهل المدينة على ذلك بأنّ شكلّوا جيشاً بقيادة عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب. (وقد لقب بـ «الكامل» لعلمه واستقامته).

وجرت الوقعة في مكان قريب من المدينة يقال له «فخ»، حيث انهزم جيش المدينة واستشهد قائده الكامل، ثمّ أرسل أهل بيته إلى بغداد أسرى مع رؤوس الشهداء.

لكن ثلاثة أشخاص ممّن نجوا من القتل في فخّ، سيكون لهم أبلغ الأثر في التّأريخ الإسلامي وهؤلاء هم أولاد عبدالله الكامل، أي: أحفاد رسول اللهﷺ، محمد، وإدريس، ويحيى. وقد اتّجه محمد نحو الشّرق، بينما اتّجه إدريس نحو الغرب.

وكان برفقة إدريس في سفره شخص من أتباع ابيه يدعى راشداً. وكان راشد هذا بربري جاء إلى المدينة من المغرب ليتلّقى العلم على يدي عبد الله الكامل، والد إدريس.

وكان راشد عارفاً بمسالك مصر وبالطّرق المؤدية منها إلى المغرب. وقد حصل في ذلك على مساعدة قيّمة ولكن في الخفاء، من قبل عامل العباسيين على مصر الّذي كان يكنّ الكثير من الحبّ لأهل البيتعليهم السلام. وتمكّنا بفضل هذه المساعدة من اجتيازمصر. وبقصد عدم إثارة الشّبهات، كان إدريس يتظاهر بأنّه عبد لراشد ويقوم فعلاً على خدمته بهدف عدم لفت الأنظار.

وعندما وصلا إلى زرهوني، وهي موطن رشيد في المغرب الأقصى، قام رشيد بتعريف قومه إلى حفيد رسول اللهﷺ، إدريس بن عبد الله الكامل، بن الحسن المثنى، بن الحسن، بن علي بن أبي طالب.

وكان إدريس يجمع كامل خصال أهل البيتعليهم السلام من العلم بالقرآن، وبتعاليم أهل البيتعليهم السلام إلى المعرفة والشّجاعة والاستقامة والتّقوى والفروسيّة. وكانت الفروسية أساسية في تلك الفترة نظراً لعلاقتها بالجهاد.

لذا عرض راشد على قومه أن يحصل على نصيبه من بركة مثل ذلك الشّخص، فما كان من البربر إلاّ أن قرروا جعله سيدهم وقائدهم، وزوّجوه من ابنة أحد زعمائهم.

وبهذا وضع إدريس أساس أوّل دولة شيعيّة فوق الأرض الإفريقيّة، لا بل حتّى في العالم. والحقيقة أنّه كان يمتلك كلّ ما يلزم لإقامة هذه الدّولة، بدأ من الوسائل والوقت والرّجال.

لكن، كانت هنالك ثغرة كبيرة، تمثّلت في عدم وجود علماء على معرفة بتعاليم أهل البيتعليهم السلام لينقلوا هذه المعرفة إلى سكان المناطق الدّاخلية من البلاد. لذا كان مجبراً على الاستعانة بعلماء من مذاهب أُخرى، خصوصاً من المذهب المالكي، أيّ من السّنة.

وقد أسهمت هذه الثغرة إسهاماً كبيراً فيما بعد في إضعاف الدّولة الّتي أقامها إدريس. فقد كانت هذه الدّولة قد ازدهرت وانتعش شعبها لفترة طويلة. ولا يزال نجاحها الأسطوري يحتل حتّى اليوم موقعاً مهماً في تاريخ المغرب الكبير.

وقد علم هارون الرّشيد، وهو في قصره الباذخ في بغداد، بالنجاح الّذي حققه إدريس واغتم لذلك إلى حدّ أنّه لم يعد قادراً على النوم لشدة قلقه. وأخيراً وجد وسيلة لوضع حدّ لقلقه. فبما أنه لم يكن يستطيع إرسال جيش إلى المغرب لبعد المسافة إليه، فقد وجد رجلاً حجازياً، ووعده بأن يعيّنه عاملاً على إحدى الولايات إذا ما نجح في الذّهاب إلى زرهوني والاحتيال في دسّ السم إلى إدريس.

وكان ذلك الرّجل يدعى سليمان بن جرير، لكنّه كان مشهوراً باسم ابن الشماخ. وقد وصل إلى وليلة في المغرب (وهي مدينة غير بعيدة عن زرهوني) عام (١٧٢ للهجرة) ومات عام (١٧٧ للهجرة.)

وما أن وصل إلى زرهوني حتّى نجح في الدّخول في خدمة إدريس. فقد كان من الطّبيعي أن يفرح بضيفه ولهجته الحجازية الّتي أثارت فيه شواجن الحنين إلى البلد الذي جاء منه.

لكن التعلق الزّائد عن حدّه والّذي أبداه الشّماخ تجاه إدريس أثارت فيه الشّك والرّيبة اللتين فرضتهما تجربته للناس ومسلكياتهم الخبيثة في تلك الفترة. لذا كان دائم الحرص على عدم ترك ذلك الرّجل بمفرده قريباً من إدريس. ولسوء الحظ، أثبت التّأريخ أن راشداً كان محقاً في ذلك. فقد نجح الشّماخ ذات يوم في استغلال غفلة راشد، فوضع السّم في كأس من الشّراب وقدمه لإدريس، ثم هرب من المدينة بصحبة أعوانه الّذين كانوا قد أتوا معه. ثم اتّجهوا نحو القيروان في تونس، لكن حراس إدريس أدركوهم في الطريق، غير أنّهم لم يتمكنوا من أسر ابن الشّماخ الّذي أصيب بجرح لم يحل بينه وبين بلوغ الحجاز.

وبذلك شغر كرسي الحكم الذي شغله حفيد رسول اللهﷺ وتيتّم قوم رشيد من البربر. ولكن زوجة إدريس كانت قد حملت وباتت في شهرها السابع. لذا اقترح رشيد على قومه أن ينتظروا شهرين لمعرفة ما إذا كان المولود ذكراً أم أنثى، على أن يصبح زعيمهم المستقبلي إذا كان ذكراً، أو أن يختاروا زعيماً من بينهم إذا كان المولود أنثى.

ووافق وجوه القوم على اقتراح إدريس وطلبوا إليه أن يقوم بأمرهم موقّتاً بانتظار أن تضع أرملة إدريس حملها.

وبعد شهرين وضعت صبيّاً وأسموه باسم أبيه المتوفى، إدريس. ولكنّهم

عادوا وسمّوه باسم إدريس الأصغر، للتمييز بينه وبين أبيه، إدريس الأكبر.

وبحكمته، ربّاه راشد كما ينبغي لشخص من آل البيت أن يربى، حتّى بلغ الحادية عشرة من عمره. وكان إدريس الأصغر ملفتاً للأنظار من حيث ذكائه الشّديد. ولم تكن خصالة الخلقية والخلقية بأقل إثارة للاهتمام.

وعلى هذا، وضع القوم أمر مستقبلهم بين يديه، ونصبوه حاكماً عليهم وهو في الحادية عشرة من عمره، على أن يقوم راشد بمؤازرته.

وقد تمكن إدريس الأصغر بفضل ذكائه وعلمه وحسن تدبيره وإيمانه ونزاهته، ولكن أيضاً بفضل الظروف المؤاتية، من أن يقدم للدّولة التي كلّف بقيادتها أكثر بكثير ممّا قدمه لها أبوه المتوفى.

ومن بين ما قام به من إجراءات أنّه نقل عاصمته إلى مدينة فاس؛ لأنّ وجد أن زرهوني بعيدة عن طرق القوافل الكبرى، وكان عليه من أجل ذلك أن يشتري جميع الأبنية الّتي كانت في موقع المدينة آنذاك.

ثمّ قام بإنشاء جيش حقيقي حسن التّنظيم والتجهيز، ونظّم أمور بيت المال، وبنى المدارس وأنشأ الجامعة المعروفة باسم جامعة فاس. وبعدها اتّجه شرقاً حتّى بلغ تلمسان في الجزائر الحاليّة حيث بنى ثاني أكبر مسجد في إفريقيا، باستثناء مصر، وبعد مسجد القيروان الّذي كان قد بناه عقبة بن نافع.

وقد رزق إدريس الأصغر بأحد عشر ابناً، وعيّن كلّ واحد منهم والياً على إحدى المقاطعات. واستمرّ حكم الأدارسة في المغرب لثلاثة قرون.

وقد وقعت حرب بينهم وبين الأُمويين، وحرب ثانية بينهم وبين مجموعات إسلامية أُخرى، وحرب داخلية فيما بينهم أنفسهم. وأسهمت كلّ هذه الحروب في انهيار دولتهم في حدود العام (٤٠٠ للهجرة).

وكان مولاي محمد الملقّب بالشّريف الأكحل ـ وهو أحد أحفاد إدريس ـ قد استاء من كلّ هذه الصّراعات العائلية بين العرب، فقرّر الرّحيل إلى مكان

لا وجود فيه لتلك المشاكل، فاتّجه شرقاً حتّى وصل إلى مدينة شينغيتي، في موريتانيا الحاليّة، حيث استقبله ولي من قبيلة الأغلال، وقد زوّجه ذلك الولي من ابنته. وفيما بعد عرفت ذريّة حفيد رسول الله ﷺ هذا باسم شرفاء الأغلال، أو أهل الشّريف الأكحل.

٤

تداعيات ورهانات

عصمة النّبيﷺ

سنعالج في هذا القسم من الكتاب جانباً حساساً من تاريخ ديننا ومن واقعه الرّاهن. ومرة أُخرى، سنتطرق إلى أحداث لا يمكن القول بأنّها جديدة، لكنّها كالكثير غيرها من الأحداث أو الوقائع الّتي ذكرناها في هذا الكتاب، قرأت وسمعت وتمّ التطرق إليها في الكثير من الكتب والخطب، غير أنّها لم تحظ في الغالب، بما تستحقه من اهتمام.

ذلك الجانب يتعلّق بعصمة نبي الإسلامﷺ.

جميع المسلمين يقروّن بعصمة النّبيّﷺ ولكنّ بعضهم يقصرونها على نقل القرآن، معتبرين بأنّه قد يخطئ في غير ذلك من المجالات، ومنهم من يذكر (أو يفسّر أو يختلق) حالات قام فيها بعض الصّحابة، أو حتّى الملاك جبرائيل، بتصحيح بعض ما قاله النّبيّﷺ أو صدر عنه. كلّ ذلك وغيره كثير، ليس عصياً على الفهم منذ اللحظة الّتي يكون المقصود فيها تبرير وصول هذا الحاكم أو ذاك إلى الحكم، أو الحديث عن فضائل هذه أو تلك

من الأسر الحاكمة كبني أُميّة، وبني العباس.

وبالطبع فإنّ الله عزّ وجل نفسه يكذّب ذلك كما رأينا في الفصل الّذي تحدثنا فيه عن الإمامة، وخصوصاً عن النبوّة.

ولكن الأمر يصل إلى حد الخطورة والإضرار عندما يذهب البعض إلى حد الشّك بتمامية القرآن، والقول: بأنّ بعض آياته قد حذفت!

لكن المصحف الموجود بين أيدينا لا ينبغي أن يوضع موضع التّساؤل من قبل مسلمين جديين وعاقلين.

خصوصاً إذا ما علمنا بأنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله كان حريصاً على الدّوام على تلاوته بشكل واضح ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾[1] قبل أن يجمع وينسخ بعناية في حياة النّبيّ أو بطلب منه، على أيدي كتّاب موثوقين. وفوق ذلك كان الكثيرون من أصحاب النّبيّ صلى الله عليه وآله يحفظون القرآن عن ظهر قلب ويواضبون على تلاوته بوضوح. ولم يكن مطلقاً موضعاً للشّك حتّى عندما قرر عثمان ـ خوفاً من أن يقوم بعضهم بإدخال تغيير على القرآن ـ أن يحتفظ بأحدى النسخ ويحرق النسخ الأُخرى الّتي كان النّاس يحتفظون بها عندهم. وقد جرى كلّ ذلك في حياة الإمام علي عليه السلام الّذي لم يحدث له أبداً أن اعترض على صحة القرآن أو على تماميته بالشّكل الّذي كان عليه. كما لم يحدث مثل ذلك لأيّ من الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، أو لأقرب المقرّبين إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله من صحابته. كما أنّ أحداً من الأشخاص الأكثر قرباً إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله والأكثر معرفة بتعاليمه وبسيرته (وهم أهل بيته وعترته) لم يقل شيئاً من هذا القبيل بخصوص القرآن. فكلّ هؤلاء يشهدون (وإن بطريقة سلبية أحياناً) بأنّ المصحف الّذي جمع بأمر من عثمان مطابق للنص الّذي أتى به النّبيّ صلى الله عليه وآله وحفظه أهل البيت والصّحابة، وكتبه الكتاب بأقلامهم في حياة النّبيّ صلى الله عليه وآله.

---

١. القيامة: ١٦.

والواقع أنّ أحداً لم يذكر في أيّة فترة من فترات التّاريخ الإسلامي، دخول أيّ تغيير من أيّة طبيعة كانت على نصّ القرآن، سواءً بالحذف من النصّ الأصلي أو بالزيادة عليه.

من هنا فإنّ القراءة المعروفة في زمن النّبيّ صلى الله عليه وآله هي نفسها الّتي نعرفها اليوم. وهذا الكتاب سيظّل كاملاً وبلا تغيير إلى الأبد.

ولا شكّ بأنّ القارئ يوافقنا على أن المواقف القبيحة من قبل البعض تجاه القرآن من شأنها ـ إضافة الى التّأثيرات الضّارة الّتي قد تحدثها في وعي بعض المؤمنين ـ أن تشكّل أرضية خصبة لخبث الخيال عند أعداء الإسلام.

ولحسن الحظّ أنّ كتاب الله المعجز والمحفوظ، وسنّة نبيّه الّتي نقلها أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام، والأحداث التأريخية الحقيقية كتلك الّتي نقلها المؤرخون على اختلاف انتماءاتهم، وكذلك الدّراسات العلمية واللغوية حول القرآن، هي أكثر من كافية للتدليل على أنّ:

١. نبي الإسلام صلى الله عليه وآله كان معصوماً حقاً وصدقاً

٢. القرآن تام ومعجز ولا تغيير فيه.

عصمة النّبيّ صلى الله عليه وآله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾.[1]

﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.[2]

تكفي هذه الآيات للدلالة على أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قد اصطفاه الله ومنحه القوّة ليقوم بالمهمّة الصّعبة الّتي أوكلها إليه. وأنّ رسول الله محمد صلى الله عليه وآله يتمتّع

---

١. التكوير: ١٩ ـ ٢٢.
٢. الأحقاف: ٩.

بخصال الرّسل. لذا فإنّنا نحيل القارئ إلى القسم المخصّص للأنبياء في الفصل الّذي نتحدّث فيه عن الإمامة.

إذن، محمد صلى الله عليه وآله معصوم عن الخطأ. وما الّذي يفعله في مواجهة الشّيطان، وهو أيضاً من مخلوقاته، من أجل تحصين موقع الشّخص الّذي اصطفاه للقيام بالمهمّة العظيمة؟ يقول الله عزّ من قائل:

﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾.[١]

آيات شيطانية: الآيات الشّيطانية الّتي تكلّم عنها سلمان رشدي هي ما يعرف في الثّقافة الإسلامية تحت اسم «آية الغرانيق». ولم يستوح رشدي أقواله إلاّ من أحاديث موضوعة.

ما قصة تلك الآيات؟

المصادر متعددة في هذا المجال أهمّها الطبري، في *تأريخ الرّسل والملوك*، والسّيوطي، في *الدرّ المنثور*، والرازي في *التفسير الكبير*.

يروي هؤلاء الكتّاب ـ وهم من كبار المراجع في هذا المجال ـ أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله كان مستاءً من عداوة قريش له في مكّة، فدعا الله أن ينزل آية تقرّبه إليهم، وحدث ذات يوم بينما كان النّبيّ صلى الله عليه وآله في صلاته أن قرأ سورة «النجم». وعندما وصل إلى الآية التّاسعة عشرة، قال الشّيطان بحسب قولهم على لسانه: «تلك الغرانيق العلى. إنّ شفاعتهن لترتجى».

وعندما سمع القرشيّون هذا الكلام الّذي يذكر آلهتهم بالخير لأوّل مرة، سرّوا بذلك سروراً كبيراً وسجدوا جميعاً لسجود النّبيّ صلى الله عليه وآله.

وبعد ذلك بقليل جاء جبرائيل عليه السلام ولام النّبيّ صلى الله عليه وآله، على قوله، لقوله ما لم

---

١. الأعراف: ٢٠٠ و ٢٠١.

يوحَ إليه من الله. زعموا أيضاً أنّ النبيﷺ قد بقي حزيناً شطر النهار خوفاً من أن يتوقّف نزول الوحي عليه.

وبالطّبع فإنّ كلّ ذلك هو بمنتهى البساطة، مناقض للقرآن وللمنطق. فالله تعالى يقول في سورة الحاقة:

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ * وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ * وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ * وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ * وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾.[١]

ويقول تعالى:

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾.[٢]

ويظهر التّناقض إذا ما علمنا، أنّ قراءة القرآن في الصّلاة لا تكون إلاّ في وضعية الوقوف وبعد قراءة سورة الفاتحة، فإذا كان النّبيّﷺ قد قرأ شيئاً ليست آيات حقيقية من القرآن، فلا بدّ له من أن يتعرّض للعقاب من الله في هذه الحالة. لكنّ الأمر لم يكن كذلك. وهذا يثبت منطقيّاً (عن طريق البرهان بالخلف على ما يقوله الرياضيون) أنّ هذه القصة غير صحيحة، وأنّها مختلقة تماماً، إلاّ إذا ما اخترنا طريق التّشكيك بالقرآن لا سمح الله.

والواقع أنّ المنطق يعلمنا أنّ الفرضية الباطلة في إحدى النظريات تجعل النظرية باطلة كلّها. ومن النّاحية الأُخرى نعلم بأنّ القرآن الموجد بين أيدينا متماسك وتام ولا مجال للطّعن فيه، فهو إذن حق.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ

---

١. الحاقة: ٤٠ ـ ٥٢.

٢. القيامة: ١٧.

يتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾.[١]

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى * إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يخْفَى﴾.[٢]

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا ينْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْي يوحَى﴾.[٣]

وكما قلنا أعلاه بخصوص عصمة النّبيّﷺ، فإنّه من الخطل ترداد مثل هذه الحماقات حول نبيّ الإسلامﷺ الّذي يطلب إليه الله، مثلما يطلب إلى أيّ مسلم عادي، أن يستعيذ به من شر الشّيطان الرّجيم، ولا سيما عندما يكون الأمر متعلقاً بخير البشر، والمصطفى والمعصوم ومن هو ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾[٤] ولا يخاف من عمل ما لا يعجب الأعداء الكافرين، والمجتبى خاتم النّبيين. وفي ذلك يقول تعالى:

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ * وَإِمَّا ينْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾.[٥]

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يوحَى إِلَي مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يؤْمِنُونَ﴾.[٦]

ونختم مسألة عصمة النّبيّﷺ، بالقول: إنّ بإمكاننا أن نلاحظ أنّ أيّ مسلم لا يسعه ـ رغم كلّ هذه الأقاويل المشككة بالقرآن أو بعصمة

---

١. النجم: ٢٣.

٢. الأعلى: ٦ و ٧.

٣. النجم: ١ ـ ٤.

٤. تكوير: ٢٠.

٥. الأعراف: ١٩٩ ـ ٢٠١.

٦. الأعراف: ٢٠٣.

النّبيّ ﷺ ـ الزّعم بأنّه يعرف مصحفاً غير المصحف الموجود بين أيدينا، فالمسلمون جميعاً العالم أجمع يقرؤون تعاليم القرآن نفسها، ويعملون بها.

العبوديّة في الإسلام

إذا كان هنالك من موضوع أثار كلّ هذا الارتباك، في أذهان الكثير من المسلمين، وبالأولى عند من يعتنقون ديانات ومعتقدات أُخرى، فإنّ هذا الموضوع هو حقّاً وصدقاً موضوع العبوديّة.

ولنقل على الفور بأنّ الإسلام ليس هو المسؤول عن ذلك، تماماً كما هو شأنه أيضاً في جميع المجالات الّتي استعرضناها في حديثنا عن موضوع الخلافة. فالمسؤول هو بالأحرى الخطأ في التفسير وخصوصاً في السّلوك من قبل «خلفاء» النبي الّذين لم يتبعوا الخط الّذي رسمه لهم وليّ الأولياء، المصطفى، حبيب ربّ العالمين.

ما هي تعاليم الإسلام وموقفه بصدد هذا الأمر المقيت الّذي تمثّله العبودية؟

والجواب معروف. ولكن الـ «لماذا» أشّد وضوحاً في هذه الحالة من الـ «كيف». ومن هنا، نقترح عليكم أوّلاً أن نقوم معاً بجولة نتعرف فيها على وضع العبودية وما ارتبط بها من ممّارسات في صدر الإسلام.

فالواقع أنّ العبوديّة كانت وقت نزول الوحي الإلهي على النّبيّ ﷺ أمراً شائعاً جداً عند العرب، وعند غير العرب أيضاً. كان شراء العبد نوعاً من الاستثمار شبيهاً في أيامنا بشراء سهم في شركة، أو إيداع مبلغ من المال في حساب للتّوفير، أو بشراء ثور أو حمار أو حصان، مثلما ما يفعله الناس في أوساط الفلّاحين.

وكان امتلاك العبد أيضاً مؤشراً خارجياً على الغنى، كما هو الحال في أيامنا بالنسبة لامتلاك سيّارة أو منزل وما إلى ذلك.

لذا، فإنّ منع ذلك دفعة واحدة، كان من شأنه، بالنسبة لشعوب تمارس هذه التّجارة منذ أزمنة بعيدة، أن يشكّل سبباً لامتناع هذه الشّعوب عن اعتناق الإسلام، يضاف إلى ذلك أنّ المنع الكامل والحاد كان من شأنه أن يتسبب بإفقار معظم مالكي العبيد.

ولم يكن النّبيّ صلى الله عليه وآله يفوّت أيّة فرصة في أن يطبّق على نفسه أوامر الله ونواهيه. ومن هنا كان تصرّفه عندما أهدته زوجته خديجة زيداً كعبد له أنّ تبناه وأعتقه على الفور. ولكي يثبت أن العبد هو إنسان كأيّ إنسان آخر وبأنّ التّقوى هي المقياس في التفاوت عند الله، قرر النّبيّ صلى الله عليه وآله أنْ يزوّج زيداً من زينب، وهي إحدى بنات عمومته. وقد تمّ الزّواج، لكن الزوجين كانا يتعرضان للكثير من التهكّم والسّخرية بسبب عبودية الزّوج، لذا لم يكن ذلك الزّواج سعيداً، ما أدّى بالزّوجين إلى الانفصال عن طريق الطّلاق.

وكان العرف السائد عند العرب في تلك الفترة يقضي بأنّ لايكون من السّهل، بالنسبة للمرأة الّتي يكون قد سبق لها أن تزوجت من أحد العبيد، أن تجد لنفسها زوجاً من مستوى مناسب. ولهذا السّبب اقترح رسول الله صلى الله عليه وآله على زينب ـ مدفوعاً بالرأفة بها والرّغبة في مجازاتها على طاعتها ـ أن يزوّجها من خير البشر، أي منه شخصيّاً.

هذه الواقعة هي ما يتحدّث عنه سلمان رشدي في كتابه *الآيات الشيطانية* ويصفه بأنّه صلى الله عليه وآله سفاح قربى، ذلك يعني عدم المعرفة بالإسلام وبالمنطق، وعلى كلّ حال فإنّ مثل هذا الموقف ليس مفاجئاً من طرف شخص كسلمان رشدي الذي لاغرض له غير الإساءة. ولا بدّ هنا من الإشارة إلى أنّ زيداً كان ابن رسول الله صلى الله عليه وآله بالتبني، لا ابنه بمعنى أنّه من لحمه ودمه. يقول الله عزّوجل بخصوص مسألة التبني:

﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ

وَمَوَالِيكُمْ وَلَيسَ عَلَيكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.[١]

وهذا يعني أنّ الابن بالتبني لا ينبغي له أن يحمل اسم من يتبناه بل اسم أبيه الفعلي. لكنّ الغربيين يعتمدون وجهة نظر أُخرى، إذ هم يدمّرون بذلك هوية الأشخاص الّذين يتمّ تبنيهم، حيث يزيلون أسماءهم الأصلية من الوجود.

كما أنّ الله عزّ وجل يؤكد على ذلك بقوله:

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمًا﴾.[٢]

ولكن لماذا لا يكون من حقّ النّبيّ صلى الله عليه وآله أن يتزوّج ابنة عمّه زينب بعد طلاقها من رجل لم يكن ابنه من لحمه ودمه؟

أين هو صلى الله عليه وآله سفاح القربى في هذه الحالة؟ ليس في قول رشدي غير الافتراء والكذب المخجل. فالمصطفى صلى الله عليه وآله حبيب ربّ العالمين لم يفعل في هذا الموقف غير إعطاء درس في الحكمة والعدل والقسط للأُمّة كلّها.

من المؤكّد أنّه كان من الصّعب في تلك الفترة من بدايات الإسلام، أن يتخلّى المرء عن مملوكه دفعة واحدة كما أسلفنا، والله سبحانه وتعالى لا يطلب مطلقاً أن يقوم الناس بأمور مستحيلة، وذلك قوله:

﴿لَا يكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا...﴾.[٣]

ولكن، وبما أنّ الاستعباد أمر يسيء إلى الإنسان وإلى المجتمع بما هو تعبير عن اللامساواة لا ينكر ولا مجال للقبول به، فإنّ الله تعالى يدلنا في كتابه الكريم على الطّرق المضمونة والناجعة للقضاء على تلك الآفة.

---

١. الأحزاب: ٥.

٢. الأحزاب: ٤٠.

٣. البقرة: ٢٨٦.

ويمكن تحليل طرق التّصدي للاستعباد عبر السّعي لتحقيق غرضين محددين:

الأوّل: هو تشجيع العتق التّدريجي للعبيد في مختلف الحالات الّتي يتوجب فيها عتق العبد للتكفير عن الذّنب.

الثاني: هو إزالة الفوارق الاجتماعية، إن على المستوى الاقتصادي، وبالتّالي المادي، وإن على مستوى الفئات وغيرها من الكتل الاجتماعية، وتحديداً عندما تكون هذه الفوارق من النوع الّذي يمسّ العبيد.

وبذلك نرى أنّ الإسلام يعالج الشّر، ولكن معالجته له تتمّ خصوصاً على مستوى جذوره.

ولنذكر لتدعيم هذه الأفكار حول عتق العبيد وإعادة تأهيلهم بعضاً من الآيات القرآنيّة.

﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيبَينُ آياتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يتَذَكَّرُونَ﴾.[1]

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَينَكُمْ وَبَينَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يجِدْ فَصِيامُ شَهْرَينِ مُتَتَابِعَينِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.[2]

﴿لَا يؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيمَانِكُمْ وَلَكِنْ يؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ

---

١. البقرة: ٢٢١.

٢. النساء: ٩٢.

رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يجِدْ فَصِيامُ ثَلَاثَةِ أَيامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيمَانَكُمْ كَذَلِكَ يبَينُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.[١]

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يقْدِرُ عَلَى شَيءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ ينْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يعْلَمُونَ﴾.[٢]

﴿وَالَّذِينَ يظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.[٣]

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ﴾.[٤]

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيئًا وَبِالْوَالِدَينِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾.[٥]

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾.[٦]

﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يجْحَدُونَ﴾.[٧]

﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يعْقِلُونَ﴾.[٨]

---

١. المائدة: ٨٩.

٢. النحل: ٧٥.

٣. المجادلة: ٣.

٤. البلد: ١٢ و ١٣.

٥. النساء: ٣٦.

٦. الأنفال: ٥١.

٧. النحل: ٧١.

٨. الروم: ٢٨.

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.[1]

غالباً ما تفهم المتعة بمعنى الاستمتاع، ولكنّها تفيد أيضاً العطاء والإكرام والتّجهيز.

متعتا النساء والحجّ

١. الزواج الموقّت

١. ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.[2]

٢. ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾.[3]

٣. ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.[4]

إنّ الله عزّ وجل يسمح للإنسان، وفق منطوق الآية الّتي أشرنا إليها بـ «٣»، أن يبرم عقد زواج موقّت مع امرأة توافق على ذلك وفق الشّروط المتّفق عليها بين طرفي العقد. وهذا معروف تحت اسم الزّواج الموقّت، أو زواج المتعة، أو متعة النساء.

---

١. النور: ٣٣.
٢. النساء: ٢٤.
٣. النساء: ٢٨.
٤. التّحريم: ١.

والواقع أنّ الله وهو أعلم بضعف مخلوقاته (الآية «٢»)، قد أوضح، في خطوة أولى، من هنّ النساء اللواتي لا يحق مطلقاً للرّجال أن ينكحوهن (الآيتان ٢٢ و ٢٣ من سورة النساء).

وفي خطوة ثانية، سمح سبحانه وتعالى (الأية ٢٤) للرّجال الّذين لم يجدوا نكاحاً أن يتجنبوا الزّنا، وأن يحترموا المرأة في أعزّ خصوصياتها المتعلقة بالناحية الجنسية.

والواضح في الآية أنّ الكلام لا يدور على الزّواج المتعارف غير الموقّت. فالله يحدثنا أولاً عن المحصنات، أيّ عن النساء المتزوجات العفيفات الفاضلات اللواتي لا سبيل إليهن على مستوى الاتّصال الجنسي. أمّا النساء اللواتي يحق لنا إقامة اتّصال جنسي معهن فهنّ الأسيرات اللواتي يقعن في أيدي المسلمين أثناء الحروب، حتى ولو كنّ متزوجات. وبعد ذلك تحذّر الآية لا بل تنذر عبر التأكيد على كون الرّجال «محصنين غير مسافحين». وبالطبع فإنّ هذه المقارنة لا تكون مبررة فيما لو لم يكن الزّواج موقّتاً.

ومن المناسب هنا أن نشير إلى الجانب المقدّس الّذي يشتمل عليه هذا النوع من الزّواج الّذي ينبغي أن يتمّ رغم طابعه الموقّت، في أطار منظّم ودقيق يحترم حقوق المرأة والطّفل وأخلاقيات الإسلام، فهذه الذّهنية هي ما ينبغي أن تتحكّم بالشّخص الّذي يقيم ارتباطاً من هذا النوع.

والتّحذير الوارد أعلاه يكفي بالنسبة للمسلمين الأتقياء - حيث (أنّ الله يهدي عباده الصّالحين لا غيرهم- إلى الالتزام بحدود هذا الزّواج الاستثنائي الّذي ينبغي له من حيث طبيعته:

- أن يكون غير قابل للتّكرار وفقاً لمشيئة الأشخاص المعنيين.
- أن يتمّ من خلال الاحترام المتبادل بين الطّرفين.

وأخيراً فإنّ الفعل (استمتع) في جملة «فما استمتعتم به منهن فآتوهن

أجورهن فريضة» يفيد الاستمتاع بمعنى التلذذ، ما يعني أنّه مرتبط مباشرة بالزّواج الموقّت (نكاح المتعة) الّذي كان يمارس على نطاق واسع في جزيرة العرب. كما أنّ قوله تعالى:

﴿يرِيدُ اللَّهُ لِيبَيِّنَ لَكُمْ وَيهْدِيكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيتُوبَ عَلَيكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[١]، يؤكّد وجود سنن يريد الله لها أن تحفظ عبر وضعنا في هذا المجال على طريق من كانوا قبلنا.

وفي مرحلة ثالثة، وبعد أن يكون الله تعالى قد عرض لمختلف هذه الأوضاع فإنّه يسمح لأولئك الذّين لا يمكنهم لأسباب مادية أن يتزوّجوا من نساء مسلمات من غير الإماء، يسمح لهم بأن يتخذوا لأنفسهم نساء من الإماء المسلمات بموافقة أوليائهن وبموافقتهن، وبعد أن يكنّ قد حصلن على مهر مناسب، وفقاً للآية (٢٥ من سورة النساء).

وكلّ ذلك يهدف إلى الحيلولة بين الرّجال والنساء من الوقوع في الزّنا. ومع كلِّ ذلك، فإنّ إنساناً عاديّاً وفانياً هو (عمر بن الخطاب) يتدخل في الأهداف الإلهيّة السّامية ليحرّم ما أحلّه الله تعالى، علماً بأنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله ليس فقط لم يحرم ذلك، حيث لا يحلّ له أن يحرّم ما أحلّه الله، على ما تؤكّده الآية الواردة أعلاه، حيث يخاطبه الله مباشرة بخصوص مشكلة صغيرة حدثت في بيته ومع بعض أفراد أسرته.[٢]

وكلّ ذلك يسمح لنا بأن نؤكّد، دون تردد، بأن الزّواج الموقّت كان معمولاً به في أيّام النّبيّ صلى الله عليه وآله، وبأنّ الخليفة الثّاني ـ عمر بن الخطاب ـ هو تحديداً من عمد إلى تحريمه. والخبر في ذلك مشهور جداً.

---

١. النساء: ٢٦.

٢. المعروف أنّ الآية لا تتضمنّ العبارة «كما أمركم الله».

وقد أورد هذا الخبر مسلم في *صحيحه*،[١] والرّازي في *تفسيره* (في الفصل الخاص بتفسير الآية ٢٤ من سورة النساء). كما أورده العديد من المراجع المعترف بصدقهم.

يقول هذا الخبر: بأنّ الخليفة الثاني عمر، الّذي خلّف أبا بكر، اعتلى المنبر ذات يوم وقال:

متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ أنا أبهي عنهما وأعاقب عليهما: متعة النساء، ومتعة الحج...[٢]

وفي الصفحة ذاتها (٤٦٧ من المجلد الأول في *صحيح مسلم*) ترد رواية مفادها أنّ ابن عباس كان يجيز زواج المتعة، بينما كان ابن الزبير يحرمه. قد احتار ناقل الرّواية في أمر هذا التّناقض، فلقي أحد أصحاب رسول‌الله، وهو جابر بن عبدالله الأنصاري، وسأله عن رأيه في الموضوع، فأجابه: بأنّ المسلمين فعلوا ذلك، لكنّ عمر ومع اعترافه بأنّ المسلمين كانوا يفعلون ذلك أيّام رسول‌الله ﷺ، وبأنّ الله يقول ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾،[٣] إلاّ أنّه حرّم متعة النساء، وهدّد برجم من يفعل ذلك.

وينقل البخاري في المجلد الخامس من صحيحه ما مفاده، أنّ آية المتعة قد نزلت، وعُمل بها أيام النبي ﷺ وأبي بكر، وأنّ عمر قد حرّم ذلك.

ويمكننا أن نورد أحاديث أُخرى في هذا الموضوع ذكرها مسلم في صحيحه[٤] كما ذكرها الشّلبي والطبري كلّ في *تفسيره*، وخصوصاً في الشّروحات الّتي أوردها الطّبري في تفسيره للآية (٢٤ من سورة النساء).

---

١. *صحيح مسلم*: ٤٦٧/١.
٢. *مسند أحمد*: ١٧/١؛ الشرح الكبير، ابن قدامة: ٥٣٧/٧.
٣. البقره: ١٩٦.
٤. *صحيح مسلم*: ١٣١/٤.

وبذلك يتحقق عندنا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد أباح الزّواج الموقّت كتيسير من الله عزّ وجل على عباده من البشر؛ لما يعلمه من ضعفهم الطّبيعي. كما يتحقق عندنا أنّه ظلّ معمولاً به إلى ما بعد خلافة أبي بكر.

والحال أنّ الحديث النبويّ المجمع على صحته يقول: «حلال محمد حلال أبداً إلى يوم القيامة، وحرامه حرام أبداً إلى يوم القيامة».[١]

من هنا يمكننا، دون الوقوع في الخطأ، على الأقلّ أن نصف تحريم عمر لزواج المتعة بأنّه بلا أساس، لا سيما وأنّ هذا التّحريم تترتب عليه عواقب لا تحصى، وفقاً لما قرّره واهب هذه النعمة لعباده.

وفي هذا الإطار تحدّث كثيرون عن تلك العواقب واعتبروا أنّ المتعة هي رحمة من الله لعباده، «ولولا ما نهي عنها عمر ما زنى إلّا شقي».[٢]

وسنعود لاحقاً إلى الحديث عن تلك العواقب.

ولكن لا يمكننا هنا إلاّ أن نعرّج على أمر وقع لعبد الله بن الزبير، الّذي استقل بحكم الحجاز لفترة طويلة. فبينما كان مسترسلاً في إحدى خطبه في ذمّ متعة النساء أو الزّواج الموقّت، وقف له ابن عباس ونهاه عن ذمّ ما أحلّه الله. لكن ابن الزبير لم يحفل بما قاله ابن عباس. عندها طلب إليه أن يسأل أُمّه عن السّبب الّذي لا ينبغي له من أجله أن يذمّ زواج المتعة.

وقد فوجئ ابن الزبير أيّما مفاجأة عندما علم من أمّه بأنّه هو شخصيّاً، ابن متعة. وبالمناسبة نصحته أُمّه بإلاّ يعود في المستقبل إلى معاندة أهل البيت وأقارب رسول الله بخصوص مثل هذه المسائل؛ لأنّهم أعلم بها من غيرهم. وبالطّبع فإنّ ابن عباس كان معاصراً للنبيّ صلى الله عليه وآله: وهو ابن عمه.

---

١. *الكافي*، الكليني: ٥٨/١.

٢. *خلاصة الإيجاز*، الشيخ المفيد: ٢٥.

كلّ هذه الأدلّة المأخوذة من القرآن ومن الأحاديث الصّحيحة، تثبت بأنّ الزّواج الموقّت أمر أحلّه الله، وبأنّه كان معمولاً به زمن النّبيّ ﷺ، وبأنه يظلّ، لهذا السبب مباحاً إلى آخر الزمان.

ومن المناسب أن نذكّر هنا بالشروط الواجب توفرها في الزّواج الموقّت، والّتي نصّت عليها الأحاديث الصّحيحة عن أهل البيت عليهم السلام، من خلال تعاليم الإمام جعفر الصّادق عليه السلام، بوجه خاص.

بالنسبة للمرأة، لا بدّ لها من أن تكون حرّة من أي التزام وتحديداً من أيّ وعد بالزّواج.

ـ ولا بدّ لها من أن تكون بالغة رشيدة. أما إذا كانت قاصرة، فلا تكفي فقط موافقتها، بل أيضاً موافقه إذن ولي أمرها.

ـ ويتمّ الأمر بأن يعبّر الرّجل للمرأة عن رغبته في أن يعقد عليها. فإذا وافقت يكون عليها أن تحدد المهر ومدة العقد.

ـ وبعد الاتفاق على ذلك تقول المرأة: أقبل منك أمام الله هذا المهر عن الزّواج الموقّت (وتحدد المدة بالسّنوات، أو الأشهر، أو الأسابيع، أو الأيام، أو السّاعات، ثمّ تحدد وقت بداية سريان العقد).

ـ ولا تجب شهادة الشّهود في هذا العقد.

ـ وإذا توفي الزّوج قبل انقضاء مدة العقد، يكون على الزّوجة أن تعتدّ لمدة أربعة أشهر وعشرة أيام.

ـ وليس على الرّجل أن يصرف على المرأة، ولا أن يعيش معها تحت سقف واحد وبصورة دائمة.

ـ ولا يرث الرّجل المرأة ولا المرأة الرجل، ولكن الولد الّذي يكون نتاج الزّواج الموقّت يكون ولداً شرعياً ويرث من أبويه.

ـ أمّا الإنفاق على الولد الّذي يكون نتاج هذا الزّواج والقيام بأمر تربيته ـ

وهما من مهمّات الأب في القانون الوضعي ـ فتقع المسؤوليّة فيهما على عاتق الرّجل، كما هو الشأن في الزّواج الدّائم.

ويصبح العقد لاغياً بانتهاء مدته.

ـ بعد انتهاء مدة العقد، لا يحق للمرأة أن تبرم عقد زواج موقّت جديداً إلاّ بعد انقضاء حيضتين اثنتين. والسّبب في ذلك معروف.

وبالعودة إلى العواقب المترتبة على تحريم زواج المتعة من قبل عمر، فإنّنا نطلب إلى القارئ، في خطوة أولى: أن يلاحظ ما آلت إليه السّلوكيات الجنسية في مجتمعتنا، ولا نعني بذلك أنّ الانحطاط في ذلك عائد إلى ذلك التحريم، ما نعنيه هو أنّ الزّواج الموقّت يسمح للكثير من الرّجال والنساء من المؤمنين الصّادقين بأن يتجنبوا الزّنا. هذا يشكّل رصيداً لا يستهان به في الدّنيا والآخرة.

أمّا ثانية العواقب والّتي لا تقّل أهمية عن الأُولى: فهي موقع هذا التحريم بين الأسباب الّتي تدفع بعض النساء إلى المتاجرة بأجسادهن لتأمين لقمة العيش. ذلك أنّ أكثريتهن، لا كلّهن ـ حيث أنّ بعضهنّ تحركهنّ الرذيلة فعلاً ـ كان بإمكانهنّ أن يتجنبن البغاء لو تيسر لهّن من ينفق عليهنّ بشكل مناسب وبالمعروف، ضمن الإطار المقدّس للعلاقة المحللة.

و أمّا ثالثتها: فتتعلّق بالأعداد المتزايدة من أطفال الشّوارع ممّن لفظوا لذنب لم يرتكبوه، وتركوا لمصيرهم المحزن كمستبعدين عن المجتمع، وكأيتام دون أن يكونوا أيتاماً؛ لأنّ ذويهم على قيد الحياة، إنّهم يحملون ظلماً وزر العار الّذي ارتكبه ذووهم عندما أنجبوهم بهذه الطّريقة.

فالفقر وخصوصاً الطّبيعة المحرّمة للعلاقة الّتي كانت سبب وجودهم هما السببان اللذان يقومان ـ في الأعم الأغلب ـ في أساس استبعاد هؤلاء الأطفال، وهو استبعاد لا يشكّلون ضحيته الوحيدة. فالواقع أنّ الأُم أو الأب هما في

عداد الضّحايا، فضلاً عنه هؤلاء الأطفال أنفسهم عندما يشبون في مسالك الشقاء بين السّرقة والمخدرات وما إلى ذلك، من آفات.

وفي الإطار نفسه، فإنّ من شأن زواج المتعة أن يحول دون اللجوء إلى الكثير من أعمال الإجهاض، الّتي غالباً ما يتمّ ارتكابها سرّاً مع ما تؤدّي إليه - في الكثير من الحالات - إلى وفاة الأم أو الولد أو كليهما معاً، لا لشيء في الغالب غير الخجل الناشئ عن ارتكاب الحرام.

أمّا رابعة العواقب، وهي ليست الأخيرة بالطّبع: فإنّها تعني بوجه خاص المسلمين الصّادقين الّذين يجدون أنفسهم، بين الحين والآخر بعيدين عن زوجاتهم، لفترة تطول أو تقصر، إن كانت لهم زوجات. زواج المتعة يحول بينهم في هذه الحالة وبين اتخاذ عشيقات قد ينجبن أطفالاً يعترف بهم آباؤهم، ما يجبرهم على العيش مع أمهاتهم في ظروف تعيسة، وحتّى دون الحصول على مساعدة من قبل الأب. إنّ من حقّ هؤلاء الأطفال أن يكون لهم آباء، وأن يكون لهؤلاء الآباء كامل سلطة الآباء، وفق التّسمية المعتمدة في القانون الوضعي، وأيضاً وفق ما يقوله الإسلام.

هاتيك النسوة يمكنهنّ بفضل الزّواج الموقّت أن يتمتعن بوضع معترف به ولائق، وحلال، عبر زواج حتّى ولو كان موقّتاً.

وعليه، وحتّى لو لم يكن تحريم عمر هو السّبب الوحيد لجميع هذه الآفات، فإنّ هذا التّحريم يشكّل - بالنّسبة لشريحة واسعة من المسلمين - حاجزاً يحول دون تمكّنهم من مّمارسة الدّين بشكل صحيح. خصوصاً وأنّ هذا التّحريم يدفع نحو الرّذيلة، أو على الأقل نحو انحراف المسلم عن الطّريق الصّاعد نحو الكمال الّذي يشكّل الهدف النهائي لديننا.

نسأل الله أن يبعدنا عن مهاوي الفساد!.

٢. متعة الحج

د ١. ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ...﴾.[١]
د ٢. ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ...﴾.[٢]
د ٣. ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى...﴾.[٣]

هذه الآيات تبيّن لنا على التّوالي وجوب الحج والعمرة لمن استطاع إليهما سبيلاً (د ١)، وقوع الحج مرّة في السّنة في أشهر معلومات (د ٢) ثمّ تحديداً في أيّام معدودات.

ومن المتّفق عليه عموماً ـ والنّبيّ صلى الله عليه وآله بيّن لنا ذلك من خلال سنّته ـ أنّ الحجّ كان يجري في شهر شوّال (العاشر في التقويم القمري)، وفي شهر ذي القعدة، وفي العشر الأوائل من الشهر القمري الثاني عشر، أي ذي الحجة. والأيام الأساسّية في الحج هي تلك الأيام العشرة وتحديداً الأيام الثلاثة الأخيرة منها، لا بل حتّى اليومين الأخيرين، على ما سمح به القرآن.

فالحجُ هو إذن ـ ومن حيث جوهره ـ عمل جماعي؛ لأنّه يتمّ في وقت واحد للجميع، إنّه مناسبة يلتقي فيها المسلمون من جميع أنحاء العالم مرّة في السّنة في حشد هو من المستوى الأكثر سموّاً، بدءً من الحشد الّذي تشكّله صلاة الجماعة العادية، فانتقالاً إلى صلاة الجمعة الّتي تجري مرّة في الأُسبوع، وانتهاءً بصلاتي العيدين اللتين تجريان مرّة في السّنة.

كلُ ذلك يكشف عن تناغم كبير في منطق ديمومة وضرورة التّشاور، الّذي ينبغي له أن يظلّ قائماً على الدّوام بين جميع أفراد الأُمّة بهدف الحفاظ على تماسكها.

---

١. البقرة: ١٩٦.
٢. البقرة: ١٩٧.
٣. البقرة: ٢٠٣.

أمّا بالنسبة للعمرة، فيمكن أداؤها في أيّ وقت من أوقات السّنة، حيث إنّ القرآن لم يحدد لها وقتاً معلوماً. وعليه، فإنّ العمرة أمر فرديّ؛ لأنّها تتمّ بقرار فرديّ.

وما قام الخليفة الثّاني عمر بن الخطاب بمنعه متعة الحجّ خلال فترة الحجّ.

وفي هذا المجال، كما هو الشأن في غيره من المجالات، فإنّ سنّة النّبيّ ﷺ كافية، كما أنّها نموذج علينا اتباعه. وقد ثبت فعلاً أنّ النّبيّ ﷺ قد حجّ واعتمر في الفترة نفسها.

والمصادر الّتي تثبت ذلك كثيرة، نذكر منها:

ـ يمكننا أن نبدأ بأنّ نذكر بالخبر الّذي أوردناه في القسم المتعلّق بزواج المتعة، حيث يقول الخليفة عمر ما يلي:

ـ «متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ وأنا أنهى عنهما وأُعاقب عليهما.[1] إحداهما: متعة النساء، ولا أقدر على رجل تزوج امرأة إلى أجل إلاّ غيّبته بالحجارة، والأخرى: متعة الحج».

ـ ينقل الإمام مالك في كتابه *الموطأ*، عن محمد بن عبد الله بن حريث بن نوفل بن عبد المطلب أنّه سمع سعد بن أبي وقاص والضحاك بن قيس يتحدثان عن متعة الحج في السّنة الّتي حجّ فيها معاوية بن أبي سفيان، وجرى بين الرّجلين حديث أكّد فيه الضحاك بأنّ متعة الحج «لا يفعلها إلاّ من جهل أمر الله عز وجل». فأجابه سعد: «بئس ما قلت يا أخي!». قال الضحاك: «فإنّ عمر بن الخطاب قد نهى عن ذلك». فقال سعد: «إنّ رسول الله فد صنعها وصنعناها معه».[2]

وينقل الإمام أحمد بن حنبل في *المسند*، إنّ عبد الله بن عباس قد جرى

---

١. *معرفة السنن والآثار*، البيهقي: ٣٤٥/٥.

٢. *الموطأ*، لمالك: ٣٠/١.

بينه وبين عروة بن الزّبير حوار مشابه، وأنّ ابن عباس غضب على عروة ونعته بلقب «عريطة»،[١] لأنّه دافع عن نهي عمر وتجاهل أمر رسول الله صلى الله عليه وآله.[٢]

وينقل الإمام ابن عبد البر في كتابه *الجامع*، شهادة مماثلة لشهادة الإمام ابن حنبل.

وينقل التّرمذي في *صحيحه*، أنّ عبد الله بن عمر (ابن الخليفة الثاني) سئل يوماً عن متعة الحج فأجاب: بأنّها كانت قائمة أيّام رسول الله صلى الله عليه وآله. وعندما قيل له أنّ اباه قد حرّمها، أجاب مستنكراً: بأنّ قول أبيه لا يوازي فعل رسول الله صلى الله عليه وآله.[٣] وحسم النقاش بهذه الحجّة اللائقة والدّامغة.

ولا يسعنا إلاّ أن نتعجب فيما يتجاوز كلّ ماورد حول تحريم المتعتين من قبل عمر، لأنّ البعض ما يزال يقول بحرمة متعة النساء، في حين إنّهم يواصلون العمل بمتعة الحج وفق ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله.

صوم شهر رمضان

صوم شهر رمضان هو من الفرائض الأساسية:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.[٤]

---

١. إن الإمام علياً والحسن والحسين وفاطمة وخديجة عليهم السلام هم أفضل المصادر التي يمكن الاعتماد عليها في معرفة سنّة النّبيّ صلى الله عليه وآله.

٢. *مسند أحمد بن حنبل*: ١/٣٣٧.

٣. *صحيح الترمذي*: ١/١٥٧.

٤. البقرة: ١٨٥.

لا خلاف ـ بحمد الله ـ بين المسلمين حول هذه النقطة وحول كيفية أداء فريضة الصوم، غير أنّ تغييرات عديدة وغير مناسبة جرى إدخالها بعد وفاة الرّسولﷺ، منها:

أنّ الخليفة عمر استحدث أمراً لم يلبث أن أصبح عادة يتمسّك بها الكثير من المسلمين، وهي النوافل أو التراويح. وهي عبارة عن صلوات مستحبة (أو إضافية) تؤدّى بشكل جماعي في ليالي شهر رمضان.

وكانت السنة، خلال حياة النّبيّﷺ وفي خلافة أبي بكر أن يؤدي المسلمون النوافل خلال ليالي شهر رمضان فرادى، بعد أن يكونوا قد فرغوا من أداء آخر صلاة مكتوبة جماعة، أي صلاة العشاء. وعندما تولّى عمر الخلافة لم يستحسن أداء النّاس لنوافلهم فرادى، فقرّر أن يؤدوها جماعة.

لكنّ الله يقول: ﴿لَا يكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.[1] هذا يعني أن بإمكان كلّ إنسان أن يصلي بمفرده ما يقدر عليه من النّوافل وفي الوقت الّذي يجده مناسباً لذلك. فهو يقول، عزّ من قائل:

﴿إِنَّ رَبَّكَ يعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يقَدِّرُ اللَّيلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.[2]

لذا فإنّ العودة إلى التّعاليم الأصيلة، وإلى الأسوة الحسنة بنبي الإسلامﷺ تقتضي أن نتوقف أو على الأقل، وألاّ نستمر في فرض أداء

---

١. البقرة: ٢٨٦.

٢. المزمل: ٢٠.

النوافل على المسلمين، خصوصاً وأنّنا نعلم أنّ الكثير من المسلمين في بعض البلدان يظنّون أنّ صوم النّهار يبطل إذا لم تسبقه نوافل الليل. صحيح أنّ هذه النّوافل مستحبة جداً وأنّها تسمح بتأكيد النيّة في الصّوم وتعزيزها. لكن هذه النوافل ليست واجبة بخلاف الشكل الّذي قد فرضه عمر في أدائها جماعة.

وهنالك نقطة مهمّة تتعلق بوقت الإفطار. يقول الله تعالى في محكم كتابه:

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيلَةَ الصِّيامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يتَبَينَ لَكُمُ الْخَيطُ الْأَبْيضُ مِنَ الْخَيطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيامَ إِلَى اللَّيلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يبَينُ اللَّهُ آياتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يتَّقُونَ﴾.[١]

القرآن الكريم واضح تماماً في مسألة إتمام الصّيام إلى الليل، ما يعني حرمة الإفطار قبل أن تغيب الشّمس بشكل كامل... على الأقل في المناطق غير القطبيّة حيث يكون الليل والنهار شبه متساويين على وجه العموم من حيث الطّول والقصر على مدار السّنة.

وللأسف، نلاحظ استعجالاً غير مبرر للإفطار؛ بهدف أداء صلاة المغرب خلال مهلة يقال خطأً بأنّها قصيرة أكثر ممّا ينبغي (دون أن نعلم وجه الحجة في كونها قصيرة أو غير قصيرة).

هذا الأمر يطرح بالطّبع مشكلة وقت صلاة المغرب. فالقرآن والحديث لم يتكلّما مطلقاً عن قصر المهلة المحدّدة لهذه الصّلاة الّتي لا نعلم عن وقتها شيئاً غير أنّها تأتي بعد غروب الشّمس وفي أوّل الليل. وعليه فإنّ وقت صلاة المغرب يحلّ بعد زوال الحمرة الّتي تخلفها أواخر أشعة الشّمس، في حين إنّ الإفطار يجب أن يسبقها خلال المهلة نفسها... ودونما استعجال. دون أن يعني ذلك عدم

---

١. البقرة: ١٨٧.

وجود «وقت ميت» بين الإفطار والشّروع بالصّلاة. وحول مسألة مواقيت الصّلاة نحيل القارئ إلى المبحث التّالي، وهو المتعلق بالجمع في الصّلاة.

الصلاة

الوضوء: ﴿يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيدِيكُمْ مِنْهُ مَا يرِيدُ اللَّهُ لِيجْعَلَ عَلَيكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يرِيدُ لِيطَهِّرَكُمْ وَلِيتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.[1]

﴿يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.[2]

هاتان الآيتان تحددان الأمور الأساسية في مسألة الوضوء ونواقضه.

فالوضوء يشكّل مدخلاً إلى الصّلاة لا غنى عنه؛ وذلك لسببين على الأقل:

أولهما: أنّه فرض من الله.

ثمّ إنّه يسمح بتطهير المؤمن، من النّاحيّة الرّوحيّة، عبر تخليصه من النجاسات الّتي تصيب بعض أجزاء الجسم؛ وكذلك عبر تهيئته من النّاحيّة الذهنيّة لفعل العبادة في الصّلاة الّتي ينبغي لها أن تقرّبه من الله وتبعّده عن متاع الغرور في هذه الدّنيا. ولابدّ من القول بأنّ الوضوء لا يغني عن الغسل الواجب لبعض أعضاء الجسم إذا ما كانت متّسخة.

أمّا الخلافات الأساسيّة بين المسلمين والّتي تحسن الإشارة إليها في موضوع

---

١. المائدة: ٦.

٢. النساء: ٤٣.

الوضوء فتتعلق بعمليّة غسل القدمين والأذنين وكذلك بعدد مرات الغسل.

عند عموم المسلمين لا بدّ لكلّ عضو أو جزء من الجسم أن يغسل ثلاث مرات بدلاً من اثنتين، وليس أكثر من ذلك على مذهب أهل البيتعليهم السلام. ويقبل الاتجاهان الأساسيان النّظر إلى عمليّة الغسل الأولى بوصفها الّتي يكون المؤمن قد نوى القيام بها، مع إفساح المجال أمامه ليغسل ذلك العضو أو الجزء بقدر ما يشاء من المرات قبل عملية التّطهير بمعناها الفعلي. غير أنّ مذهب أهل البيتعليهم السلام يعتبر عملية الغسل الثّالثة باطلة ومبطلة للوضوء كله. وتكرار الغسل الأول المنوي القيام به لمرة ثانية أمر مستحب، غير أن تكراره لمرة ثالثة يصبح أمراً زائداً عن المطلوب.

من جهة ثانية، فهم بعض مفسري العبارة الواردة في الآية الأُولى الّتي أوردناها في بداية الموضوع ﴿... وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ ...﴾ بمعنى «امسحوا بأيديكم المبللة بالماء على رؤوسكم واغسلوا أرجلكم...».

لكن ما يفهم من النصّ هو:

«امسحوا جزءً من رؤوسكم وأرجلكم...».

فالباء في عبارة «امسحوا برؤوسكم» هي باء التبعيض المفيدة للاستثناء والتّحديد والّتي تفيد «قسماً من الشيء».

أمّا الفعل «امسحوا» فمفعوله «برؤوسكم» (جزءً من رؤوسكم) «وأرجلكم» (جزءً من أرجلكم). وفي كلّ ذلك لا نجد عبارة «اغسلوا أرجلكم»، وخصوصاً لا نجد فعل «اغسلوا» أساساً.

فالمسألة هي إذن مسألة المسح باليد على الرّأس والقدمين، وذلك باليد اليمنى من منتصف الرّأس إلى منبت الشّعر عند أوّل الجبهة بالنسبة للرأس (بطول أصبع واحد وعرض ثلاثة أصابع).

أمّا بالنّسبة للقدّمين فيتمّ المسح من نهايات أصابع القدمين وصولاً إلى

آخر القدم، وذلك براحة اليد اليمنى على القدم اليمنى وبراحة اليد اليسرى على القدم اليسرى.

إنّه لمن الصّحيح أنّ غسل القدمين يظلّ أكثر اكتمالاً من الاكتفاء بالمسح عليهما باليدين المبتلتين بالماء. لكنّ النصّ واضح لا لبس فيه، والله لا يقول شيئاً بلا قصد محدد. والأكيد أنّ امتثال ما يفرضه الله من أعمال وحركات يسهم في تقريب العبد منه.

وما هو واضح، فوق كلّ ذلك، أننا لا نجد ما يفيد غسل الأذنين. فذلك لم يطلب القيام به في أي موضع بخصوص الوضوء.

وهذا ما يجعلنا نفهم السّبب في كون شيعة آل البيتعليهم السلام يمسحون ظاهر القدمين ومقدم الرّأس ولا يغسلون آذانهم (في الوضوء طبعاً)، معبّرين في ذلك عن التزامهم الدّقيق بتعاليم القرآن وبسنّة النّبيّصلى الله عليه وآله، وهي التّعاليم الّتي حافظوا[1] عليها بمنتهى الحرص.

وليس من الواجب في الوضوء غسل باطن الأنف والعينين والشّفتين. فالمنطقة الواجب غسلها من الوجه تمتّد من منابت الشّعر فوق الجبهة إلى طرف الذّقن طولاً. أمّا عرضاً فهي ما تغطيه فتحة اليد بين طرف الإبهام وطرف الخنصر. لذا فإنّ التأكّد من كون ماء الوضوء قد مسّ كامل المنطقة الواجب غسلها هو ما يجعل من الضّروري غسل جزء من أقسام الوجه غير الواجب غسلها (داخل الأنف والشّفتين والعينين).

وفي مطلق الأحوال فإنّ أعمال الوضوء الواجبة هي:

- غسل الوجه
- غسل اليدين إلى المرفقين

---

١. إنّ الإمام عليّاً والحسن والحسين وفاطمة وخديجةعليهم السلام هم أفضل المصادر الّتي يمكن الاعتماد عليها في معرفة سنّة النّبيّصلى الله عليه وآله.

- التزام الترتيب في الأعمال
- المسح على الرأس باليد المبلّلة بماء الوضوء
- المسح على القدمين باليد المبلّلة بماء الوضوء

صلاة الجمعة

﴿يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِنْ يوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيعَ ذَلِكُمْ خَيرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.[1]

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيرُ الرَّازِقِينَ﴾.[2]

﴿لَيسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يتَوَلَّ يعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.[3]

نجد في الآية الثانية دليلاً ملموساً وشهادة تأريخيّة على أنّ الخطبة الّتي يلقيها الإمام يوم الجمعة، كان يلقيها النّبيّﷺ بعد الصلاة، كما تبيّن لنا الآية كيف أنّ بعض الأشخاص ممّن يستعجلون العودة إلى اللهو والبيع في السّوق الّتي كانت تقام كلّ أسبوع كانوا يتركون النّبيّﷺ «قائماً»، وهو يلقي خطبته. وبالطبع فإنّ السّؤال الّذي يخطر مباشرة في الذّهن هو التّالي: كيف حدث أن أصبح إلقاء الخطبة سابقاً على صلاة الجمعة؟

بعد وفاة الخليفة عثمان، تمرّد معاوية على سلطة الإمام عليّؑ، وقد فرض على الأئمة الّذين كانوا يؤمّون صلاة الجمعة في جميع المساجد الواقعة في المناطق الّتي كان يسيطر عليها، أن يسبّوا علياً وآل بيتهؑ خلال الخطبة. وكان ذلك لا يلقى تجاوباً من المسلمين الّذين كانوا يكنون حبّاً عميقاً

---

١. الجمعة: ٩.
٢. الجمعة: ١١.
٣. الفتح: ١٧.

واحتراماً لآل بيت النّبيّ ﷺ. من هنا لجأ معاوية إلى قلب نظام الأشياء رأساً على عقب، فجعل الخطبة قبل الصّلاة ليجبر المصلّين على سماع ما كان يقوم به الخطيب الإمام عليّ عليه السلام الّذي يؤم الصّلاة وكان الخطباء ويتمتعون بكامل الصّلاحيات في تلك اللحظة الحسّاسة من العمل العبادي.

ذلكم هو أصل التغيير في النّظام المعمول به في ما يتعلّق بصلاة الجمعة.

أمّا فيما يتعلق بمضمون الخطبة، فمن الضّروري الإشارة إلى أنّه غالباً ما ينحرف عن غرضه الأساسي المتمثّل بإعطاء وجهة نظر الإسلام في مجريات الواقع الاجتماعي أو السّياسي أو الاقتصادي، إضافة إلى تمثّله بالسّعي إلى تعزيز الإيمان عند المسلمين. لذا ينبغي للخطبة أن تلقى باللغة أو باللغات الّتي يتكلّمها المسلمون أكثر من غيرها.

فالواقع أنّ بعض الأئمة يفضّلون أن يقرؤوا، بدل الخطبة نصّاً مكتوباً بالعربيّة، يبقى معناه خافياً تماماً على الأكثريّة السّاحقة من المسلمين الّذين لا يعرفون اللغة العربية. أمّا بالنّسبة للذّين يفهمونها فإنّ وضعهم أشدّ سوءاً؛ لأنّهم يسمعون كلّ جمعة خطاباً مسطّحاً وجامداً ولا صلة بينه وبين عصرهم.

ويشكّل ذلك سبباً يعزز وجهة نظر البعض ممّن يقولون بأنّ صلاة الجمعة ليست واجبة في بعض الظّروف: فهم يطرحون رأياً مفاده أنّ الإمام الّذي يؤمّ صلاة الجمعة في دولة غير إسلاميّة لا يتمتع بالحرّية الكافية، ولا يمتلك سلطة تخوّله النطق بحكم الإسلام وتطبيقه على ما يجري من أحداث.

لوازم الصّلاة (التّربة الحسينيّة، السبحة، خرقة الوظيفة التيجانيّة، عصا إمام الجمعة، إلخ)

إنّ ظروف المحيط الّذي يجب فيه على المسلم أن يؤدي صلواته اليوميّة الخمس معروفة جيّداً على وجه العموم، فهنالك: نيّة الصّلاة، والالتزام بالوقت المحدّد لكلّ صلاة، والوضوء (أو غيره من أشكال التّطهر وفقاً للقواعد

المرعيّة في هذا المجال)، والالتزام دون إبطاء أو استعجال مفرطين بمختلف أركان الصّلاة، بترتيب أركانها وصفاتها المنصوص عليها بمنتهى الوضوح.

غير أنّ أموراً أُخرى على صلة بمحيط الصّلاة تستحق الاهتمام هي الأُخرى. نذكر من تلك الأمور الموضع الّذي نضع عليه الجبهة خلال السّجود.

رسول الله صلى الله عليه وآله كان يؤدي صلاته على الرّمل أو التّراب، ففي ذلك الزّمان كان النّاس يؤدون صلاتهم على الرّمل أو التّراب حتّى داخل المساجد. كما أنّ الطّين المجفف والحجر الشبيهين بالرّمل والتّراب لجهة نقائهما الطّبيعي وأصالتهما كانا أيضاً يستخدمان في هذا المجال. تلك هي إذن بعض الأمور المتعلقة بالسّجود بالشّكل الّذي اعتمده فيه رسول الله صلى الله عليه وآله.

ويستخدم أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم في الصّلاة قطعة من الطّين المجفف تعرف باسم «التّربة الحسينية»، وهي: عبارة عن تراب مأخوذ من تراب كربلاء الّذي قتل فوقه الحسين عليه السلام، ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله. وهم يحملون تلك القطعة معهم أينما ذهبوا لكي يضعوا جباههم عليها أثناء السّجود.

وبالطّبع يمكننا أن نتساءل عن السّبب في اختيار تراب كربلاء وليس أيّ تراب آخر؟

ولا بدّ من أن نوضّح هنا أنّ السّجود على تلك القطعة ليس واجباً. كما أن استخدامها بدلاً من التّراب العاديّ لا يعتبر عملاً مبطلاً للصّلاة. ومن هنا لا يمكن اعتبار هذا الاستخدام بمثابة البدعة.

ثمّ إنّه من العملي أن يحمل المرء معه قطعة صغيرة من التّراب لكي يتمكّن دائماً من أداء الصلاة دونما خشية من عدم طهارة موضع السّجود. كما أنّه من المعروف أنّ تربة كربلاء مباركة من الله؛ لأنّها احتضنت دماء الشّهداء من ذريّة رسول الله صلى الله عليه وآله.

لذا فإنّ الأفضلية المعطاة لاستخدام التّربة الحسينيّة هي ـ ببساطة ـ عمل

عبادي مستحب، وهو في ذلك شبيه بما يقوم به كثير من المسلمين الّذين يفضّلون استخدام السّبحة، وحتّى تلك المصنوعة من أحجار من مواد محدّدة، بدلاً من العدّ على الأصابع. كما أنّه شبيه بالتّقليد المتّبع من قبل أئمة المساجد في حمل عصا أثناء إلقاء خطبة الجمعة. والأمثلة المشابهة كثيرة جداً. والإشارة مفيدة إلى أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قد طلب إلى ابنته فاطمة عليها السلام استخدام التّربة الّتي دفن فيها حمزة رضي الله عنه ـ عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله والّذي استشهد يوم أحد ـ في صنع سبحة؛ لاستخدامها في التّسبيح المعروف باسم «تسبيح الزهراء» (الله أكبر، ٣٤ مرة؛ الحمد لله، ٣٣ مرة؛ سبحان الله، ٣٣ مرة).

من جهة أُخرى، فإنّه من الضّروري للمسلم أن يرتدي ثياباً طاهرة. ومن هنا تأتي الأهميّة الّتي ينبغي إيلاؤها لبعض ما يحيط بنا من أشياء غير طاهرة بالضّرورة.

من هذه الأشياء: الحزام الّذي نلّفه حول خصرنا والسّاعة الّتي نضعها في معصمنا، حيث أنّ الجلد الذّي يدخل في صنعهما قد يكون موضعاً للشبهة. ومنها أيضاً: قطعة الجلد أو الحصير أو السّجادة الّتي نقف عليها لأداء الصّلاة. فالطهارة في هذه الأشياء أمر يجب أن يطلب وأن يتمّ التحقق منه، دون أن ننسى أن المواد المصنوعة منها لا تصلح لوضع الجبهة عليها.

وعليه، ينبغي رفع الشّك بإبعاد موضوع الشّك.

الجمع بين الصلاتين: والمقصود بذلك هو الجمع بين صلاتي النهار: الظهر والعصر، والجمع بين صلاتي الليل: المغرب والعشاء.

وسننظر فيما يلي في شروط الجمع بين كلّ من هاتين الصّلاتين ضمن إطار الوقت المحدد لكلّ منهما. وسنستشهد في ذلك بآية قرآنية وبعدد من أحاديث النّبيّ صلى الله عليه وآله وأفعاله، كما سنأخذ في الاعتبار شهادات من معاصري الرّسول بالشّكل الّذي نقلها فيه العلماء.

جميع المذاهب الإسلامية متّفقة على جواز الجمع بين صلاة الظّهر وصلاة العصر، وهم يطلقون على هذا الجمع اسم «الجمع التّقديمي» أي الّذي يتم فيه تقديم وقت الصّلاة، وهذا يعني ـ بشكل ملموس ـ تقديم صلاة العصر بحيث يصبح أداؤها ممكناً مباشرة بعد صلاة الظهر، كما تتفق جميع المذاهب الإسلاميّة على الجمع بين صلاة المغرب وصلاة العشاء، ويطلق على ذلك اسم «جمع التأجيل»، حيث يتمّ أداء صلاة العشاء مباشرة بعد صلاة المغرب الّتي يتمّ تأخير وقتها بعض الشيء عن وقتها المتعارف.

إلاّ أنّ الإجماع ليس قائماً بين جميع المذاهب على الجمع بين الصلوات إلاّ في ظرف محدّد، أي خلال الحجّ في المزدلفة بالنسبة لصلاتي النهار ـ الظهر والعصر ـ وذلك عملاً بسنّة الرّسول ﷺ في الأماكن المقدسة.

أمّا خارج الأماكن المقدّسة، فإنّ المالكيّة والشّافعيّة والحنابلة، يفتون بالجمع بين الصلاتين خلال السفر، ولكنّهم يختلفون حول الجمع في حالات أُخرى كالمرض أو أثناء الحروب والكوارث الطّبيعية.

أما الحنفيّة فإنّهم يرفضون الجمع بين الصلوات خارج إطار الحجّ.

أما أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام فإنّهم الأكثر اعتدالاً وتسامحاً، فهم يعتبرون أنّ الجمع بين الصّلاتين جائز ليس فقط ضمن إطار الحج بل أيضاً خارج هذا الإطار. وفي هذه الحالة الأخيرة لا يخضع الجمع عندهم لشروط مسبقة على ما هو الشّأن عند المذاهب الأُخرى.

أمّا من ناحيتنا فإنّنا نرجع في ذلك إلى السّنة النبويّة، فما الّذي تقوله السّنة بهذا الخصوص؟

ينقل الإمام أحمد بن حنبل في *مسنده*[1] حديثاً عن ابن عباس، بأنّ النّبيّ ﷺ قد «صلّى سبعاً وثمانية، في غيرخوف ولا سفر». والمقصود بالسّبع والثّماني هو

---

١. *مسند أحمد بن حنبل*: ١ / ٢٢١.

عدد الرّكعات في الصّلاة الّتي يتمّ فيها الجمع بين صلاتي الليل (المغرب والعشاء) وفي الصّلاة الّتي يتمّ فيها الجمع بين صلاتي النّهار (الظهر والعصر).

أمّا الإمام مالك فينقل في كتابه *الموطأ*[١] عن ابن عباس أيضاً «أنّ النّبيّ ﷺ صلّى الظهر والعصر جميعاً في غير خوف ولا سفر». أي أنّه جمع بين الصّلوات وهو مقيم في ظروف خالية من انعدام الأمن أو يسودها الخوف.

ومن جهته ينقل مسلم في *صحيحه* عن ابن عباس «أنّ النّبيّ ﷺ صلى الظهر والعصر جميعاً والمغرب والعشاء جميعاً في غير خوف ولا سفر».[٢] وفي المصدر نفسه يكرر مسلم الحديث نفسه أكثر من مرة ويضيف أنّ ابن عباس سأل النّبيّ ﷺ عن السّبب في جمعه بين الصّلوات فأجابه بقوله: «لكي لا أشقّ على أمتي».[٣] فالنبيّ ﷺ كان حريصاً إذن منذ ذلك الزّمن على أن يخفف من مؤونة العبادة على أُمته في زمنه وفي الأزمنة اللاحقة.

وينقل الإمام البخاري في *صحيحه* عن آدم، عن عمرو بن دين أنّه قال: سمعت جابر بن زيد يقول: بأنّه سمع ابن عباس يقول: صلّى النّبيّ سبعاً معاً وثمانية معاً.[٤] وفي *صحيح البخاري* نفسه،[٥] يروي آدم نفسه: سمعت أبا أمامة يقول بأنّه صلّى الظّهر مع عمر بن عبد العزيز، ثمّ خرج واتّجه للقاء أنس، فوجده قائماً يصلّي، وعندما فرغ من صلاته سأله أبو أمامة عن الصّلاة الّتي كان يؤديها، فأجابه بأنّها صلاة العصر، مؤكداً بأنهم كانوا يصلّونها مع النّبيّ ﷺ.

وعليه يظهر من هذه الشّهادة أنّ أنساً قد صلّى العصر مباشرة بعد صلاة

---

١. *الموطأ*: ١٦١/١، و١٥١/٢، الفصل المتعلّق بالجمع بين الصلوات، بدء الجمع بين صلاتين في الحصر.

٢. *صحيح مسلم*: ٢ / ١٥٢.

٣. *المصدر*: ١٤٠/١، الفصل المتعلّق بوقت صلاة المغرب.

٤. *صحيح البخارى*: ١ / ١٣٨، الفصل المتعلق بوقت صلاة العصر.

٥. متفق عليه بين الجميع.

الظّهر، أي أنّه جمع بين هاتين الصّلاتين، وفقاً لما عمل به رسول اللهﷺ نفسه على ما أثبتته الشّهادات الّتي أوردناها.

وإذا ما كان جائزاً الجمع بين صلاتي الظّهر والعصر وبين صلاتي المغرب والعشاء، فإنّ ذلك يقتضي كون وقتهما واحداً. وعليه فإنّ فريضة الظّهر وفريضة العصر تشتركان في وقتهما الّذي يبدأ من الزّوال ويستمرّ حتّى الغروب، وكذلك تشترك فريضتا المغرب والعشاء في وقتهما الّذي يبدأ بعد غروب الشّمس ويستمر حتّى منتصف الليل.

أمّا فريضة الصّبح، فإنّ أوّل وقتها هو الفجر وآخره قبيلَ طلوع الشّمس. وعليه يبدو أنّ أوقات الصّلوات تنقسم إلى ثلاث فترات.

هذه الفترات هي:

ـ الفجر: عندما يصبح من الممكن تبيّن الخيط الأبيض من الخيط الأسود، بالنسبة لصلاة الصّبح.

ـ الفترة التي تبدأ عند الزّوال (عندما يتجاوز الظّل القدمين) وتنتهي عند غروب الشّمس.

ـ الليل: الفترة الّتي تبدأ عند غروب الشّمس وتنهي في حدود منتصف الليل.

وهذه الفترات الثّلاث محددة بوضوح في الآيات التالية:

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يـذْهِبْنَ السَّيئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾.[1]

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾.[2]

---

١. هود: ١١٤.

٢. الأسراء: ٧٨.

﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾.[١]

﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾.[٢]

ينبغي إذن عدم أداء صلاة الصّبح لا قبل طلوع الفجر ولا بعد طلوع الشّمس، كما لا يجوز الجمع بين الصّلوات بشكل مختلف عن الجمع الّذي عمل به رسول الله صلى الله عليه وآله.

ما هي الفوائد الّتي يحصل عليها النّاس في أيامنا هذه جراء الجمع بين الصّلوات؟

إنّ وتيرة العمل في فترتي الصّباح وبعد الظّهر تتناسب تماماً مع الجمع بين الصّلوات، حيث تؤدى صلاة الصّبح قبل الذّهاب إلى العمل، وتؤدى صلاتا الظّهر والعصرفي فترة الرّاحة بين الثّانية عشرة والخامسة عشرة، في حين تؤدّى صلاتا المغرب والعشاء بعد غروب الشّمس وحتّى ما قبل منتصف الليل.

غير أنّه لا يندر أن نجد كثيراً من الأشخاص الذّين يتحكم بهم نمط العيش الجهنمي الّذي يفرضه العالم الحديث بكلّ ما فيه من تقلّبات الصدف يصلون إلى حالة لا يتمكنون معها من أداء الصّلوات بالحدّ الأدنى من التّقيد بالمواقيت. لذا فإنّهم يجمعون ثلاثاً أو أربعاً أو حتّى الصّلوات الخمس ويؤدونها بعد حلول المساء، وهذا ما يعرف في اللغة الشّعبية السّائدة في إفريقيا الغربية باسم «الصّلاة بالجملة». وهم بذلك يخالفون تعاليم الله ويجّرون الوبال على أنفسهم وفق ما يؤكّده القرآن الكريم:

﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾.[١]

---

١. طه: ١٣٠.

٢. ق: ٣٩.

﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ * رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾.[٢]

﴿فَوَيلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾.[٣]

الفرق في الإسلام

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَينَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يبَينُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.[٤]

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَينَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.[٥]

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.[٦]

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ ينَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يفْعَلُونَ﴾.[٧]

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.[٨]

---

١. البقرة: ٢٣٨.

٢. ص: ٣٢ و ٣٣.

٣. الماعون: ٤ و ٥.

٤. آل عمران: ١٠٣.

٥. آل عمران: ١٠٥.

٦. الأنعام: ١٥٣.

٧. الأنعام: ١٥٩.

٨. الأنفال: ٤٦.

﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾.[١]

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.[٢]

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾.[٣]

هكذا نلاحظ أنّ الله قد ذكر الناس لمرات عديدة بما يتوجّب عليهم من أمر الاجتماع والوحدة، فالله يعتبر انقسام المسلمين انحرافاً عن الخطّ الّذي رسمه لهم ومن هنا يخشى إلاّ تنالهم نعمه طالما أنّهم منقسمون.

ولكن من أين يأتي بلاء الانقسام هذا؟

يمكن هنا أن يخطر في ذهن القارئ أنّنا نعود إلى الموضوع الأساسي لهذا الكتاب، أي إلى موضوع توحيد جميع المسلمين حول القيم الأساسيّة المتمثّلة بالصّراط الإلهي، ذلك صحيح تماماً؛ لأنّنا نريد الحديث هنا عن جانب نوعي لم نتطرق إليه حتّى الآن، ألا وهو أصل انقسام الأمّة إلى جماعات وفرق.

الآيات الّتي أوردناها آنفاً لاتحتاج إلى تفسير، فهي تبدو لنا واضحة بما يكفي لإظهار أنّ الله يريد من الأمة أيضاً أن تكون مجتمعة وموحّدة. لكن بعض الأحاديث الصّحيحة أو الموضوعة قد نقلت إلينا بهذا الخصوص ما هو مستغرب، هو أنّ بعض تلك الأحاديث تخالف آيات القرآن لتشهد على نفسها بذلك بأنّها غير صحيحة. وهنالك من جهة أخرى أحاديث فهمت أو

---

١. المؤمنون: ٥٢.

٢. الروم: ٣٠ و٣١.

٣. التّوبة: ١٢٢.

فسّرت بطريقة غير صحيحة، في حين أنّها تبدو لنا صحيحة ومتوافقة مع القرآن الّذي يشكّل المرجع الأعلى الّذي لا مساس به للتّعرف على أوامر الله ونواهيه، ومن تلك الأحاديث:

ح ١: «اختلاف أُمتي رحمة».[١]

ح ٢: «أصحابي كالنّجوم، بأيّهم اقتديتم اهتديتم».[٢]

ح ٣: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء من بعدي».[٣]

ح ٤: «تفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة كلّها في النار إلاّ فرقة واحدة».[٤]

وإذا كانت الأحاديث: الأوّل والثّالث والرّابع تبدو لنا صحيحة، فإنّ الحديث الثاني متناقض بشكل كامل مع الواقع التّأريخي، وحتّى مع الحّس السّليم والحقيقة السّماوية.

ففي الحديث الأوّل يتحدّث النّبيّ ﷺ بالأحرى عن الامتزاج بين العناصر المختلفة، وعن اغتناء المعارف الإسلامية ذات الأُصول والمناشئ المختلفة. وفي هذه المسألة بالذّات تكمن أهميّة الآية الأخيرة الّتي أوردناها آنفاً والّتي تتمايز بشكل واضح عن الآيات الأُخرى:

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾.[٥]

---

١. *صحيح مسلم*، في فضائل الصحابة؛ *مسند أحمد بن حنبل*: ٤ / ٣٩٨.

٢. *صحيح التّرمذي*: ٣٢٨/٥؛ *صحيح مسلم*: ٣٦٢/٢؛ *مسند أحمد بن حنبل*: ٣٨٩/٥؛ *مستدرك الحاكم*: ١٤٨/٣ و *الطبراني*: ١ / ١٣١.

٣. *سنن ابن ماجه*، *كتاب الفتن*: ج ٢، *الحديث* رقم ٣٩٩٣؛ *مسند أحمد*: ٣ / ١٢٠؛ *التّرمذي في كتاب الإيمان*.

٤. الواقع أنّ اليهود لا يحتفلون بهذا اليوم.

٥. التّوبة: ١٢٢.

فالآية تأمر المسلمين بأن ينفروا لطلب المعرفة وأن يعودوا للتّفاعل كلّ مع قومه.

ومن جهة ثانية، فإنّ كلمة «اختلاف» والّتي قد تفيد معنى «الفُرقة»، إنّما تعني التبادل والعطاء المتبادل. فكلمة «اختلاف» نفسها ترد في الآيتين التاليتين بما يفيد معنى «التّعاقب»:

﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾.[1]

﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.[2]

فمعنى التّعاقب وحده هو الممكن، ويمكننا البرهنة على ذلك ببرهان الخلف:

إذا أمكن القول بأنّ الاختلاف إيجابي بالنّسبة للإسلام، فإنّ الاتّحاد يصبح غير إيجابي بالتّأكيد، ولكنّ الله يأمر المسلمين بالاتّحاد، لذا فإنّ الاختلاف لا يمكنه أن يكون إيجابيّاً بالنسبة للإسلام، وبالتّالي لا يمكن الدّفاع عن القول بأنّ الاختلاف الوارد في الحديث قد ورد بمعنى التناقض.

أمّا بالنّسبة الحديث الثّاني فهو بكلّ بساطة غير صحيح؛ لأنّ في السّماء كثيراً من النّجوم الّتي لا يهتدي بها المسافر إلى طريقه، وفوق ذلك نعرف أنّ كثيراً من صحابة النّبيّ ﷺ قد اقتتلوا، ومنهم من لعنه الله، فهل يمكن لهم جميعاً أن يكونوا هداة للمسلمين؟

أمّا الحديث الثّالث فمعترف بصحته من قبل أغلب المسلمين، لكنّ الاختلاف يقع حول هوية الخلفاء من بعد الرّسول ﷺ. والحقيقة أنّ المقصود بالخلفاء هم الأئمة الاثنا عشر من آل البيت عليهم السلام، لا سيّما وأنّ أحاديث أُخرى متّفق عليها بين جميع المسلمين تنصّ على أنّ عدد الخلفاء

---

١. يونس: ٦.
٢. المؤمنون: ٨٠.

اثنا عشر. والخلاف نفسه يقع أيضاً بخصوص هوية الفرق الّتي يقول النّبيّ ﷺ بأنّها في النار ما عدا واحدة هي الفرقة الناجية. والحقيقة أنّ أتباع كلّ فرقة مقتنعون بأنّ الفرقة الناجية هي فرقتهم. ولكن يحقّ لنا أن نتساءل: هل فرقة فاطمة الزّهراء عليها السلام الأبنة الحبيبة لخير البشر ﷺ، أيّ فرقة الإمام عليّ عليه السلام حامل علم النّبيّ ﷺ وصهره، أي فرقة الحسن عليه السلام والحسين عليه السلام اللذين قال عنهما النّبيّ ﷺ بأنّهما سيّدا شباب أهل الجنة... هل هذه الفرقة يمكنها أن تكون واحدة من الفرق الضّالة الاثنتين والسبعين؟ سؤال بسيط، إضافة إلى السّؤال عن مدى صحة الحديث.

وإذا ما عدنا إلى أصل وجود الفرق، فإنّ من الممكن القول بأنّه يرجع في الواقع إلى بداية الخليقة، حيث إنّ التمرّد الأول على الأمر الإلهي هو ذلك الّذي بدأه الشّيطان (إبليس) من خلال آدم الّذي رفض أن يسجد له. ويعرض الشّهرستاني، في كتابه *الملل والنحل* (الجزء الأول)، كالعديد من الكتّاب، للحجج الّتي قدمها إبليس للملائكة وحاول من خلالها تبرير عصيانه.

وللأسف ليست هنالك مصادر موثّقة لهذا النّوع من القصص، ما يجعلنا نتوقف في الحديث عن هذا الموضوع عند هذا الحد. الأمر الأساسي هو أن العصيان المؤدي إلى الانقسام إلى فرق إنّما جاءنا من بدايات الوجود البشري.

وكان من الطّبيعي بعد ذلك أن يكون هنالك مؤمنون (أنصار الله) من جهة، وغير مؤمنين (أنصار إبليس) من جهة ثانية. وإذا كان الفريق الثّاني يضمّ الملاحدة (الماديين والعدميين وغيرهم وكلّهم يتشعّبون إلى المزيد والمزيد من الفرق)، فإنّ الفريق الأول قد انقسم بدوره إلى فرق لا تحصى.

وفي التّحليل الّذي يقدّمه الشّهرستاني ـ وهو مرجع في الموضوع ـ نجد أنّ الكتاب يقدّمون أوصافاً لمجموعات كبيرة ثلاث من الفرق الدّينية:

ـ الشّرق والغرب والشّمال والجنوب؛

ـ الهند، العالم العربي، غير العرب، أي «العجم» (الأفارقة والفرس والترك وغيرهم) والرّوم أي الغربيون (الأوروبيّون، الأميركيون).

ـ المجوس، اليهود، النّصارى، المسلمون.

والواقع أنّ رسالة الإسلام قد نزلت مع أوّل البشر، آدمعليه السلام. ثمّ امتدت عبر العصور متجسّدة بالأنبياء الّذين قاموا بنشرها. ومن بين هؤلاء نتوقّف عند الأنبياء الخمسة الذين جاؤوا بشرائع سماويّة نسخت بعضها البعض على التّوالي، وهم: نوحعليه السلام وإبراهيمعليه السلام وموسىعليه السلام وعيسىعليه السلام، وأخيراً خاتم الأنبياء محمدصلى الله عليه وآله.

ومع هذا، لا ننسى وجود أديان توحيديّة أخرى خارج الأديان الّتي جاءت بوحي إلهي. وهذه الأديان هي تحديداً تلك الّتي نشأت عن الفيدا (كالهندوسية ومشتقاتها، كالبراهمانية، والبوذية، وديانة «زين»، والطّاوية وغيرها) وعن الإحيائيّة الإفريقيّة وتنويعاتها المختلفة (في بنين والسّنغال وشاطيء العاج وغيرها). ولا بدّ من التأكيد على أنّ كلّ هؤلاء قد تلقّوا رسالة الإسلام عن طريق أنبياء أرسلهم الله تعالى حقاً وصدقاً. فالله يقول: بأنّه بعث إلى كلّ قوم رسولاً منهم. هذا يعني أنّ هذه الأديان كانت صحيحة في فترة ما قبل أن تنسخ وتحرّف شأن جميع الأديان القائمة حاليّاً، والّتي ترفض الاعتراف بذلك. والإسلام هو في أيامنا هو الدين الوحيد الّذي يقرّه الله تعالى، والّذي حفظت رسالته في القرآن المعجز وغير القابل للتغيير بحفظ من الله نفسه.

إذن نقتصر هنا على ذكر الفرق الإسلاميّة، والحديث عنها وحدها يتطلّب الكثير من المجلدات، ولكننا سنكتفي هنا بتقديمها من خلال الأطر الّتي ظهرت فيها. وسنهتم، بوجه خاص، بالتّمييز بين الأمور الأساسيّة الّتي تجمعها والأمور الهامشيّة الّتي تفرق بينها لأن ذلك هو ما يشكل رهان التّشابه والتّوحيد في التّسليم لله تعالى وفي وحدة الأُمّة.

إنّ الإنقسامات العائدة في الأساس إلى الخصومة بين بني أُميّة وبني هاشم قد تعززت فيما بعد، من خلال مذبحة كربلاء. والخصوصيّة الأساسيّة الّتي يتمتع بها أهل البيت عليهم السلام هي كونهم يتمسّكون بالسّنة النّبويّة الحقيقيّة ويتمتّعون بالقدر الأكبر من القدرة على تفسير القرآن، ذلك أنّ أحداً لا يمكنه أن يعرف أحاديث النّبيّ ﷺ وتفسيره للقرآن أكثر من أهل بيت النّبيّ ﷺ. ذلك أمر منطقي تماماً.

ثمّ جاءت المذاهب وتبعتها الجماعات الصّوفية أو أصحاب الطّرق. ولكلّ طريقة شيخ وأذكار وسلوك. ويقول معظم شيوخ الطّرق: بأنّهم تلقّوا أذكارهم من النّبيّ ﷺ. والواقع أنّ جوهر هذه الأذكار مستمدّ من القرآن الكريم. وإليكم بعض الأمثلة:

ـ ذكر عبارة «أستغفر الله» يأتي من الآية التّالية:

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾.[1]

ـ شهادة «لا إله إلاّ الله» ماخوذة من الآية:

﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾.[2]

ـ الصّلاة على النّبيّ هي أمر إلهي ورد في الآية:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يصَلُّونَ عَلَى النَّبِي يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.[3]

ونذكر مثالاً عن الجماعات الصّوفية الّتي يتفق الذّكر عندها مع هذه الوصايا الإلهية الثّلاث، ذلك المثال هو مثال الطّريقة التّيجانية الّتي أسّسها الشّيخ أحمد التّيجاني الشّريف، والسّبب هو أنّنا ولدنا شخصيّاً في أحضان هذه

١. نوح: ١٠.
٢. العنكبوت: ٤٥.
٣. الأحزاب: ٥٦.

الطّريقة وأمضينا فيها الشّطر الأكبر من حياتنا، والأهمّ من ذلك هو أنّ التّشابه كبير جداً بين هذه الجماعة والكثير غيرها من الجماعات في طول العالم الإسلامي وعرضه، وذلك في العديد من النقاط الّتي نترك للقارئ أمر تلمّسها بنفسه، غير أنّنا نسوق بعض الملاحظات حول الشّيخ الموقر أحمد التّيجاني الشّريف، مؤسس الطّريقة التّيجانيّة:

١. لا يذكر الشّيخ الموقر التّيجاني في صلاته على النّبيّ ﷺ غير «آل النّبيّ»، متحاشياً بشكل مقصود ذكر «صحبه». وهذه الصّلاة على النّبيّ ﷺ ترد مع تغيير طفيف جداً في كتاب *نهج البلاغة* للإمام عليّ عليه السلام.

٢. يذكر الشّيخ في كتابه *أحزاب وأوراد* (من الصفحة ١٤٧ إلى الصفحة ١٥٠)، المتضمن لمجموعة من صلواته وأذكاره، يذكر أسماء الأئمة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام (الّذين يردد أسماءهم أتباع هذه الطّريقة دون أن يعرفوا شيئاً عنهم). كما يذكر الشّيخ بوضوح وإصرار بأنّه يتوسل بهم.

من هنا يصبح القول ممكناً بأنّ الشّيخ كان من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وإن كانت التّقية تفرض نفسها عليه في عصره الّذي كان يسوده القمع السّياسي والدّيني. ومن هنا فإنّنا نفهم بسهولة ما يعنيه عندما يقول بأنّ طريقته قد جاءته من النّبيّ ﷺ بشكل مباشر أو غير مباشر.

وأخيراً فإنّ جميع الفرق الّتي تتبع مسار الحق (للأسف هنالك فرق تتبع مسار الباطل) لا تنشر غير تعاليم الله، إن على مستوى السلوك أو على مستوى الذّكر. ولكن ما هو السّبب في كلّ هذه الخصومات والمنافسة والنكد في الصّراع بين أتباع الطّرق والجماعات المختلفة؟

لماذا كلّ هذه الأحكام المسبقة الّتي لا هوادة فيها، والّتي يطلقها البعض على البعض الآخر دون أيّة محاولة للتّبادل والتّفاهم والتّفاوض الإيجابي، على ما يقوله علماء النفس؟

ولماذا كلّ هذا التّعلق المفرط بالأشخاص أو بالقيم ذات المستوى الأدنى من مستوى النّبيّ ﷺ وتعاليمه الّتي لا تزال معروفة وبمتناول الجميع؟

الإجابة على جميع هذه الأسئلة تكمن في طبيعة الإنسان، في كونه ضعيفاً.

ولحسن الحظ أنّ الأكثريّة السّاحقة من أتباع أولئك الأولياء والعلماء لا ينجرفون في الإفراط، بل يواصلون أداء أذكارهم وغيرها من تعاليم شيوخهم بإخلاص صادق وبروحيّة انفتاح كبيرة على الآخرين.

وعلى أيّ حال نجد أنفسنا أمام معضلة كبرى: هل علينا أن نتّبع جماعة من الجماعات أم لا؟ وإذا كان علينا ذلك، فأيّة جماعة نتبع؟

والواقع نقول ذلك على الفور، إنّ الاختيار لا يفرض نفسه علينا؛ لأنّنا إذا ما نظرنا إلى الأمر عن كثب، نجد أن ما يميزها عن بعضها البعض لا يأتي من حقائق تاريخيّة معروفة، أو من أحاديث ثابتة لا نقاش فيها. كما لا يأتي بالطبع من القرآن، وكلّ ذلك تشترك فيه جميع الفرق مع بعض الاستثناءات.

التّمايزات بين الفرق تأتي إذن:

- من وقائع نوعية خاصّة بالجماعة البشريّة الّتي ظهرت فيه هذه الفرقة أو تلك.
- أو من ظهورعالم أو قائد مستنير بهرت أنواره النّاس حتّى ظنّوا بأنّهم بحضرة رسول جديد.
- أو من تعاليم صحيحة آو خاطئة في البداية تحوّلت فيما بعد باتّجاه الخير أو الشّر من قبل أتباع وتلامذة انتهوا - هم أنفسهم - إلى تأسيس فرق جديدة.
- أو من خرافات مختلقة تغطّي مقاصد غير معلنة أو مصالح فردية أو عائلية أو قبلية.

لا بدّ إذن من التّذكير بأنّ الاجتهاد واجب على كلّ مسلم مخلص، ومن هنا، ننتهي دائماً إلى معرفة مكان الحقيقة؛ لأنّ المعايير الحقيقية للانتماء إلى الفرقة الثّالثة والسبعين، أي إلى الفرقة النّاجية يبدو أنّها تكمن في الالتصاق

بجوهر إيماننا كمسلمين (القرآن وعمل الصّالحات) والمواضبة بإخلاص على البحث الشّخصي (الاجتهاد) لمعرفة الإسلام وتاريخ بداياته.

عاشوراء (العاشر من محرم)

العاشر من شهر محرم هو يوم لا يمحى من ذاكرة التّأريخ الإسلامي. هو يوم فرح للبعض، ويوم صوم وشكر للبعض الآخر، ويوم حزن عظيم وعزاء عند فريق ثالث. وكلّ فريق يحتفل فيه بما يريد تذكره، إذا لم نقل بأنّ كثيرين يفعلون ذلك على سبيل المحاكاة العمياء دونما كبير معرفة بالدّوافع الحقيقية للاحتفال بذلك اليوم.

الأحداث الّتي يفترض أنّها حددت مجريات ذلك اليوم متعددة.

هنالك ذكر لما لا يقل عن عشرة منها. وبعضها وقع حتّى قبل البعثة النبويّة. وفيما يلي نذكر ستة منها باختصار:

هنالك القول مثلاً: بأنّ العاشر من محرم هو اليوم الّذي رست فيه سفينة نوحعليه السلام بعد الطّوفان، منقذة بذلك الكثير من الأنواع الحيّة من الهلاك.

المثال الثّاني: هو القول بأنّ العاشر من محرم هو اليوم الّذي يحتفل فيه اليهود[١] على أنّه اليوم الّذي فلق فيه موسىعليه السلام البحر بعصاه لإنقاذ شعبه من فرعون وجنوده الّذين ابتلعتهم المياه بعد عبور موسى وشعبه.

المثال الثالث: هو القول بأنّ العاشر من محرم هو اليوم الّذي لفظ فيه الحوت يونسعليه السلام بعد أن كان قد ابتلعه وأبقاه في جوفه طيلة أشهر، وفي قول آخر طيلة سنوات، لم يتخلّ خلالها عن التسبيح، وذكرالله تعالى، الأمر الّذي أنقذه أيضاً من الهلاك.

المثال الرّابع: هو القول بأنّ العاشر من محرم هو اليوم الّذي التأم فيه شمل

---

١. راجع قصة يوسف وإخوته في القرآن الكريم.

عائلة يوسف عليه السلام، وحلّ فيها السّلام والوئام بعد التصرفات الخبيثة[١] الّتي قام بها إخوته تجاهه.

المثال الخامس: هو القول بأنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله كان يعتريه الحزن يوم العاشر من محرم، وعندما سئل عن سبب ذلك، أجاب بأنّ النّاس سيعرفون السّبب بعد وفاته من خلال مصاب عظيم سيصيب أهل بيته من بعده. كما أنّه كان يكثر من تقبيل الحسن عليه السلام في ثغره، والحسين عليه السلام في نحره. أي أنّه كان يقبل كلّاً منهما في ناحية جسده الّتي ستصيبه فيها الضّربة القاتلة، أي السّم بالنّسبة للحسن عليه السلام، والسّيف الّذي احتز به رأس الحسين عليه السلام.

المثال السّادس: يتعلق بيزيد بن معاوية الّذي خلف أباه في الحكم وقتل الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وحفيد رسول الله صلى الله عليه وآله، مع العديد من أبنائه وأحفاد الرّسول صلى الله عليه وآله وأصحابه. وفي ذلك اليوم تمثّل يزيد بشعر يمجّد أسلافه ويذكّر بأنّه لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل.

وقد أعلن يزيد يوم العاشر من محرّم مناسبة للنصر والأفراح.

أيّ هذه الأحداث ينبغي اعتماده للاحتفال بالعاشر من محرّم؟.

ذلك الحدث هو يقيناً ذلك الّذي اعتمده رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنّه الأسوة الحسنة لجميع المسلمين، ولا يمكننا اعتماد أيّ حدث آخر، لسببين:

الأوّل: هو تناقض الأحداث الأُخرى مع الحدث الوحيد الّذي قام الرّسول صلى الله عليه وآله بإحيائه في العاشر من محرم، وهو مصرع آل بيته وفي طليعتهم ابن بنته الحسين عليه السلام.

الثاني: هو عدم وجود أيّ خبر يدلّ على أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قد أحيا ذلك

---

١. يتنكر الرّجال في هذا العيد بزي النساء والنساء بزي الرجال ويدخلون البيوت حيث يستفيدون من كرم سكّانها. ويحق لهم أن ياخذوا كلّ ما يجدونه في أفنية البيوت، إذا لم يكن سكانها قد احتاطوا لذلك مسبقاً.

اليوم لسبب غير السبّب الّذي ذكرناه.

من أين إذن جاءتنا فكرة الاحتفال بالعاشر من محرم بوصفه عيداً للفرح؟ فالواقع أنّ معظم المسلمين في إفريقيا الغربية وغيرها يطلب إليهم في ذلك اليوم أن يأكلوا وأن يكثّروا من الأكل؛ لأنّهم سيوزنون في نهاية النهار، ومن كان خفيف الوزن فإنّه لن يذهب إلى الجنة (؟!). وعند حلول المساء، تقام في السنغال احتفالات شبيهة من بعض النّواحي بعيد هالوين في أميركا. وهم يطلقون عليها اسم «تاجبون» بلغة الوولوف. أمّا في شاطئ العاج، فيختلف شكل الاحتفالات الّتي يطلقون عليها في ذلك اليوم اسم «فاسو» بلغة الجوالا.

لقد آن الأوان لأن تتوقّف مثل هذه التصرفات غير اللائقة، لأنّ من غير اللائق أن يصار إلى الاحتفال بالعاشر من محرم على طريقة يزيد، شارب الخمر وقاتل أبناء رسول اللهﷺ. علينا أن نذكر ذلك اليوم بوصفه يوماً للحزن والعزاء والتقوى وأن يكون رسول اللهﷺ قدوتنا في ذلك.

الزكاة والخمس

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.[١]

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾.[٢]

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾.[٣]

---

١. الأنفال: ٤١.

٢. البقرة: ٤٣.

٣. البقرة: ٨٣.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.[١]

وهنالك العديد من الآيات القرآنية الأُخرى الّتي تأمر المسلم بأداء الزّكاة.

فقد حدّد الإسلام بشكل صريح الوسائل الشّرعية لتلبية حاجات الفرد والمجتمع والدّولة.

ولو أنّ هاتين الفريضتين (الزّكاة والخمس) وحدهما طبّقتا كما ينبغي، لما بقي فقير أو محتاج في العالم الإسلامي، ولما أصاب قضية الإسلام ما أصابها، ولكان من الممكن توفير جميع مستلزمات الرّفاه العام، بالشّكل الّذي كان قائماً يوم كان المسلمون يلتزمون بصدق بتعاليم الإسلام.

وإذا ما تبيّن أنّ هاتين الفريضتين غير كافيتين لتحقيق الرّفاه العام وتأمين تقدم المسلمين، فإنّ على الدّولة أن تعمد إلى استغلال مصادر أُخرى للإيرادات، كالزّراعة والمناجم. وإنّه لمن غير الشّرعي للمسلمين أن يستولوا على أملاك الآخرين. وقد نصّ القرآن الكريم على ذلك بقوله تعالى:

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَينَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.[٢]

وعلى هذا الأساس، يقوم نظام الحقوق في الإسلام. ولا يجوّز تطبيق الشّريعة الحازمة على خاطئ عندما يكون هذا الخاطئ قد ارتكب خطيئته في ظل عدم تطبيق القواعد الأوليّة لتقسيم الأرزاق في الإسلام. فالإسلام كلّ متشابك الخيوط، ولا يمكن نزع أحد خيوطه دون أن تنفك الخيوط الأُخرى عن بعضها البعض.

وإذا بدا أنّ الزّكاة معروفة جيداً من قبل المسلمين، فإنّ الأمر مختلف

---

١. البقرة: ١١٠.

٢. البقرة: ١٨٨.

تماماً بشأن الخمس. فالواقع أنّ عدداً قليلاً من أفراد الأمة يعرفون هذه الفريضة الإلهية ويقومون بتطبيقها. وكون الناس لا يعيشون في دولة إسلامية لا يشكل عذراً لهم في التهاون بأمر الخمس؛ لأنّ الخمس كالزكاة عنصر دساسي من عناصر التّوازن الرّوحي والاقتصادي، وبالتّالي الاجتماعي والحقوقي والثّقافي في المجتمع الإسلامي.

لنذكر أوّلاً بقواعد أداء الزّكاة:

تجب الزّكاة في تسعة موارد هي:

التّمر،الزّبيب،القمح،الشّعير، الإبل، الأغنام، الأبقار، العملة الذّهبية، العملة الفضّية.

كما يستحسن أداء الزّكاة عن رأسمال العمل، وكذلك على الأرباح المتحصّلة من التجارة. وبذل المال في هذا المجال يزيد في مال الشّخص الّذي يبذل ذلك المال.

ولا بّد من النية عند إيتاء الزّكاة. وصيغة النيّة هي التّالية:

«أزكي قربة إلى الله تعالى».

ويعاد توزيع الزّكاة على مستحقيها بالشّكل التّالي:

على المحتاجين

على الفقراء

على العاملين عليها

١. على من يرى النّبيّ صلى الله عليه وآله أو الإمام عليه السلام أو من ينوب عنهما، بأن من الممكن تأليف قلوبهم بهذه الوسيلة.

على الغارمين

على الشّؤون الدّينية كمساعدة المجاهدين وبناء المدارس وغير ذلك...

على ابن السّبيل والمسافر الّذي تتقطّع به السّبل في حال كونه غنياً في بلده.

وهنالك أيضاً زكاة أُخرى هي زكاة الفطر. وهي واجبة على كلّ شخص بالغ وعاقل (ابتداءً من سن البلوغ). وهي تؤدى يوم عيد الفطر (الأوّل من شوال، عند نهاية صوم شهر رمضان، أو «الكوريتا» في إفريقيا الغربية). ويجب أن يتولّى دفعها ربّ الأسرة عن نفسه وعن أفراد أُسرته، بمعدل ثلاثة كيلوغرامات من الطّعام عن كلّ شخص.

ويفضّل إيتاء الزّكاة قمحاً أو تمراً أو زبيباً أو أرزاً أو أيّ طعام أساسي آخر ممّا يستهلكه مؤتي الزّكاة أو سكّان المنطقة الّتي يعيش فيها. كما يمكن إيتاء قيمة هذه المواد نقداً.

كما يجب أن تؤدّى الزّكاة إلى مؤمّن ذي فاقة ولا يمتلك قوت سنته.

ممّن يؤخذ الخمس؟ ومن هم مستحقّوه؟

سنحاول الإجابة على هذين السّؤالين بإيجاز؛ لأنّ كتباً كثيرة كتبت في هذا الموضوع، ويمكن للقارئ الاطّلاع عليها بسهولة.

يؤخذ الخمس عن سبعة موارد هي: غنيمة الحرب، الّتي يتمّ الحصول عليها بعد حرب عادلة ضد الكفار.

المعادن كالذهب والفضة والنفط والحديد والملح وغيرها.

الكنوز المدفونة، فمن يستخرج كنزاً مدفوناً بوسائله الخاصة يتوجب عليه الخمس.

ما يخرج من البحر، كاللؤلؤ.

إذا تحصل المؤمن على مال حلال مختلط بمال حرام ويكون ماله الأصلي ومقداره غير معروفين يتوجب عليه الخمس وتحلّ له بقية المال.

أرباح المعاملات الزّراعية والتّجارية والصّناعية وكراء الممتلكات وكلّ مصدر آخر للإيرادات، وذلك بعد حسم النفقات السّنوية للشّخص المعني وأفراد أسرته.

الأرض الّتي يشتريها المسلم من الذّمي.

ولا يجب الخمس في المهر الّذي يدفعه الرجل لزوجته، ولا في الأملاك الّتي يحصل عليها الرّجل من زوجته في حال الطّلاق الخلعي الّذي تطلبه المرأة، ولا في الأملاك الموروثة. أمّا إذا ورث الشّخص مالاً من قريب دون أن يكون متوقعاً لذلك، فعليه الاحتياط وجوباً بدفع الخمس عن فائض المال الموروث.

ويقسّم الخمس إلى نصفين:

يعود النصف الأول إلى الإمام المعصوم، وفي غيبته، كما في أيّامنا، يجب دفعه إلى أحد المجتهدين الكبار، أو إنفاقه في مصلحة الإسلام.

يحق للسّادة (من سلالة رسول الله ﷺ) أن يحصلوا على النصف الآخر، ليدفع من قبلهم إلى المحتاجين والفقراء وأبناء السبيل منهم.

٥
السّلوك والسّمات الثّقافية

الجبر والتّفويض

﴿أَينَمَا تَكُونُوا يدرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيئَةٌ يقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يكَادُونَ يفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾.[1]

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.[2]

﴿فَمَنْ يعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيرًا يرَهُ * وَمَنْ يعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يرَهُ﴾.[3]

﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يوْمَ الْقِيامَةِ كِتَابًا يلْقَاهُ مَنْشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيوْمَ عَلَيكَ حَسِيبًا * مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يضِلُّ عَلَيهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا * وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾.[4]

---

١. النساء: ٧٨.

٢. يونس: ٦١.

٣. الزلزلة: ٧ ـ ٨.

٤. الأسراء: ١٣ـ ١٦.

والتّسليم أوالجبريّة هي أيضاً موقف غير عادل؛ لأنّ قدر الإنسان لا يتقرر فقط بإرادة إلهيّة، لأنّه يحرمنا بذلك من كلّ حريّة في الاختيار، أي في الاختيار بين الخير والشر، علماً بأنّنا مأمورون بعمل الخير بشكل لا هوادة فيه.

فالقدر هو إذن محصّلة الجميع بين ما يقدّره الله لنا، كما أنّه نتاج أعمالنا ونتاج أعمال الآخرين ممّن يمتلكون القدرة على التّأثير في حياتنا.

والمسألة، إذا ما جاز لنا استخدام لغة كاللغة المتعارفة عند مستخدمي الحاسوب، هي أنّنا في كلّ عمل نقوم به، نجد أنفسنا إزاء «صندوق حوار» يقدّم لنا خيارات عديدة لكن الخيار الّذي يقدّمه الله لنا قبل أي خيار آخر يظلّ أفضل الخيارات. ولكنّنا، للأسف لا نعرف بالضّرورة ذلك الخيار الّذي لا يعلمه إلاّ هو جلّ جلاله. فالله يرانا قبل العمل وأثناء العمل وبعد العمل ويعلم كلّ ما يجري حولنا، لكنّنا نظلّ المسؤولين الوحيدين عن نتيجة العمل الّذي نقوم به، والّذي سنحاسب عليه إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

غير أنّ هذه المقارنة تخضع لحدود وقيود: فالخيارات في برنامج الحاسوب محدودة والأخطاء ممكنة. أما عند الله، فالخيارات غير محدودة لكن النتائج يمكن توقعها ومعرفتها سلفاً. وهذا لا يحرم الإنسان من أي قسط من حريّته في الاختيار، مع ما ينجم عن ذلك من وجوب تحمّل مسؤولية الخيار، مع العلم بأنّ الله قد رسم لكلّ منّا، مسبقاً، خارطة طريق (الجبر) يمكننا أن نغيرها بأعمالنا وبأعمال الآخرين لنجعل منها قدرنا الخاص.

ما هو في النّهاية الموقف الصّحيح الّذي ينبغي اتخاذه من قبل المؤمن؟ ذلك الموقف يكمن دائماً في مواجهة المشكلات بطريقة تعتمد على الإيمان الصّحيح وعلى المنطق: البدء بالتّحديد الواضح للمشكلة أو للمشكلات الّتي ترغب بحلها،

تحديد وتعداد جميع الحلول العمليّة الممكنة وفقاً لمستوى معارف

الشّخص، مع وضع جدول زمني للحلّ (بالسّنوات أو الأشهر أو الأيام)، مع تحديد العلاقات والإمكانيات الماديّة والمالية للشّخص ولقدراته الذهنية والخلقيّة والجسديّة ومؤهلاته المهنية وثقافته، إضافة إلى الوسائل الحقوقية والاقتصادية والاجتماعيّة الّتي تضعها الدّولة بتصرف الشّخص، إلخ.

العمل بما هو ضروري من الدأب والإيمان والاقتناع لحلّ المشكلة أو المشكلات عبر الحلول المذكورة أعلاه.

وقد يساعد مرور الزّمن على التّوصل إلى أفضل الحلول عبر الإيمان بالله، وبخاصة من خلال الصّلاة والصّدقات والصّوم والأضحيات، أو من خلال طلب المساعدة من مرشد دينيّ طلباً للعون الإلهي من أجل الوصول إلى النتائج المتوخاة. فالقدر ليس في الواقع مطلقاً بالكامل؛ لأنّه يتضمّن ما هو ثابت وما هو متغيّر، والممكن هو التأثير على جوانبه المتغيرة مع الاحتراس من عدم تجاوز الحدود.

وإذا لم يتّم التّوصل إلى النتيجة المرجوّة، يمكن للشّخص فقط بعد بذل الجهد الممكن أنّ يعتبر أنّ مشكلته مرتبطة بالقدر المحتوم، وعندها لا يمكن للحلّ إلاّ أن يأتي من مشيئة الله وحده.

ومع هذا، لا ينبغي أن ننسى أن وجود باب مقفل لا يعني عدم وجود الكثير من الأبواب المفتوحة. لذا يمكننا أن نتوسّل إلى الله في صلواتنا بأن يهب لنا ما هو الأفضل من الأمور الّتي نرجوها مع عدم الإصرار على ما قد يضرّنا في حال الإصرار.

تذكير: ﴿... وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.[1]

---

١. البقرة: ٢١٦.

وعليه، فإنّه من الضّروري أن نتوكّل على الله فيما هو من شأنه، وأن نعمل من جهتنا بالطّريقة الأكثر نفعاً فيما هو من شأننا. ويمكن لله أن يغير بمشيئته نتائج أعمالنا ومجرى قدرنا. ففي ذلك تقوم العلاقة بين الجبر والتّفويض. فلنعمل بقدر جهدنا التوفيق من الله، وعندها فإن الشّر لا يطالنا بإذن الله.

حقوق المسلم وواجباته تجاه محيطه البشري والطّبيعي

لقد أكرم الله الإنسان بان جعله مسؤولاً من خلال ما وهبه من حقوق وواجبات تجاه محيطه البشري والطّبيعي.

ولقد ترك لنا رسول الله ﷺ وصية مفادها: بأنّه ملعون ذلك الّذي يلقي التّبعات كلّها على الآخرين.

إنّه ذلك الشّخص الّذي لا يفعل شيئاً ممّا يريد للآخرين أن يفعلوه له، والّذي لا يعرف غير حقوقه دون أن يلتفت إلى واجباته.

إنّ للأب حقوقاً وواجبات تجاه ولده، والعكس بالعكس. فعلى سبيل المثال، من حق الوالد أن يطاع بشكل كامل من قبل ولده وأن يحظى منه على الاحترام التّام. وفي الوقت ذاته، عليه أن يربّي ولده وأن يحوطه بأفضل ما يمكن من الرّعاية الصّحية وغيرها بحسب ما تسمح به إمكانيّاته.

والشيء نفسه يقال عن العلاقة بين الزوّج وزوجته، والمعلم وتلميذه، والجار وجاره.

وفي هذا المجال، يقول أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

«اتقوا الله في عباده وبلاده فإنّكم مسؤولون عن البقاع والبهائم. أطيعوا الله ولا تعصوه، وإذا رأيتم الخير فخذوا به وإذا رأيتم الشّر فأعرضوا عنه».[١]

---

١. الواقع أن من الأولى إطلاق صفة الإرهابيين على هذه القوى العظمى الّتي تسحق النّاس العزل دون أن تتعرض لأي عقاب.

ويقول الله تعالى في محكم كتابه:

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾.[١]

إنّ كلّ إنسان يحتاج إلى الآخر سواء كان دوره في الحياة كبيراً أم صغيراً. قال عز وجل:

﴿... وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.[٢]

هنالك أناس يظنّون أنّهم أفضل وأعلى مقاماً من الآخرين. وهؤلاء لا يعتقدون فقط بأنّهم في حلّ من مساعدة الآخرين، بل يعتبرون أن بإمكانهم إلاّ يحتاجوا إليهم. وهم إذ يفعلون ذلك، ينسون أنّ الإسلام هو ـ بامتياز ـ دين التّضامن، والدّين الّذي يوصي بالتّشاور في كلّ شيء، وخصوصاً في مجال العمل الاجتماعي. وبهذا المعنى، قال عزّ من قائل: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾.[٣]

ينبغي أنّ نعلم أن الرّسول ﷺ كانت له غاية أُخرى وواجب من وراء قاعدة الشورى، فقد كان عليه أن يكون الأسوة الحسنة وأن يربي الناس على احترام التّشاور والعمل به كسنّة من سننه.

وممّا يقوله الإمام عليّ عليه السلام في نهج البلاغة بهذا الشّأن:

«حقوق الله على العباد النصيحة بمبلغ جهدهم والتّعاون على إقامة الحق بينهم».

وأخيراً، كان أحد كبار علماء المسلمين في إفريقيا يقول:

«من الممكن إلاّ نكون قد فعلنا شيئاً بعد، ولكن ذلك لا يعني أنّنا بلا فائدة»، بمعنى أنّ علينا ألا نعتقد مطلقاً بأنّنا في غنى حتّى عن أصغر الأشياء وأدناها.

---

١. الأعراف: ١٠.

٢. المائدة: ٢.

٣. الشورى: ٣٨.

قطع يد السارق

هنالك من يلجأ ـ في العديد من بلدان المسلمين الّتي تطبّق فيه الشّريعة ـ إلى قطع يد السّارق، وذلك ظنّاً منهم بأنّهم يطبقون قول الله تعالى:

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.[1]

غير أنّ كلمة «اقطعوا» الواردة في الآية لا تعني القطع بالشّكل الّذي تتمّ فيه عملية القطع.

فمدرسة أهل البيت عليهم السلام تقدّم فهماً لهذا الأمر مختلفاً لهذا التّصرف الهمجي المجاني وغير المستند إلى دليل، فوق ذلك، إلى أيّ أساس. فالأئمة عليهم السلام يقولون بما تعلّموه وأخذوه عن النبي ﷺ في هذا الشّأن. أي أنّهم يقولون يقطع أصابع اليد اليمنى باستثناء الإبهام، في المرة الأولى، ثمّ أصابع القدم اليسرى في المرة الثّانية. وإذا عاد السّارق إلى السّرقة ثالث مرة يسجن ثمّ يقتل في الرّابعة. وهذا الفهم هو في الواقع، أكثر منطقيّة وإنسانيّة؛ وذلك لأسباب عديدة:

بعد قطع اليد اليمنى، يصبح المقطوع إنساناً معاقاً، أي عالة على المجتمع حيث يتوجب على كلّ فرد أن يكون منتجاً لكي لا يتحوّل إلى عائق أمام حركة الجماعة.

مثل هذا الإنسان يصبح من الصّعب استصلاحه، بينما الإسلام هو دين الإصلاح.

يقول الله عزّ وجل بأنّ المساجد السّبعة في الصّلاة هي ملك للشّخص وحده، ولا يجوز لأحد قطعها بغير حق:

---

١. المائدة: ٣٨.

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾.[١]

هنالك من يفسّر المساجد بأنّها المساجد الّتي ترفع فيها الصّلاة، علماً بأنّها أيضاً تلك الأجزاء الشّريفة من الجسم الّتي تضطلع بعملية السّجود.

ثم أنّ الله عفوّ يحب العفو، وعليه ما هي الفائدة الّتي يتحصّل عليها السّارق التّائب بعد أن يكون قد فقد يده؟

قبل أن تقطع رؤوس الأصابع لا بدّ من تحقق الشّروط التّالية:

يجب أن يكون السّارق راشداً،

يجب أن يكون مدركاً،

يجب أن يكون قد سرق مختاراً وعامداً،

يجب إلاّ يكون محتاجاً،

لا بدّ من أن تكون السّرقة قد حصلت عبر مخالفة ما؛ لأنّ السّارق لا يجب أن يكون عرضة لإغراء الشّيء المسروق، أو لا بدّ من أن يكون ذلك الشّيء قد نقل من موضعه الأصلي من قبل السّارق أو بمساعدة من شريك له،

لا يجب أن يكون السّارق والد الشّخص الّذي سرق متاعه،

لا بدّ للسّرقة من أن تتمّ على غفلة من صاحب المتاع المسروق أو من غيره من النّاس.

كلمة «قطع» وردت أكثر من مرّة في القرآن بمعنى غير معنى القطع المفيد للبتر. فامرأة العزيز عندما وقعت في غرام يوسف‌ؑ وهو المعروف بجماله غير العادي، أولمت لصواحبها، لتثبت ضعفهن وعجزهن عن ضبط أنفسهن، ولتبين أنّها لم تكن غير ضحيّة شأن كثير من النساء اللواتي تجدن أنفسهن في مثل هذا الموقف. وفي هذا الشّأن يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ

---

١. الجن: ١٨.

بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيهِنَّ فَلَمَّا رَأَينَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيدِيهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾.[١]

هل يمكننا القول بأنّ هاتيك النسوة قطعن أيديهن من المرافق؟

مهما يكن من أمر، لم يحدث في زمن النّبيّﷺ أن قطعت يد سارق عقاباً له على سرقة. ربما لأنّ النظام الاقتصادي الإجتماعي لم يكن يسمح بوقوع السّرقة.

للأسف أنّ الخلط في فهم المعاني لا يزال موجوداً في أيامنا، كما كان موجوداً في الماضي الّذي ورثنا عنه الكثير من الانحرافات، وهذا الخلط هو وراء الاعتقاد الخاطئ بأنّ الشّريعة تقول بقطع يد السّارق.

إنّ هذا التّقليد يطبق خطأً في العديد من البلدان المسمّاة إسلاميّة وغيرها مع كلّ ما يطرحه ذلك من مشكلات.

هذه المشكلات تنجم بالتأكيد عن واقع يتمثّل في رغبة النّاس في أنّ يطبّقوا، باسم الله، قراراً غير صادر عن الله. وفوق ذلك، فإنّ تطبيق مثل ذلك القانون يفتقر إلى المنطق والعدل في ظلّ النموّ الهائل لوسائل الاتّصال والمواصلات، والقواعد الجديدة للاقتصاد العالمي، واللامساواة في تقاسم الثّروات بين أبناء الأُمّة الواحدة. ولا بدّ لنا من القول بشكل واضح: بأنّ ذلك لا يعني أن تطبيق الشّريعة بتمامها لا ينسجم مع عصرنا أو مع محيطنا الحديث. لا بدّ، من التّوصل إلى تحديد وتطبيق جميع الشّروط الّتي ينبغي لها أن تسهم في المزيد من إرساء العدالة الاجتماعية والرّفاه، وبالتّالي في سبيل تأمين التّنمية الإنسانيّة للجماعات البشريّة المعنيّة.

---

١. يوسف: ٣١.

إنّ الإقبال الكبير على التوجّه الرّوحي خصوصاً من قبل الشبيبة، مقارنة مع تفاقم فقدان التّوجه نحو الفضائل الأخلاقية الأساسيّة، يحملنا على التّمسك بالأمل في أن الحق سينتصر يوماً ما على الظلمات. وفي ذلك اليوم ستزدهر من الدّول الإسلاميّة، وسيتم تطبيق الإسلام بوجهه الصّحيح.

٦
تداعيات ورهانات حالية

تداعيات حالية

إنّ التّداعيات السّلبية لمسألة الخلافة والّتي كرّست فصل السّلطتين الزّمنية والرّوحية، مع ما أدخله ذلك من تشويهات على تعاليم النّبيّﷺ الأصيلة، تلحظ اليوم في كلّ مكان من العالم تقريباً من خلال تصرّفات المسلمين الّذين لم يعرفوا كيفية تطبيق فرائض الإسلام الأصيل.

ويتجلّى ذلك على مستويين:

١. على مستوى الأمة: عبر الكثير من أشكال الخلط والأخطاء والبدع الّتي لحقت بالعبادات والمعتقدات والمبادئ، والعلاقات السّيئة بين المسلمين الّذين ينتمون إلى الجماعة نفسها، أو بين الجماعات المختلفة، أو بينها وبين غير المسلمين.

٢. على مستوى العالم: عبر العلاقات الباردة (البعيدة عن التّضامن والتّآزر) بين البلدان الإسلامية، وحالة الحرب الكامنة بينها وبين إسرائيل، والخضوع الكامل لقوّة وثراء كلّ من الولايات المتحدة وأوروبا، وكلّ ذلك في ظلّ غياب صارخ للقيادة الإسلامية على مستوى العالم. ومن جهة أُخرى،

هنالك الجماعات المسماة بـ«الإرهابية»[١]، بتقديسها المستجد والخاطئ للشّهادة كيفما اتّفق واستعدادها السّطحي لشن الحرب المقدّسة (الجهاد) ضد عدوّ غالباً ما يتمثل بجماعات من البشر الأبرياء.

يضاف إلى ذلك انخفاض النوعيّة لصالح الكميّة. فالمسلمون يتكاثرون بشكل متزايد، ولكن طيبتهم تتضاءل بشكل متزايد. وقد كان الإمام عليّ عليه السلام يركّز على ضرورة وأهميّة أن تكتسب الأمّة مزيداً من النوعيّة لا من الكميّة. ولا شكّ بأنّ خطابه في هذا الشّأن كان خطاباً سابقاً لزمانه.

إنّ الأمثلة عن التّطبيق الخاطئ للتّعاليم الإسلامية كثيرة في التأريخ، ولكن أيضاً في حاضرنا، حيث نجد الكثير من النماذج غير الصّالحة في معالجة قضايا المرأة وإدارة الثّروات والظّلامية والتّعصب والدّكتاتورية والاستبداد وأعمال القتل الشّامل للسّكان الأبرياء. والأكيد أن بعض الظّلمة، كصدام حسين، قد لاقوا مصيرهم على أيدي ظلمة من نوع آخر، هم المحافظون الجدد الأميركيون. وإذا كنّا ندين بكلّ قوة هذا الظّلم الأميركي الفاحش والشّيطاني، فإنّ ذلك لا يجب أن ينسينا أخطاء القادة في الكثير من بلدان المسلمين.

ومن جهتها، فإنّ الأعمال الإرهابية المتزايدة تجد تربتها الصّالحة في المظالم الّتي ترتكبها الدّول المهيمنة، ولكن أيضاً في التّقديس الأعمى للشّهادة، كيفما اتّفق، في العديد من مناطق العالم الإسلامي.

والنتيجة أنّ الضّلال الغربي في السّعي المحموم من أجل الحرية واللذة والتّمتع بالحياة الدّنيا، يقابله تشبث الإرهابيين بالشّهادة غير المدروسة وبنعيم الآخرة. الفردوس الأرضي الّذي ينادي به هؤلاء تقابله جنة الشّهداء الّتي

---

١. الله وحده يعلم ما إذا كانت هذه الحروب مقدسة أم لا، لأن بواعثها الحقيقية تظل غير معروفة.

يحلم بها أولئك. هؤلاء يتمسّكون بالحياة ويدافعون عنها بكلّ ما يملكون من قوّة، بينما يعرض عنها أولئك طلباً للخلود. أما المعادون للإرهاب، وهم إرهابيّون أكثر ممّا كانوا في أيّ وقت مضى، فقد أخذوا على أنفسهم ملاحقة الإرهابيين وتصفيتهم في العالم كلّه، في حين لم يعدّ الانتحاريّون يقفون عند حدٍّ، لا في أساليبهم ولا في من يستهدفون بضرباتهم.

وضع بات يبدو في غاية التّعقيد والتّشابك. ولكن إيجاد حلّ وسط أمر لا غنى عنه.

على هؤلاء أنّ يفهموا أن للحريّة حدوداً، وأنّ القوّة والثّروة لا يمكنهما أن يحققا لهم كلّ شيء؛ لأنّهما لا بدّ أن تطعما بالحق وبالعدل لكي تؤمّنا صلاحهما. أديانهم تنهاهم عن الشّر، فإذا ما رجعوا إليها وحلّلوا الأسس الّتي ترتكز إليها القيم الدّاعية إلى السّلام، فإنّهم سينتهون إلى الرّضوخ لتلك القيم.

وعلى أولئك أن يفهموا، أن التّضحية بحياة إنسان عبر الانتحار أو القتل، هي أمر لاينبغي اللجوء إليه طالما أنّ هنالك وسائل أُخرى لحلِّ المشكلات. والحقيقة أنّ هذه الوسائل موجودة وأنّ السباق مع الزّمن والمشاعر العابرة لاينبغي أن يحولا دون التّوصل إلى النهاية السعيدة. فالحرب المقدسة ليست غير خيار أخير لم يلجأ إليه النّبيّ ﷺ إلاّ كوسيلة للدّفاع.

ومن هنا، فإننا نادراً ما نرى أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام يقتلون أنفسهم في عمليات انتحارية لا لشيء إلاّ لعشق الشّهادة. فهم على العكس من ذلك، يفاوضون على الدّوام من أجل السّلام. وإذا ما حدث لبعضهم أنّ ثار على الوضع القائم، فإنّهم يدعونه إلى الانضباط، وغالباً ما تؤول الأمور إلى خير.

نكتفي بهذا القدر من تصوير مصاعب العالم الإسلامي النّاجمة عن مشكلة الخلافة لنتجنب الحديث عن غيرها من المصاعب الّتي لا تزال في طور النمو.

رهانات حاليّة

المقصود بالرّهان، على ما تقوله بعض القواميس؛ هو ما يمكن أن نربحه أو أن نخسره في منافسة معيّنة أو في صراع معيّن. لكن ما نريده هنا، أنّ الرّهان هو: ما يمكن أن نربحه أو أن نخسره في هذا التّطور الصّاخب الّذي يعيشه المسلمون نتيجة شكل الحكم وطريقته الّذي تمت به الخلافة بعد الرّسول ﷺ وما نجم عن ذلك من أحداث.

نحن الآن في بداية ألفية جديدة، والإسلام يجد نفسه مجدداً أمام أزمة جديدة هي أزمة النمو، وليست المشكلة هذه المرّة، مشكلة الخلافة مع كلّ ما نجم من عواقب وخيمة عن عدم تنفيذ الوصية، بل هي مشكلة التّوسع الهائل وغير المنضبط. فالمسلمون اليوم ـ وهذا أمر معروف ـ لا يجتمعون تحت سلطة هيئة دينية، أو مجموعة من رجال الدّين. صحيح أنّنا لا نجد كنيسة مسيحيّة موحّدة بل هي عدّة كنائس متفرقة، كاثوليكية وأرتوذكسية وغيرها من الكنائس البروتستانتية، أو الّتي خضعت لعمليات إصلاح. وهنالك واقع آخر يجعل المقارنة صعبة مع المسيحيين، وهذا الواقع يتمثّل في عملية تنصيب القادة. فهنالك تطوّع يتبعه الخضوع للتّعيين عند المسيحيين، والتّعليم الّذي يتبعه التّطوع والتّعيين، خصوصاً من قبل الأُمة (كما في حالة المرجع)، أو من قبل الله (كما في حالة الإمام)، عند المسلمين.

إنّ النمو السّكاني عندالمسلمين يتزايد بوتائر كبيرة وسريعة لأسباب عديدة منها:

إنّ معظم البلدان الإسلامية تنتمي إلى عالم الفقراء، الّذي يتميز بنسب النّمو السّكاني الأكثر ارتفاعاً. ثمّ إنّ الإسلام هو ـ فيما يبدو ـ الدّين الّذي يسبق الأديان الأُخرى في أعداد من يتخلّون عن أديانهم لاعتناقه. ويبدو أنّ ذلك عائد لأسباب ترتبط بما يثيره الإسلام من أمل، وبما يتمتّع به من

تماسك، إضافة إلى العدل والجاذبية الفطرية الّتي تشتمل عليها رسالة الإسلام، وإلى انسجام الفكر الإسلامي مع جميع العصور، وتمكّنه من وضع الحلول لجميع منشاكل الإنسان.

من أجل النّوعيّة على حساب الكميّة: وللأسف، فإنّ سرعة انتشار الإسلام تقترن بتكاثر الفرق فيه، وبتعزز المواقف المذهبية، وبتجذر الاختلافات.

وباختصار، فإنّ الكمية تطغى على النوعيّة.

وإزاء هذا النمو السّريع الّذي نشهده اليوم، تحتاج الأُمّة الإسلامية إلى الالتئام والاتحاد حول حدّ أدنى من النقاط المشتركة غير القابلة للنقاش. ليس فقط لأنّ هذا الحدّ الأدنى موجود فعلاً، ولأنّه يسمح لنا:

ـ بأن نحيي الإسلام الأصيل بكلّ ما يحمله من فوائد في مصلحة البيئة والبشر عبر تصحيح التشوهات وغيرها من الانحرافات.

ـ بأن نتصرّف بشكل منسجم مع الإسلام، وبالتّالي أن نؤمّن تقسيماً أفضل للثّروات بين البلدان الإسلامية، عبر التّضامن الفاعل في داخل هذه البلدان وخارجها (مع البلدان الأُخرى، أقلّه من خلال المساعدات الثّنائية أو الدّوليّة). ثمّ إنّ ذلك يمثلّ الحلّ الوحيد لتقليص الفوارق وما يصاحب ذلك على مستوى الحد من الجريمة ومن الهجرة الواسعة النطاق للسّكان.

ـ بأن نتكلّم بصوت واحد (توحيد الأصوات، وبالتّالي، تشكيل جماعة ضغط دوليّة قويّة) حول عدد كبير من المشكلات الّتي تنتظر الحلول.

كلّ ذلك ليس طوباوياً وإن كان صعب التّحقيق؛ بالنظر إلى المسافة الكبيرة الّتي تفصلنا عن هذه الأهداف. ولكن ينبغي أنّ نعلم أن ذلك يتمّ بصورة تدريجيّة من خلال دوائر موحّدة المركز. وليس المهم ما يتطلبه ذلك من وقت، فالطّريق إلى الله مفتوح أمام الجميع، وليس التّأخر في البدء بعمل الخير حجة لعدم البدء.

خلاصة

﴿... وَاللَّهُ يعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.[١]

غير أنّ الله تعالى يقول لنا أيضاً:

﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يتَّقُونَ﴾.[٢]

وأيضاً

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيكَ آياتٍ بَينَاتٍ وَمَا يكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾.[٣]

إنّنا نورد هاتين الآيتين اللتين اخترناهما كمثال بشكل شبه عشوائي، من مجموعتين ترد فيهما على التوالي كلمتا «آيات» و «آية» ٧٠ مرة و٤٩ مرة، أي بما مجموعه ١١٩ مرة! أي أنّ الله عزّ وجل يريدنا أن نلحظ آياته وأن نسترشد بها في كلّ لحظة لنتهدي إلى سبيله عبر التّفكير في تلك الآيات.

وهنا نجد أنفسنا مرة أُخرى إزاء هذه الثّنائية الدّائمة الحضور في القرآن الكريم، بين ما ينتمي حصريّاً إلى المجال الإلهي، وبين ما ينتمي إلى مجالنا ويمكننا التّأثير فيه وتغييره باتّجاه الخير أو الشّر. وهو يأمرنا، مع ذلك، وفي جميع الحالات، بفعل الخير واجتناب الشّر من خلال آياته البينات «لقوم يعقلون» (أي يؤمنون ويصدقون).

ومع أنّ الله وحده بكلّ شيء عليم، فإنّه يحضّنا على فهم رسالته من خلال ما يبثه لنا من آيات في كلّ ما يحيط بنا.

لذا، فإنّنا ننهي هذا العمل بدعوة القاريء إلى التّفكير ببعض المسائل الّتي نجازف بوصفها بأنّها من آيات الله:

---

١. البقرة: ٢١٦.

٢. يونس: ٦.

٣. البقرة: ٩٩.

لو قلنا بأنّ صحابة النّبيّ ﷺ، وبعضهم قاتل البعض الآخر (في الجمل وصفين والنهروان) هم جميعاً صالحون ومن أهل الجنة، فكيف يمكننا والحالة تلك أن نفسّر، فيما يتعلق بهم، قوله تعالى:

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾.[1]

فإذا كانوا قد أخطؤوا، خصوصاً وأنّهم ليسوا جميعاً بالضّرورة من الأولياء، وأنّ بعضهم اعترف بأخطائه قبل موته، ألا يحقّ لنا عندها ببساطة أن نعترف دون تحيّز بأنّهم ارتكبوا أخطاءً، وبأنّ أخطاءهم سحبت ذيولها على الأُمّة، وذلك لكي نستخلص من ذلك فوائد تعيننا على الاجتماع حول الحقائق الأساسية والمتماسكة الّتي يقدّمها الإسلام الأصيل؟

كيف يمكننا أن نفهم السّر في أنّ أيّاً من أحفاد الرّسول ﷺ من آل البيت عليهم السلام لم يرد اسمه في الرّواية عن النّبيّ ﷺ في الكثير من الأحاديث المسلسلة والمعنعنة؟ أمن المعقول أن يكونوا قد نسوا الإمام علياً عليه السلام كمصدر من مصادرهم، وهو الّذي يقول النبي ﷺ عن نفسه وعنه:

«أنا مدينة العلم وعلي بابها»؟[2]

ألم يقل علي عليه السلام الكثيرالكثير عن الأوقات الطّويلة الّتي أمضاها بصحبة النبي ﷺ، حيث كان يرى أنوار الوحي والرّسالة، ويستنشق عبق الإلهام الإلهي؟

١. أمن الممكن إلاّ يكونوا قد انتبهوا إلى وجود أفراد من أسرة النّبيّ ﷺ كالحسن، والحسين، وعلي بن الحسين ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد (الذي درس على يديه مشاهير أئمة المذاهب كأبي حنيفة ومالك اللذين كثرت عنهما الرّواية) وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى، ومحمد بن علي

---

١. النساء: ٩٣.

٢. *المستدرك على الصحيحين*، النيسابوري: ١٢٦/٣، قال في ذيلة: (هذا حديث صحيح الاسناد.)

الجواد، وعلي بن محمد الهادي، والحسن بن علي الزكي العسكري والحجة ابن الحسن صاحب الأمر (صلوات الله عليهم أجمعين)؟

٢. أمن الممكن ألاّ يكونوا قد انتبهوا إلى وجود الحسن المثنى بن الحسن، وزيد بن علي بن الحسين، ويحيى بن زيد، ومحمد النفس الزّكية، وإدريس بن عبد الله الكامل، وإبراهيم بن عبد الله، والحسين بن علي شهيد فخ، ومحمد بن إبراهيم وغيرهم، وغيرهم، وكلّهم قمم من قمم الإسلام ومن أحفاد رسول اللهﷺ؟

وأخيراً، أو لم يدن هؤلاء المتجاهلون أنفسهم وأنفس من كانوا يأتمرون بأوامرهم بما أظهروه من التّعصب مختارين أو مكرهين؟

٣. وهنالك آية أُخرى يذكرنا بها الله عز وجل:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يبَيِنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.[١]

خلافاتنا ليست إذن قدراً لازباً، على ما يصوّره البعض، حتى ولو كان إنقاذ البشرية هو دور المهديّؑ. علينا بالتّأكيد إلاّ نكف عن الحراك وتطبيق أحكام الشريعة والاكتفاء بالقول بأنّ المهديّؑ سيظهر، وهو الذي من سيقدّم حلولاً للمشاكل وينقذ العالم، خصوصاً، وأنّنا بلغنا نقطة اللاعودة في خلافاتنا وانحرافاتنا. علينا، بالأحرى أن نتدبر قوله تعالى:

﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يخْرُصُونَ﴾.[٢]

ولنذكر في النهاية كلام الإمام عليّؑ حيث يحدثنا عن طهارة الرّسالة

---

١. آل عمران: ١٠٣.

٢. الأنعام: ١١٦.

الّتي حفظها أهل البيت عليهم السلام مع ما استلزمه ذلك من تصميم ومثابرة:

«واعلموا أنكم لن تعرفوا الرّشد حتّى تعرفوا الّذي تركه، ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتّى تعرفوا الّذي نقضه، ولن تمسّكوا به حتّى تعرفوا الّذي نبذه. فالتمسوا ذلك من عند أهله، فإنّهم عيش العلم وموت الجهل. هم الّذين يخبركم حكمهم عن علمهم، وصمتهم عن منطقهم، وظاهرهم عن باطنهم. لايخالفون الدين ولا يختلفون فيه، فهو بينهم شاهد صادق وصامت ناطق».[١]

دعاء

ربّنا تقبّل منّا إنّك أنت السّميع العليم. وتب علينا إنّك أنت التّواب الرّحيم. اللهم ارزقنا اليقين، وثبّت أقدامنا على الصّراط المستقيم. ربنا اغفر لنا ذنوبنا وكفّر عن سيئاتنا، وهب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً.

اللهم اغفر لنا ولذوينا ومعلّمينا، ولمن أحسن إلينا، ولمن أساء إلينا، ولإخواننا الذين سبقونا في الإيمان.

ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الّذين من قبلنا، ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصّلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

---

١. *نهج البلاغة*: الخطبة١٤٧.

سنة الطبع ١٣٩٢

فارسی

١. اصول و روش های آموزش مفاهیم دینی به نوجوانان / حمید الله رضایی
٢. انسان شناسی فرهنگی با رویکرد تبلیغ بین الملل / محمد رضا آقایی
٣. آشنایی با جوامع حدیثی شیعه و اهل سنت / علی نصیری / چ٣
٤. آشنایی با صحیفه سجادیه / محمدعلی مجد فقیهی / چ٣
٥. آشنایی با علم رجال / سید محمد نجفی یزدی
٦. آموزش ترجمه و مفاهیم قرآن ج١/علی بمان ملک احمدی
٧. آموزش ترجمه و مفاهیم قرآن ج٢/علی بمان ملک احمدی
٨. آموزش ترجمه و مفاهیم قرآن ج٣/علی بمان ملک احمدی
٩. آموزش ترجمه و مفاهیم قرآن ج٤/علی بمان ملک احمدی
١٠. آموزش ترجمه و مفاهیم قرآن ج٥/علی بمان ملک احمدی
١١. آموزش ترجمه و مفاهیم قرآن ج٦/علی بمان ملک احمدی
١٢. آموزش فارسی به فارسی (کتاب کار ٦)/اصغر فردی، احمد زهرایی، جعفر مؤمنی / چ٤
١٣. آموزش فارسی به فارسی (کتاب کار ٧)/اصغر فردی، احمد زهرایی، جعفر مؤمنی / چ٤
١٤. آموزش فارسی به فارسی (مقدمه) (١/١)/اصغر فردی، احمد زهرایی، محمد ناطق / چ٢
١٥. آموزش فارسی به فارسی کتاب چهارم / اصغر فردی، احمد زهرایی / چ٣
١٦. آموزه های بنیادین علم اخلاق ج١ /محمد فتحعلی خانی / چ٣
١٧. برداشت های مختلف از تقریب مذاهب اسلامی / محمد طاهر اقبالی
١٨. بررسی تاریخ نگری محمد عابد الجابری / سید محمد علی نوری
١٩. بررسی تطبیقی عالم خیال از دیدگاه ابن سینا، شیخ اشراق و ملاصدرا / محمد خان کاظمی
٢٠. پرتو پژوهش ج٣/مجتمع آموزش عالی فقه
٢١. تاریخ تشکیلات در اسلام / محمد رضا شهیدی پاک
٢٢. تاریخ فرهنگ و تمدن اسلامی / محمدرضا کاشفی / چ٤
٢٣. تأثیر نفس پیامبر اکرم(ص) در عالم وجود (با رویکرد به مسئله توسل)/معصومه گلی گلی
٢٤. تجسم اعمال از دیدگاه علامه طباطبایی و رشید رضا در المیزان و المنار / صدیقه فقیهی
٢٥. تحلیل ادبی نهج البلاغه و صحیفه سجادیه / محمد عشایری منفرد
٢٦. جایگاه عرف در استنباط / تقوی الکنانی
٢٧. جغرافیای معرفتی جهان اسلام (مجموعه مقالات شانزدهمین جشنواره بین المللی شیخ طوسی)/مجموعه مؤلفان
٢٨. چکیده مقالات همایش ملی اخلاق و اقتصاد اسلامی / انجمن اقتصاد اسلامی حوزه علمیه
٢٩. چلچراغ نماز جمعه (چهل حدیث نماز جمعه)/محمد عارف حیدر قزلباش
٣٠. چهار مقاله و مرزبان نامه / محمد رضا یوسفی، رقیه ابراهیمی شهرآباد
٣١. حاکمیت و حکمرانی در نهج البلاغه / محمد مهدی باباپور گل افشانی
٣٢. حدیث و علوم جدید (منطق فهم احادیث علمی)/محمد علی رضایی اصفهانی
٣٣. درآمدی به شیعه شناسی / علی ربانی گلپایگانی / چ٤
٣٤. درس نامه تاریخ تشیع ١/سید لطف الله جلالی
٣٥. درس نامه حقوق بشر از دیدگاه اسلام / عبد الحکیم سلیمی
٣٦. درسنامه تاریخ تحلیلی اهل بیت ﷺ/مجید حیدری نیک
٣٧. درسنامه روش آموزش و مهارت های کلاس داری قرآن کریم / رحمت عابدی / چ٣
٣٨. درسنامه مبانی و قواعد تفسیر (خلاصه منطق تفسیر قرآن ١)/محمد علی رضایی اصفهانی
٣٩. درسنامه مفردات قرآن مجید / غلامعلی همایی / چ٣
٤٠. درسنامه مناسک حج / محمد حسین فلاح زاده
٤١. راهکارهای برون رفت از معاملات ربوی / غلام مرتضی انصاری
٤٢. رهیافتی بر علم سیاست و جنبش های اسلامی معاصر / عبدالوهاب فراتی / چ٢
٤٣. ساز و کار بانکداری اسلامی / محمد جواد توکلی
٤٤. شاخص اسراف و معیارهای آن / سید محمد کاظم رجایی، مهدی خطیبی
٤٥. شرح و بررسی صفات فعلی حق در زیارت عاشورا / سیده زهرا احمدی
٤٦. شرح و ترجمه کتاب حلقه ثالثه حضرت آیت ا... شهید سید محمدباقر صدر، ج١/احمد مرادخانی
٤٧. ضرورت حکومت اسلامی در عصر غیبت / بسم الله حسنی
٤٨. علوم قرآن ٢ (اعجاز قرآن در علوم طبیعی و انسانی)/محمد علی رضایی اصفهانی
٤٩. فرق و مذاهب کلامی / علی ربانی گلپایگانی / چ٦
٥٠. فقه القرآن آیات الاحکام تطبیقی / محمد فاکر میبدی / چ٣
٥١. فلسفه اخلاق / محمد فتحعلی خانی / چ٢
٥٢. فلسفه تاریخ / جواد سلیمانی
٥٣. مادران چهارده معصوم ﷺ/حیدر مظفری ورسی / چ٢
٥٤. مبانی فرجام شناسی تاریخ در قرآن / قنبر علی صمدی
٥٥. مسایل حقوقی در سازمان / محسن منطقی
٥٦. مستشرقان و پیامبر اعظم / حسین عبدالمحمدی
٥٧. مسئله وحی و پاسخ به شبهات آن/حسین علوی مهر
٥٨. منشور جمهوری اسلامی ایران/مجموعه مؤلفان
٥٩. منطق تفسیر قرآن ١ (مبانی و قواعد تفسیر قرآن)/محمد علی رضایی اصفهانی/چ٣
٦٠. منطق تفسیر قرآن ٢ (روش ها و گرایش های تفسیری قرآن)/محمد علی رضایی اصفهانی/چ٦
٦١. منطق تفسیر قرآن ٣ (روش تحقیق در تفسیر و علوم قرآن)/محمد علی رضایی اصفهانی/چ٢
٦٢. منطق تفسیر قرآن ٤ (مباحث جدید دانش تفسیر)/محمد علی رضایی اصفهانی
٦٣. منطق تفسیر قرآن ٥ (قرآن و علوم طبیعی و انسانی)/محمد علی رضایی اصفهانی
٦٤. نگارش پیشرفته از پاراگراف تا مقاله/حمید بصیریان
٦٥. نوع دوستی از دیدگاه اسلام/عین الله نوروزی
٦٦. نهضت قرآنی وظیفه همگانی/علیرضا اعرافی
٦٧. واژه شناسی قرآن مجید/شهید غلامعلی همایی/چ٣

عربی

٦٨. الآداب الاسلامية، ج ١ /محمد عندليب/كمال السيد/ج ٤
٦٩. الآداب الاسلامية، ج ٢،/محمد عندليب/كمال السيد/ج ٤
٧٠. ادوار الاجتهاد عند الشيعة الامامية/عدنان فرحان تنها/ج ٢
٧١. الاحوال الشخصية (النكاح)/السيد محمد النجفي اليزدي/ج ٢
٧٢. الاسرة فی السيرة العملية للنبي و اهل البيت ﷺ/محمد جمعه شيخ زاده/كمال الحزباوي
٧٣. الامامة عند الحلي و القوشجي بين النص و الاختيار/عبير جميل شرارة
٧٤. البرنامج التدريسي للحلقة الثانية، ج١/محمود العيداني
٧٥. البرنامج التدريسي للحلقة الثانية، ج٢/محمود العيداني
٧٦. السنن الالهية الاجتماعية فی القرآن/احمد مراد خاني الطهراني/السيد عبد الامير الوردي، السيد عبد الكريم الحيدري
٧٧. المدخل الى تاريخ التفسير و المفسرين (آشنایی با تاریخ تفسیر و مفسران)/حسين علوی مهر/جعفر الخزاعي
٧٨. المطالعة و النصوص العربية «لغير الناطقين بها»/السيد عبد الهادي الشريفي
٧٩. الهجرة و المهاجرون فی القرآن الكريم/مريم علي حسن الهاشمي
٨٠. الهداية في النحو/ تصحيح و تعليق: حسين شير افكن/ج ٢٢
٨١. الوجيز في تاريخ الاسلام (الجزء الاول)/سيد منذر حكيم/ تلخيص: محمود السيف
٨٢. الوجيز في تاريخ الاسلام (الجزء الثالث)/سيد منذر حكيم/ تلخيص: محمود السيف
٨٣. الوجيز في تاريخ الاسلام (الجزء الثاني)/سيد منذر حكيم/ تلخيص: محمود السيف
٨٤. الوجيز في تاريخ الاسلام (الجزء الرابع)/سيد منذر حكيم/ تلخيص: محمود السيف
٨٥. الوقف فی الشريعة الاسلامية، دراسة فقهية مقارنة على المذاهب الخمسة/السيد عادل الموسوي الخرسان
٨٦. بداية الاصول/سيد رضا پيمبرپور
٨٧. تاريخ الثقافة و الحضارة الاسلامية/محمد رضا كاشفي /انور الرصافي
٨٨. تخطيط الأسرة و تنظيمها/محمد حسين خليق
٨٩. تغير قيمة العملات الورقية دراسة مقارنة بين الفقه الامامي و المذاهب الأربعة/رياض عبد الصمد الداغر
٩٠. جوهرة الخلقة (في معرفة العقيدة الحقة)/محمد مهدى حائرى پور، مهدى يوسفيان، محمد امين بالادستيان/رعد كاطع عبد
٩١. دراسات تمهيدية فی الفقه الامامية/السيد محمد النجفي اليزدي
٩٢. دروس تمهيدية في اصول العقائد/صادق الساعدي/ج٦
٩٣. دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي ج١؛ العبادات/الشيخ باقر الايرواني/ج ١٠
٩٤. دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي ج٢؛ عقود ١/الشيخ باقر الايرواني/ج٨
٩٥. دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي ج٣؛ عقود ٢ و الايقاعات/الشيخ باقر الايرواني/ج٨
٩٦. دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي ج٤؛ الاحكام/الشيخ باقر الايرواني/ج٨
٩٧. دروس في البلاغة/شيخ معين دقيق العاملي/ج٧
٩٨. دروس في الشيعة و التشيع/علي الرباني الگلپايگاني/انور الرصافي/ج٣
٩٩. دروس في علوم القرآن/نذير الحسني
١٠٠. ضوابط الرضاع، الجزء الاول/السيد محمد باقر الداماد، تصحيح: سيد مجتبى ميرداماد
١٠١. ضوابط الرضاع، الجزء الثاني/السيد محمد باقر الداماد، تصحيح: سيد مجتبى ميرداماد
١٠٢. كتاب التطبيق ١/شاكر محمود افضلي، ميثم الربيعي/ج ٢
١٠٣. كتاب التطبيق ٢/شاكر محمود افضلي، ميثم الربيعي
١٠٤. كتاب التطبيق ٣/شاكر محمود افضلي، ميثم الربيعي
١٠٥. كتاب اللغة العربية ٢/شاكر محمود افضلي، ميثم الربيعي
١٠٦. كتاب اللغة العربية ٣/شاكر محمود افضلي، ميثم الربيعي

١٠٧. من جهاد الى جهاد/سيد حسن فيروزآبادى/عبد الكريم الجنابى
١٠٨. منطق تفسير القرآن ١ (اصول و قواعد التفسير)/محمد على الرضايى الاصفهانى/احمد الازرقى و هاشم ابو خمسين
١٠٩. نافذة على اهم الفرق و المذاهب الأسلامية/شكيب بن بديرة الطبلبى
١١٠. نبراس الاذهان فى اصول الفقه المقارن، الجزء الاول/السيد مير تقى الحسينى الگرگانى
١١١. نبراس الاذهان فى اصول الفقه المقارن، الجزء الثانى/السيد مير تقى الحسينى الگرگانى

انگلیسی

١١٢. پاسدارى از مرقد پيامبران و امامان/جعفر سبحانى تبريزى/فريده مهدوى دامغانى

فرانسوی

١١٣. اصول كافى ج١/محمد بن يعقوب كلينى/فريده مهدوى دامغانى
١١٤. اصول كافى ج٢/محمد بن يعقوب كلينى/فريده مهدوى دامغانى
١١٥. اصول كافى ج٣/محمد بن يعقوب كلينى/فريده مهدوى دامغانى
١١٦. التبليغ مناهجه و اساليبه/جعفر البجارى/ تعب امباله لبانگى
١١٧. به سوى قرآن (روانخوانى و انس با قرآن)/ابوالفضل خوش منش
١١٨. تاريخ فرهنگ و تمدن اسلامى/محمد رضا كاشفى /هارون مكوميه
١١٩. فرق و مذاهب كلامى/على ربانى گلپايگانى/ابراهيم مونتوبتو
١٢٠. نافذة على الفلسفة/صادق ساعدى/ابراهيم مونتوبتو

ایتالیایی

١٢١. صحيفه مباركه سجاديه (آشنايى با صحيفه سجاديه)/امام زين العابدين (ع)/ فريده مهدوى دامغانى/ج٢

اردو

١٢٢. احكام ازدواج دائم و موقت مطابق با فتاواى مراجع عظام/سيد حجت موسوى خوئى/فيروزعلى بنارسى
١٢٣. احكام حجاب و عفت/حميد جلفايى/سيد هادى حسن رضوى
١٢٤. آزادى و دين سالارى/جعفر سبحانى تبريزى/سيد مراد رضا رضوى
١٢٥. پله پله تا آسمان علم (آسمان علم تک قدم به قدم)/محمد عابدى/سيده وجيه اكبر زيدى
١٢٦. تاريخ و سيرت معصومين ج٢/سيد منذر حكيم/سيد كميل اصغر زيدى
١٢٧. خطبه حضرت زينب در كاخ يزيد/سيد توقير عباس كاظمى
١٢٨. درسنامه تاريخ عصر غيبت/مسعود پورسيد آقايى، محمد رضا جبارى، حسن عاشورى، سيد منذر حكيم/اخلاق حسين پكهناروى
١٢٩. شيعه شناسى/على ربانى گلپايگانى/سيد منظر صادق زيدى
١٣٠. صحيفه شهادت فرمودات امام حسين (ع)/محمد صادق نجمى/سيد حسن مهدى حسينى، سيد حسن اخترضوى اعظمى
١٣١. قانون عقل و وحى/حسن مهدى زاده/اخلاق حسين پكهناروى
١٣٢. كليات فقه اسلامى/حسن قاسميان/سيد مبين حيدر رضوى

تاجیکی

١٣٣. آشنايى با صحيفه سجاديه/على ابن الحسين/الياس قاسم اف
١٣٤. تحكيم خانواده از نگاه قرآن و حديث/محمد محمدى رى شهرى/حكيم جان كمال اف
١٣٥. جايگاه اهل بيت (ع) از ديدگاه امام ابو حنيفه/محمد شفق خواتى/حكيم جان كمال اف
١٣٦. حكمت نامه پيامبر اعظم ١/محمد محمدى رى شهرى/حكيم جان كمال اف
١٣٧. حكمت نامه پيامبر اعظم ٢/محمد محمدى رى شهرى/حكيم جان كمال اف
١٣٨. حكمت نامه لقمان/محمد محمدى رى شهرى/حكيم جان كمال اف
١٣٩. سنن النبى(ص)/محمد حسين طباطبايى/حكيم جان كمال اف
١٤٠. نبرد حق و باطل/شهيد مرتضى مطهرى/حبيب الله منان
١٤١. نظرى به نظام اقتصادى در اسلام/شهيد مرتضى مطهرى /سيد برهان اكبر
١٤٢. نهج البلاغه/سيد رضى/الياس قاسم اف

فولانی

١٤٣. اخلاق اهل بيت (ع) /سيد محمد مهدى صدر/محمد بارى
١٤٤. پرتو پژوهش ج١/مجتمع آموزش عالى فقه/ محمد بارى
١٤٥. تاريخ اسلام (از جاهليت تا رحلت پيامبر اسلام(ص)/مهدى پيشوايى/ محمد بارى
١٤٦. نشانه هايى از دولت موعود/نجم الدين طبسى/ محمد بارى

بنگالی

١٤٧. پرتو پژوهش ج١/مجتمع آموزش عالى فقه /محمد منير حسين خان
١٤٨. چشم اندازى به حكومت مهدى (عج) /نجم الدين طبسى/محمد عبد القيوم
١٤٩. چهل حديث سيره نبوى/جواد محدثى/سيده شهربانو زيدى
١٥٠. همسردارى/ابراهيم امينى/محمد عبد القيوم
١٥١. ولايت فقيه (ساختار حكومت اسلامى)/امام خمينى (ره) /محمد عبد القدوس

آذری

١٥٢. آيات ولايت در قرآن/ناصر مكارم شيرازى/مردان زال اف

اندونزی

١٥٣. پرتو پژوهش ج١/مجتمع آموزش عالى فقه/اكمل كامل

پشتو

١٥٤. چشم اندازى به حكومت مهدى (عج) /نجم الدين طبسى/سرفراز على مهدى

ترکی استانبولی

١٥٥. چشم اندازى به حكومت مهدى (عج) /نجم الدين طبسى/رسول نور، سركان انلو، محمد كارادومان
١٥٦. شميم ولايت/عبدالله جوادى آملى/قدرى چليک
١٥٧. مثال هاى آموزنده قرآن/جعفر سبحانى تبريزى/رضا شكراف

روسی

١٥٨. فقه و عقل/ابوالقاسم على دوست/يوسف آقايو

سنة الطبع ١٣٩١

فارسی

١. اسلام و اصلاح فرهنگى/ مولف: زكى ميلاد ت: آيت اله خزائى
٢. آثار تربيتى جلوه‌هاى و اخلاقى قيام عاشورا/ محمد عارف صداقت
٣. آشنايى با اصول و روش‌هاى ترجمه قرآن (خلاصه كتاب منطق ترجمه قرآن)/ محمد على رضايى اصفهانى
٤. آشنايى با تاريخ و منابع حديثى/ على نصيرى/ ج٢
٥. آموزش احكام همراه با استفتائات مقام معظم رهبرى مدظله العالى / محمد حسين فلاح زاده/ ج٧
٦. آموزش فارسى به غيرفارسى زبانان/ فاطمه اكبرى
٧. آموزش فارسى به فارسى كتاب ج١/ احمد زهرايى و اصغر فردى
٨. آموزش فارسى به فارسى كتاب ج ٢/ احمد زهرايى و اصغر فردى
٩. آموزش فارسى به فارسى كتاب كار ج٥ / مركز آموزش زبان و معارف اسلامى/ ج٣
١٠. بيراهه‌ها (رهيافت هايى از دعاى هشتم صحيفه سجاديه)/ حجت منگنه چى
١١. پرتو پژوهش شماره ٩١ الى ٩٦
١٢. التزام ناگزير تحليلى بر راهبردهاى ايالات متحده امريكا در مواجهه با بيدارى اسلامى / مولف اميل نخله ت: على محمد سابقى
١٣. حقوق اهل‌بيت (ع) در تفاسير اهل‌سنت / محمد يعقوب بشوى / ج٢
١٤. درآمدى بر علم كلام اسلامى/ عزالدين رضانژاد
١٥. درآمدى بر ليبراليسم بررسى و نقد مبانى / على الهى تبار
١٦. درآمدى بر مناسبات روحانيت و دولت اسلامى با تأكيد بر ديدگاه امام خمينى (ره) /على معصومى
١٧. درآمدى به تاريخ علم اصول/ مهدى على پور/ ج٣
١٨. دردرى (مجموعه سروده هاى شاعران پارسى گوى خراسان بزرگ درباره حادثه عاشورا) / سيدحسن احمدى نژاد بلخى بلخابى
١٩. درسنامه تفسيرتربيتى ج١/ محمد حسين محمدى
٢٠. درسنامه دراية الحديث / سيد رضا مؤدب / ج٣
٢١. درسنامه عقايد / على شيروانى / ج٧
٢٢. رهيافتى به منظومه فكرى حضرت امام خمينى (ره) و رهبر معظم انقلاب در حوزه فرهنگ وتربيت / جمعى از محققان دفتر فرهنگى فخر الائمه به سفارش جامعه المصطفى ﷺ / ج٢
٢٣. شكوه كلام در نهج البلاغه/ حسن امير انصارى
٢٤. علم دراية تطبيقى / سيد محمد رضا مؤدب/ ج٢
٢٥. فصلنامه اطلاع رسانى
٢٦. فلسفه اشک / سيد عبدالله حسينى
٢٧. قرآن و امام حسين (ع) (تحليل استشهادات قرآنى و روايات تفسيرى امام حسين (ع))/ حسين مطهرى محب
٢٨. كوثر معارف شماره ٢٢
٢٩. مبانى كلامى فارسى اعجاز قرآن / روح الله رضوانى
٣٠. مجموعه مقالات همايش بين المللى قرآن و مستشرقان / جمعى از مولفان
٣١. منطق ترجمه قرآن/ محمد على رضايى اصفهانى/ ج٢
٣٢. منطق مقدماتى/ ابوالفضل روحى/ ج٢
٣٣. نشريه پژوه شماره ٥٢
٣٤. ويژه نامه استشراق / جمعى از مولفان

عربی

٣٥. ولاية الفقيه والحكومة الاسلامية فى عصرالغيبة/ وديع الحيدرى
٣٦. القدس فى الشعر العربى الحديث فى سورية ولبنان وفلسطين/ جهاد فيض الاسلام
٣٧. دراسات الاسلامية فيعلم نفس النمو مرحلة الطفولة مراحل النمو ومقومات التربية/ سعيد كاظم العذارى
٣٨. النحو الجامع/ سيد حميد الجزايرى/ ج٢

۳۹. القراءات والاحرف السبعه/ عبدالرسول الغفاری
۴۰. القراة والمناقشه/ مولف میثم الربیع؛ محمد الحیدری؛ شاکر افضلی
۴۱. التّعلیم المُصوَّر/ مولف میثم الربیع؛ محمد الحیدری؛ شاکر افضلی

انگلیسی

۴۲. نهج البلاغه/ مولف: سید رضی ت: سید علی رضا
۴۳. کتاب احادیث (چهل حدیث)/ مولف: سید علی لواسانی ت: سید علی فرید محمدی

فرانسوی

۴۴. امام اخلاق سیاست/ مولف: سید حسن اسلامی / ت: ابراهیم مونتو

اردو

۴۵. قرآن و امام حسین(ع)/ مولف محسن قرائتی / ت: سید نصرت علی جعفری / ج۲

فیلیپینی

۴۶. آشنایی با احکام / ت: منتظر داگلاس بنگالن
۴۷. شیعه پاسخ می‌گوید / ت: منتظرداگلاس بنگالون

پشتو

۴۸. شفاعت/ مولف : سید حسن طاهری خرم آبادی ت: سرفراز علی محمدی
۴۹. رویکرد اخلاقی بر باورهای وهابیت/ مولف: سید حسن طاهری خرم آبادی/ ت: محمد رحیم درانی

اویغوری

۵۰. نهج‌البلاغه / مولف سید رضی ت: آ عبدالرحمن (ما موهای مای)، آسامساق (ما سونیا)

اندونزی

۵۱. شفاعت/ مولف: حسن طاهری خرم‌آبادی ت: احمد مرزوقی امین
۵۲. رویکرد عقلانی برباورهای وهابیت/ نجم الدین طبسی ت: حسن تونو

تایلندی

۵۳. جایگاه زن از دیدگاه امام‌خمینی(ره)/ مولف: محمد شریف کت سیمون

سنة الطبع ۱۳۹۰

فارسی

۱. اسلام در هند / دکترمحمد رضا موحدی
۲. اعجاز قرآن / سیدرضا مؤدب
۳. اعجاز قرآن و مصونیت از تحریف / محمد مهدی اسکندرلو
۴. انقلاب اسلامی ایران در زمینه‌ها و فرآیند شکل‌گیری / محمد مهدی باباپور
۵. آداب و اخلاق پزشکی در اسلام / ت: محمدرضا صالح
۶. آشنایی با اندیشه سیاسی شهید صدر / علی رضا بی‌نیاز، محمد مهدی باباپور، منصور میر احمدی
۷. آشنایی با اندیشه سیاسی شهید مطهری / علی رضا بی‌نیاز، محمد مهدی باباپور، منصور میر احمدی
۸. آشنایی با آموزه‌های اسلام (اول راهنمایی)/ علی بمان ملک احمدی
۹. آشنایی با آموزه‌های اسلام (دوم راهنمایی)/ علی بمان ملک احمدی
۱۰. آشنایی با آموزه‌های اسلام (سوم راهنمایی)/علی بمان ملک احمدی
۱۱. آشنایی با آموزه‌های اسلام (اول دبیرستان) / علی بمان ملک احمدی
۱۲. آشنایی با آموزه‌های اسلام (دوم دبیرستان) / علی بمان ملک احمدی
۱۳. آشنایی با آموزه‌های اسلام (سوم دبیرستان)/ علی بمان ملک احمدی
۱۴. آشنایی با متون حدیث و نهج‌البلاغه / مهدی مهریزی
۱۵. آشنایی با متون روایی معارفی / عبدالمجید زهادت
۱۶. آموزش احکام (همراه با استفتائات مقام معظم رهبری) / محمدحسین فلاح‌زاده
۱۷. آموزش فارسی به فارسی کتاب کار چهارم / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۱۸. بررسی احوال فرزندان امام موسی کاظم(ع) و نقش آنها در تاریخ تشیع / سید یاسین زاهدی
۱۹. پرتو پژوهش، ج۲ / معاونت پژوهش مجتمع عالی فقه
۲۰. پژوهشی تطبیقی در روایات تفسیری فریقین / مهدی رستم نژاد
۲۱. پژوهشی در علم رجال / اکبر ترابی
۲۲. پلورالیسم دینی و قرآن / موسی ابراهیمی
۲۳. پیوندهای نماز / محسن قرائتی
۲۴. تاریخ فلسفه اسلامی (ویراست جدید) / جمعی از مؤلفان
۲۵. تاریخ فلسفه غرب ۱ / مهدی بنایی
۲۶. تاریخ قرآن / محمد حسین محمدی
۲۷. تجزیه جهان اسلام چرایی و پیامدها / علی اصغر رجاء
۲۸. تمدن و فرهنگ شیعیان افغانستان / عبدالقیوم آیتی
۲۹. جایگاه مردم در نظام سیاسی دینی از منظر آیت لله نائینی و شهید صدر / میرزا حسین فاضلی
۳۰. چکیده پایان‌نامه‌های کارشناسی ارشد، ج۱ـ۴ / معاونت آموزش
۳۱. حقوق بین‌الملل اسلامی / عبد الحکیم سلیمی
۳۲. حقوق بین‌الملل خصوصی / محمد مهدی کریمی نیا
۳۳. دایرة‌المعارف فرهنگ ملل، ج۱ / پژوهشگاه بین‌المللی المصطفیﷺ
۳۴. درسنامه اخلاق / جواد محدثی
۳۵. درسنامه روش‌های تفسیر قرآن / دکتر محمد علی رضایی اصفهانی
۳۶. درسنامه وضع حدیث / ناصر رفیعی محمدی
۳۷. دستور زبان فارسی / حمید نصیریان
۳۸. دعای مکارم اخلاق (در پرتو قرآن وحدیث) / حجت منگنه چی
۳۹. دقایقی با قرآن / محسن قرائتی
۴۰. دل باخته / حاج میرزا عبد الحسین قدس
۴۱. دیدگاه مذاهب اسلامی در مورد تفاوت دیه زن و مرد و ادله آنها / محمد یاسین احسانی
۴۲. رابطه قدرت و عدالت در فقه سیاسی / غلام سرور اخلاقی
۴۳. ریاضی مقدماتی / غلامرضا صفایی صادق
۴۴. زنان در افغانستان / محمد آصف محسنی (حکمت)
۴۵. سیره اخلاقی و تربیتی معصومین(ع) / محمد احسانی
۴۶. شیوه‌ای نو در آموزش عروض و قافیه / محمد رضا نیکزاد
۴۷. عقل و ایمان از دیدگاه ابن رشد، صدر المتالهین شیرازی وایمانوئل کانت / علاءالدین ملک‌اف
۴۸. فرهنگ اصلاحات اصول / مجتبی ملکی اصفهانی
۴۹. فرهنگ واژه‌گان فارسی به انگلیسی/ مرکز آموزش زبان ومعارف اسلامی
۵۰. فرهنگ واژه‌گان فارسی به چینی / مرکز آموزش زبان ومعارف اسلامی
۵۱. فرهنگ واژه گان فارسی به روسی / مرکز آموزش زبان ومعارف اسلامی
۵۲. فرهنگ واژه‌گان فارسی به عربی / مرکز آموزش زبان ومعارف اسلامی
۵۳. فرهنگ واژه‌گان فارسی به فرانسه / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۵۴. فرهنگ واژه‌گان فارسی به مالایو / مرکز آموزش زبان ومعارف اسلامی
۵۵. قیام مهدی(عج) منتظر ماست / سیدحسن فیروزآبادی
۵۶. کتاب شناسی تعلیم و تربیت در اسلام / بهروز رفیعی
۵۷. کتاب کار دستور زبان فارسی / حمید نصیریان
۵۸. کمک درسی زبان روسی / علی مدبر چهار برجی
۵۹. الگوی فرزانگی / معاونت پژوهش
۶۰. مبانی فقهی انقلاب اسلامی در اندیشه امام خمینی(ره) / علی اکبر ناصری
۶۱. مجموعه مقالات چهاردهمین جشنواره بین‌المللی پژوهشی شیخ طوسی، ج۱ـ۳ / جمعی از مؤلفان، پژوهشگاه بین‌المللی المصطفیﷺ؛ پژوهشکده انقلاب اسلامی
۶۲. مجموعه مقالات نخستین همایش اندیشه سیاسی اجتماعی امام خمینی(ره)، ج۲ـ۴ / مجتمع آموزش عالی امام خمینی(ره)
۶۳. مجموعه مقالات همایش زنان در افغانستان، ج۵ / جمعی از مولفان
۶۴. مشاهیر تشیع در افغانستان، ج۱ـ۳ / عبدالمجید داود ناصری
۶۵. معرفت شناسی / حسن معلمی
۶۶. معرفت شناسی باور دینی از دیدگاه شهید مطهری و آلوین پلنتینگا / علاء الدین ملک‌اف
۶۷. مقایسه تطبیقی اندیشه مهدویت در اسماعیلیه و امامیه / قدیر محمد اف
۶۸. منشورفضل / به کوشش جمعی از مؤلفان
۶۹. نقد نظریه تجربه دینی با تأکید بر قرآن / شیرعلی شجاع
۷۰. ویژه‌نامه اختر تابان / جمعی از مولفان
۷۱. ویژه‌نامه همایش دین، فرهنگ و رسالت علمای افغانستان / نمایندگی جامعة المصطفیﷺ در افغانستان
۷۲. ویژه‌نامه همایش شیخ طوسی/ پژوهشگاه بین‌المللی المصطفیﷺ
۷۳. همایش حوزه‌های علمیه افغانستان / نمایندگی جامعة المصطفیﷺ در افغانستان
۷۴. یهودیت / محمد حسین طاهری آکِردی

عربی

۷۵. أسالیب التبلیغ عند الأنبیاء دراسة قرآنیه / السید منتظر الموسوی (الجابری)
۷۶. اولیاء عقد النکاح / حمودی حسن عباس الصیقل
۷۷. آیة‌الاظهار بین عالمیة الاسلام والعولمة المعاصر / ریاض عبدالرحیم الباهلی
۷۸. پرتو پژوهش، ج۱ / ت: رعد الحجاج
۷۹. تاثیر الثورة الاسلامیه علی البلدان العربیه / ت: عبدالکریم بحراوی طعمه
۸۰. التبتیل فی التجوید والترتیل / حسن عالمی بکتاش
۸۱. تداعیات الثورة الاسلامیة فی العالم الاسلامی / دکتر منوچهر محمدی
۸۲. تطور حرکة الاجتهاد عند الشیعة الامامیة / عدنان فرحان تنها
۸۳. التفسیر التربوی للقرآن الکریم / شیخ هاشم ابو خمسین
۸۴. تهذیب البلاغه فی تلخیص مختصر المعانی لسعد الدین التفتازانی / علی عرب خراسانی
۸۵. الحریة الاقتصادیة ضوابطها وحدودها فی الفقه الاستدلالی / عبدالکریم بحراوی

إصدارات مركز المصطفى(ص) العالمي للترجمة و النشر

٨٦. الحقوق الزوجية / سوسن علی حسين (دادرس)
٨٧. الحكومة الاسلامية فی روية الامام خمينی(ره) / ت: محسن زين العابدين
٨٨. الحكومة الاسلامية والولاية الفقيه فی روية الامام خمينی(ره) / ت: محسن زين العابدين
٨٩. الدر الباهر فی مقتضيات الجواهر ج١ / السيد جمال الدين دين‌پرور
٩٠. دراسة أدلة إثبات وجود الواجب فی ضوء الحكمة المتعاليه / السيد أحمد السيد صلاح الموسوی
٩١. دراسة تطبيقية مبدأ التكافؤ فی الترجمة (من الفارسية إلی العربية) / انور پنام الرصافی
٩٢. دروس تمهيدية فی الفقه الاستدلالی، تلفيقی ج٢و٣ / الشيخ باقر الايروانی
٩٣. دروس تمهيدية فی الفقه الاستدلالی، ج١ / الشيخ باقر الايروانی
٩٤. دروس تمهيدية فی الفقه الاستدلالی، ج٢-٤ / الشيخ باقر الايروانی
٩٥. دروس فی الاصول الفقه المقارن / مجيد النيسی
٩٦. دروس فی التاريخ الفقه و ادواره / آية الله جعفر السبحانی
٩٧. دروس فی علم الدراية / ت: قاسم البيضانی
٩٨. دروس فی نصوص الحديث و نهج البلاغة / ت: انور الرصافی
٩٩. شقائق الرجال / عادل المزيعل المباحی
١٠٠. علم الدراية المقارن / ت: انور الرصافی
١٠١. الفقه المقارن (العبادات والأحوال الشخصية) / سيد كاظم مصطفوی
١٠٢. القواعد الفقهية٢ (قاعدة لاضرر، حجية البينة و...) / السيد محمد كاظم المصطفوی
١٠٣. قيام المهدی امامنا المنتظر(ع) / السيد حسن فيروز آبادی
١٠٤. مبانی نقد متن الحديث / قاسم البيضانی
١٠٥. النجوم الزاهرة فی اثبات خلافة الأئمة الطاهرة / السيد خليل الشوكی

انگلیسی

١٠٦. آشنایی با تاریخ تفسیر و مفسران / ت: حامد حسین وقار
١٠٧. آشنایی با صحیفه سجادیه / ت: حامد حسین وقار
١٠٨. حفظ موضوعی قرآن کریم / ت: حامد حسین وقار
١٠٩. خاطرات امیرالمومنین(ع) / ت: علی فرید محمدی
١١٠. در آستان رحمت / فریده مهدوی دامغانی
١١١. در آغوش نور ولایت / سید علی فرید محمدی
١١٢. قیام مهدی(ع) منتظر ماست / ت: مرکز بین‌المللی ترجمه و نشر المصطفی(ص)
١١٣. نگاهی دوباره به نظریه شفاعت / ت: سلام جودی

فرانسوی

١١٤. آموزش احکام / ت: الیزه کابنا
١١٥. پیام آور رحمت / فریده مهدوی دامغانی
١١٦. در آستان رحمت / فریده مهدوی دامغانی
١١٧. سروده‌های عاشورایی / فریده مهدوی دامغانی
١١٨. فلسفه اخلاق / ت: ابراهیم منتو بتو
١١٩. نامه‌های امیرالمومنین(ع) / فریده مهدوی دامغانی

تاجیکی

١٢٠. اهل بیت(ع) در قرآن و سنت / ت: حکیم جان کمالی
١٢١. بحثهای پیرامون اسلام / حکیم جان کمالی
١٢٢. پرتو پژوهش، ج١ / ت: حکیم جان کمالی
١٢٣. تفسیرسوره عنکبوت / ت: شهر الدین محمد امین
١٢٤. چهل حدیث مقام زن در روایات / محمد رحیمی
١٢٥. حکمت‌نامه جوان / حکیم جان کمالی
١٢٦. حکمت‌نامه کودک / ت: حکیم جان کمالی
١٢٧. دنیا و آخرت / ت: حکیم جان کمالی
١٢٨. سید جمال الدین مصلح شرق / ت: سید اکبر برهان
١٢٩. شرح چهل حدیث خداشناسی / بحر الدین قربان
١٣٠. مساله حجاب / ت: سید اکرم خان زیاد الله
١٣١. مسئولیت والدین در قبال فرزندان / ت: محمد الله حلیم‌اف
١٣٢. مقام و منزلت ازدواج / محمد رحیمی
١٣٣. نگاهی به مسیحیت / ت: محمدالله حلیم اف

آذری

١٣٤. اهل بیت(ع) در قرآن و سنت / ت: رضا شکراف
١٣٥. آداب معاشرت (از نگاه معصومین) / ت: محمد خلیل‌اف
١٣٦. پرتو پژوهش، ج١ / ت: رضا شکراف
١٣٧. پرتویی از فضائل امیرالمؤمنین علی(ع) / ت: علاءالدین ملک‌اف
١٣٨. پلورالیسم دین، حقیقت و کثرت / ت: علاءالدین ملک‌اف
١٣٩. پیامبر(ص) از نگاه قرآن و اهل بیت(ع) / ت: علاءالدین ملک‌اف
١٤٠. توحید و زیارت / ت: محمد خلیل اف
١٤١. جسم انگاری خدا از نگاه شیعه و سنی / ت: حسین مهدی اف
١٤٢. حکمت‌نامه زنان / توفیق اسد اف و افضل الدین رحیم اف
١٤٣. حیات پیامبر اسلام حضرت محمد(ص) / ت: علاءالدین ملک‌اف
١٤٤. خصائص امیرالمؤمنین(ع) / ت: جبرئیل آبی اف
١٤٥. زندگی در پرتو اخلاق / ت: رضا شکر بیگلی
١٤٦. سیری در صحیحین / ت: رشاد اکبر اف
١٤٧. شفاعت / ت: المان اقام اغلان‌اف
١٤٨. صد و پنجاه درس زندگی / ت: اسماعیل اسماعیل اف
١٤٩. عقل؛ ایمان و انسان‌شناسی / ت: علاءالدین ملک‌اف
١٥٠. گفتمان مهدویت زبان آذری / ت: علاءالدین ملک‌اف

اردو

١٥١. آداب دعا / رجب علی حیدری
١٥٢. پرتو پژوهش، ج١ / سید حسید اختر رضوی
١٥٣. تعلیمات قرآن / موسسه قرآن و عترت
١٥٤. تفسیر القرآن وهو الهدی و الفرقان / سید محمد عباس رضوی
١٥٥. معارف قرآن وعترت / موسسه قرآن وعترت

استانبولی

١٥٦. پرتو پژوهش، ج١ / ت: رسول نور
١٥٧. عدل الهی از دیدگاه امام خمینی(ره) / گردآورند: بحری اکیول

بوسنیایی

١٥٨. التربية الدينية / ت: محمد میسر

ایتالیایی

١٥٩. صحیفه سجادیه / فریده مهدوی دامغانی

فولانی

١٦٠. تاریخ اسلام زندگی حضرت زهرا(س) / ت: محمد باری
١٦١. سیره پیشوایان / ت: محمد باری

پشتو

١٦٢. پرتو پژوهش، ج١ / ت: محمد رحیم درانی

سنة الطبع ١٣٨٩

فارسی

١. از سی‌مرغ تا سیمرغ / محمدرضا یوسفی
٢. از قبادیان تایمگان / محمدرضا یوسفی- رقیه ابراهیمی شهرآباد
٣. آسیب شناسی تمدن اسلامی / علیرضا عالمی
٤. آشنایی با تاریخ تفسیر و مفسران / حسین علوی مهر
٥. آشنایی با صحیفه سجادیه / محمد علی مجد فقیهی
٦. آموزش فارسی به فارسی (کتاب‌کار ٥، ٦، ٧) / اصغرفردی، احمدزهرایی، جعفرمقیمی
٧. آموزه‌های بنیادین علم اخلاق، ج٢ / محمد فتحعلی خانی
٨. با نور قرآن هدایت شدم / ت: محمدقاسم احمدی
٩. بداية المبتدی، ج١-٢ / سید یونس استروشنی، قمرالدین افضلی
١٠. براهین جهان‌شناختی از دیدگاه ابن‌سینا و اگویناس / حمید زکی
١١. پرتو پژوهش، ج١ / معاونت پژوهش مجتمع آموزش عالی فقه
١٢. تاریخ پیامبر و اهل‌بیت(ع)، ج١-٦ / علی ملک بمان احمدی
١٣. تاریخ تحلیلی آندلس / محمدرضا شهیدی پاک
١٤. تاریخ تحلیلی مغرب / محمدرضا شهیدی پاک
١٥. تاریخ حدیث / سید رضا مؤدب
١٦. تفسیر تطبیقی (بررسی تطبیقی مبانی تفسیر قرآن و ...) / فتح الله نجارزادگان
١٧. جایگاه جامعة المصطفی(ص) العالمیة در بعثت جهانی / اداره کل دفتر ریاست جامعة المصطفی(ص) العالمیة
١٨. جهانی در خلوت / مرتضی طالبی
١٩. چهل حدیث در مورد انسجام اسلامی / جمعی از مولفان مجتمع امام خمینی(ره)
٢٠. حفظ موضوعی قرآن کریم سید علی میرداماد نجف آبادی
٢١. خلوص کامیاب / عبدالحسین طالعی، مرتضی طالبی
٢٢. درآمدی بر سیره اهل‌بیت(ع) / حسین عبدالمحمدی
٢٣. درسنامه آیات الاحکام جزایی / محمد مهدی کریمی نیا
٢٤. درسنامه صرف / علی عرب خراسانی
٢٥. درسنامه عقاید / علی شیروانی
٢٦. دیکشنری فارسی ـ اندونزی / یانور فبری ن
٢٧. رهیافتی به منظومه فکری امام خمینی(ره) و مقام معظم رهبری / جمعی از محققان دفتر فرهنگی فخرالائمه(ع)

۲۸. شناخت استعمار / مصطفی اسکندری
۲۹. قرآن کتاب رشد و تعالی / روح الله دهقانی
۳۰. قصه‌های قرآنی / صالح قنادی
۳۱. مبانی و روش‌های تفسیری / محمد کاظم شاکر
۳۲. مبانی و اصول طراحی کتاب درسی / محمد شریفی نیا
۳۳. مجموعه مقالات برتر سیزدهمین جشنواره شیخ طوسی / جمعی از مؤلفان
۳۴. مجموعه مقالات نخستین همایش اندیشه سیاسی امام خمینی رحمه‌الله، ج ۱ / مجتمع آموزش عالی امام خمینی رحمه‌الله
۳۵. مجموعه مقالات همایش زنان در افغانستان، ج۱ـ٤ / ستاد برگزاری همایش
۳۶. مقام محبت الهی از منظر حکمت و عرفان نظری و عملی / محمد حسین خلیلی
۳۷. منشور جامعة المصطفی صلی‌الله‌علیه‌وآله العالمیة
۳۸. منطق پیشرفته / عسکری سلیمانی امیری
۳۹. مهدویت در ادیان آسمانی / ابراهیم کوثری
۴۰. مهندسی اوقات فراغت / محمد علی متولیان، احمد هوشمند
۴۱. نخل نسیم / حسن ابراهیم‌زاده
۴۲. نظام حقوقی اسلام / جلیل قنواتی

عربي

۴۳. بحوث فی علم الرجال / آیةالله محمد آصف المحسنی
۴۴. تاریخ الحدیث / سید رضا مؤدب
۴۵. التعرف علی خط التبتی / مرتضی الشعبانی
۴۶. دروس تمهیدیه فی السیرة القادة الهداة، ج۱-۲ / سید منذر حکیم
۴۷. دروس فی الفقه المعاملات(البیع) / السید محمد کاظم المصطفوی
۴۸. دروس فی المسیحیه / علی الشیخ
۴۹. دروس فی المناهج والاتجاهات و التفسیریة للقرآن / ت: قاسم البیضانی
۵۰. دروس فی علوم القرآن / حسین جوان آراسته
۵۱. دروس فی فقه الاستدلالی، ج۱ـ۳ / عبد الکریم آل‌نجف
۵۲. دروس موجزة فی علمی الرجال والدرایة / آیةالله جعفر سبحانی
۵۳. العلم فی إطار الدین / عبدالکریم الجنابی
۵۴. قرآن الحسین وحدة المنهج والهدف / السید لیث الحیدری
۵۵. المحکم و المتشابه / عبدالرسول غفاری
۵۶. المراة فی الاسلام / عبدالرسول غفاری
۵۷. معجم الافعال المتداولة و مواطن استعمالها / السید محمد الحیدری
۵۸. معرفة ابواب الفقه / محسن الفقیهی
۵۹. النسخ بین المفسرین / عبدالرسول غفاری
۶۰. وعایة الحکمة فی شرح نهایة الحکمة / حسین عشاقی الاصفهانی

انگلیسی

۶۱. اشعار عاشورایی، ج۱ـ۲ / محمد رضا فخر روحانی

فرانسوی

۶۲. سخنان حسین بن علی علیه‌السلام از مدینه تا کربلا / ت: فریده مهدوی دامغانی

تاجیکی

۶۳. اربعین مولانا جامی / داستان حنتظرزاده
۶۴. پدر و مادر ومعلم من را خوب تربیت کن / ت: سید امان‌الله بابایوف
۶۵. پیامبر اعظم صلی‌الله‌علیه‌وآله / رجب جمعه‌خان
۶۶. تفسیر سوره محمد صلی‌الله‌علیه‌وآله / محسن قرائتی
۶۷. حرمت شراب / روح‌الله قلندر
۶۸. فضیلت صدقه / مصطفی علی
۶۹. مقام پدر ومادر / محمد رحیمی
۷۰. مقام قرآن کریم / اسماعیل محی الدین
۷۱. مقام نماز / عبدالهاشم میرزا

آذری

۷۲. حجاب چرا وچگونه / ت: جمال‌الدین شکراف
۷۳. دعا و توسل / حسن طاهری خرم آبادی
۷۴. سرنوشت از دیدگاه علم وفلسفه / ت: رضا شکراف
۷۵. قرآن کریم چنانکه هست / ایلقار اسماعیل زاده

اردو

۷۶. آداب اسلامی، ج۱ـ۲ / محمد عندلیب
۷۷. تاریخ شیعیان کشمیر / غلام‌محمد گلزار
۷۸. تحریف قرآن کی بطلان کاتحلیلی جائز / ت: عارف حسین مبارک‌پوری
۷۹. ترجمه گزیده غرر الحکم و درر الکلم / ت: محمد فائز باقری
۸۰. چگونه قرآن را حفظ کنیم / شهریار پرهیزگار
۸۱. قصه‌های قرآنی ـ قرآن قصی / صالح قنادی

ترکی استانبولی

۸۲. عقاید اسلامی در پرتو قرآن حدیث وعقل / ت: بحری اکیول

بنگلادیی

۸۳. چهل حدیث اسراف / ت: محمد ابوسعید

هوسایی

۸۴. رابطه والدین با فرزندان / حافظ محمد سعید
۸۵. زندگی زناشویی / حافظ محمد سعید

ایتالیایی

۸۶. صفات شیعه / ت: عباس دیپالما

ازبکی

۸۷. آموزش مفاهیم قرآن کریم / ت: شیرعلی‌اف

هندی

۸۸. ترجمه گزیده غرر الحکم / سید قمر غازی

سنة الطبع ۱۳۸۸

فارسی

۱. اسراف و تبذیر، تباهی سرمایه‌ها / ناصر رفیعی محمدی
۲. اندیشه‌های قرآنی شهید مطهری رحمه‌الله، ج۲ / جمعی از مؤلفان
۳. آزادی در مکتب فکری عاشورا / علیرضا محمدی، اسماعیل دانش، غلام سخی حلیمی
۴. آسیب‌های درونی عزاداری / سید محمد علی موسوی
۵. آشنایی با استشراق و اسلام‌شناسی غربیان / محمدحسن زمانی
۶. آشنایی با علوم قرآن / محمد باقر سعیدی روشن
۷. آموزش صرف / جمعی از مولفان
۸. آموزش علوم قرآن / محمدباقر سعیدی‌روشن
۹. آموزش فارسی به فارسی (کتاب‌کار ٤) / اصغرفردی، احمدزهرایی، جعفرمقیمی
۱۰. بازخوانی تاثیرات انقلاب اسلامی ایران بر بیداری مسلمانان / سید مهدی طاهری
۱۱. بررسی واقعه عاشورا در تاریخ طبری / زهرا محمدی
۱۲. بررسی تحریفات قیام عاشورا از دیدگاه تحریف‌ستیزان / آمنه احسانی، جمیله احمدی، کریمه گل‌گلی
۱۳. بررسی مدارک و مستندنویسی واقعه عاشورا / سید حسن سجادی، سید طالب زکی
۱۴. بررسی مستند حیات حضرت زینب علیهاالسلام و نقش او در نهضت عاشورا / سید علیرضا عالمی
۱۵. تاریخ آموزش در اسلام / حسن حسین‌زاده‌شانه‌چی
۱۶. تجزیه و ترکیب / حسین شیرافکن
۱۷. تصمیم‌گیری شورایی / معاونت پژوهش
۱۸. تطور عاشورانگاری در میان اهل سنت / حبیب الله صالحی (روحانی)، غلام‌حسین میری
۱۹. جلوه‌ها و الگوهای اخلاقی قیام عاشورا / محمد عارف صداقت، حمیدالله شریفی
۲۰. چالش‌های زمینه‌ساز قیام حسینی / معصومه گل گلی، تقوا کنانی
۲۱. چکیده‌اندیشه‌های آیة‌الله سیدمجتبی موسوی‌لاری / حسن ابراهیم‌زاده
۲۲. حقوق اساسی جمهوری اسلامی افغانستان با تاکید بر قانون اساسی / عبد محمد احمدی و قاسم علی صداقت
۲۳. حقوق غیر ایرانیان در جمهوری اسلامی / فرج‌الله هدایت‌نیا
۲۴. خرد ناب، ج۱ـ۲ / معاونت پژوهش
۲۵. دکترین مهدویت، ج۱ـ٤ / تهیه و تدوین: موسسه آینده روشن
۲۶. رابطه دیالکتیکی عاشورا با بحرانهای محیطی / محمدقاسم عرفانی، قنبرعلی تابش
۲۷. زلال اندیشه / معاونت پژوهش
۲۸. سروش آسمانی، ج۱ـ٤ / محمدرضا افضلی
۲۹. سنت‌ها و آیین های بزرگداشت عاشورا در میان اهل‌سنت / محمد شریف حیدری، محمد جمله شیخ‌زاده
۳۰. سیره اهل بیت علیهم‌السلام در جذب مخالفان / سید محسن مهدی زیدی
۳۱. سیره عملی پیامبر صلی‌الله‌علیه‌وآله و اهل بیت علیهم‌السلام در خانواده / محمدجمعه شیخ‌زاده
۳۲. سیره و راه شهیده بنت‌الهدی رحمهاالله / ت: نجیب‌الله نوری
۳۳. عاشورا تجلیگاه عزت اسلامی / علیرضا محمدی، اسماعیل دانش، غلام سخی حلیمی
۳۴. فرهنگ تصویری افعال / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۳۵. فلسفه سیاسی فارابی و ارتباط آن با ولایت فقیه / محمد حسین حسینی
۳۶. کارنامه مجمع علما و طلاب جاغوری / مجمع علما وطلاب جاغوری
۳۷. مجموعه مقالات حکومت دینی / جمعی از مؤلفان
۳۸. مجموعه مقالات همایش اندیشه‌های قرآنی شهید مطهری رحمه‌الله / جمعی از مولفان
۳۹. مجموعه مقالات همایش دین و دینداری در عصر جدید / مجمع علما و طلاب جاغوری

۴۰. مجموعه مقالات همایش عالمان دینی افغانستان / مجمع علماء و طلاب جاغوری
۴۱. مجموعه مقالات همایش وحی شناسی / مدرسه عالی فقه و معارف اسلامی
۴۲. مسائل جدیدکلامی و فلسفه دین، ج۱ـ۳ / عبدالحسین خسروپناه
۴۳. معارف مثنوی / محمدرضا افضلی
۴۴. معرفی واحدهای آموزشی و پژوهشی جامعة المصطفیﷺ العالمیة / معاونت پژوهش
۴۵. مفاهیم علم نحو، ج۱ـ۲ / محمود رضا عصاری
۴۶. مقایسه تطبیقی چهار گزارش مشهور در واقعه عاشورا / سید عبدالله حسینی
۴۷. نقد مبانی هرمنوتیکی نظریه قرائت‌های مختلف از دین / قربانعلی هادی
۴۸. نقش خاندان امام حسین(ع) در حادثه کربلا / رخسانه دانش، رقیه سادات میراکبری
۴۹. نقش زنان در واقعه عاشورا / مرضیه سادات مرتضوی، صدیقه نجفی
۵۰. نقش عاشورا در وحدت میان مسلمانان / قربانعلی هادی
۵۱. نیایش عارفان / معاونت پژوهش
۵۲. وحدت اسلامی مبانی، عرصه‌ها، موانع و راه‌کارها / محمد رسول حسینی
۵۳. هرمنوتیک و تفسیر / غلام رسول حمیدی

عربی

۵۴. ابن تیمیه منهجه فی الحدیث / ابومحمد التّعیمی
۵۵. اعجاز القرآن / ت: قاسم البیضانی
۵۶. التبلیغ؛ مناهجه واسالیبه / جعفر البجاری
۵۷. ترجمه قرآن کریم / محمد علی رضایی اصفهانی
۵۸. تعریب دروس فی وضع الحدیث / ناصر رفیعی المحمدی
۵۹. التقیة فی المجتمع الإسلامی ادلة و آثار / محمد جواد فاضل موسوی
۶۰. تهذیب جواهر البلاغه / تهذیب و تلخیص: أمیر الأمینی
۶۱. الحیاة الجنسیة بین الاستقامة و الشذوذ / سید کاظم العزادی
۶۲. حیاة السیاسیة الامام(ره) / عصری البانی
۶۳. دروس فی تاریخ الادیان / ت: انور الرصافی
۶۴. دروس فی مبادی الفقه و معرفة ابوابه / حسن الرضائی
۶۵. دروس فی وضع الحدیث / سید عبدالکریم حیدری و عبدالامیر الوردی
۶۶. الدّین وعملیة العولمة / ت: عبدالکریم الجنابی
۶۷. القواعد الفقهیه (ویراست جدید) / السّید محمد الحسینی القزوینی
۶۸. کتاب التطبیق / شاکر محمود افضلی
۶۹. اللغة العربیه / شاکر محمود افضلی
۷۰. المدخل الی تاریخ علم اصول / مهدی علی‌پور، علی ظاهر
۷۱. نافذه علی الفلسفه / صادق السّاعدی
۷۲. النحو الجامع / حمید جزائری
۷۳. نحو القرآن / حسن الرضایی

انگلیسی

۷۴. معاد از دیدگاه قرآن و علوم / ت: زین العابدین ایوبی
۷۵. یک گام بسوی ظهور / مدرسه امام خمینی(ره)

فرانسوی

۷۶. غدیر از دیدگاه اهل سنت / ت: ذوالقعده نصرالله

تاجیکی

۷۷. احکام اسلامی / الیاس قاسم‌اف
۷۸. امام علی(ع) و پیروانش / الیاس قاسم‌اف

آذری

۷۹. امامت و ولایت در قرآن / ت:رضاشکرف
۸۰. آشنایی با رهبران سلفی وهابیت / الیاس قاسم اف
۸۱. پرسش و پاسخ در مورد عاشورا / افضل الدین رحیم‌اف و توفیق اسداف
۸۲. حکمت‌نامه کودک / جمال الدین شکراف

اردو

۸۳. اتحاد الفریقین / سید شجاعت حسین رضوی
۸۴. اندیشه سیاسی شهید مطهری / ت: عون علی کریمی
۸۵. مصونیت قرآن از تحریف / ت: عارف حسینی
۸۶. مفاهیم اساسی نظریه ولایت فقیه / محسن رضا جعفری

زبان ایتالیایی

۸۷. سیرة النبویه / ت: عرفان ادیزیونی

سنة الطبع ۱۳۸۷

فارسی

۱. احوال الشخصیه شیعیان افغانستان / عبدالله شفاهی
۲. اسلام و دموکراسی لیبرال / محمد حنیف طاهری
۳. اندیشه‌های قرآنی شهید مطهری(ره)، ج۱ / جمعی از مؤلفان
۴. ایضاح الحکمة فی شرح بدایة الحکمة / علی ربانی گلپایگانی
۵. بررسی جامعه شناختی پیامدهای فرهنگی بازگشت مهاجران به افغانستان / محمد عیسی عالمی
۶. تحلیل قصص / محمد شریفانی
۷. جوان و جوانی در سیره اهل‌بیت(ع) / محمد عارف صداقت
۸. چکیده پایان نامه‌های کارشناسی ارشد جامعة المصطفیﷺ / مرتضی رضا خانی
۹. درآمدی به تاریخ علم اصول / مهدی علی‌پور
۱۰. درسنامه تاریخ عصر غیبت / پور سید آقایی، جباری، آشوری و حکیم
۱۱. درسنامه درایة الحدیث / سید رضا مؤدب
۱۲. روحانیت و حکومت در افغانستان / محرابعلی صفدری
۱۳. فرهنگ تصویری واژه‌ها (چندزبانه) / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۱۴. کلام تطبیقی (توحید، صفات و عدل الهی) / علی ربّانی گلپایگانی
۱۵. کلام تطبیقی (نبوت، امامت و معاد) / علی ربّانی گلپایگانی
۱۶. گفتمان فلسفی اسلام و غرب / سید حسن حسینی
۱۷. مدرسه ترنم توحید / مجید حیدری‌فر
۱۸. نقش جنگ‌های صلیبی در انتقال تمدن اسلامی به غرب / سید عبدالرئوف رضایی

عربی

۱۹. دراسات موجزة فی الخیارات و الشروط / آیةالله جعفر السبحانی
۲۰. دروس فی الفقه الاستدلالی(فی الفقه المباده)، ج۱ـ۲ / الشیخ باقر الایروانی
۲۱. الدعاء عند اهل البیت(ع) / محمد مهدی الآصفی
۲۲. قضاء المراة فی نظر فقه الشیعی / ت: نبیل یعقوبی
۲۳. من فیض الخلود / فاضل الموسوی
۲۴. الوجیز فی مسائل الفقه الاستدلالی، ج۱ـ ٤ / سید علی العلو

تاجیکی

۲۵. تاریخ اسلام / مهدی پیشوایی، عبدالحکیم کمالی
۲۶. تفسیر سوره حجرات / ت: سید تاج الدین حسام
۲۷. تفسیر سوره یس، الرحمن، ملک / ت: عبدالحکیم کمالی
۲۸. تمثیلات / ت: عبدالحکیم کمالی
۲۹. چهل حدیث بهداشت / حبیب الله منان
۳۰. سوره لقمان / ت: محمدالله حلیم
۳۱. سوره یاسین / ت: محمد الله حکیم
۳۲. قصه کربلا / ت: عبدالحکیم کمالی
۳۳. منتخب میزان الحکمة، ج۱ـ٤ / ت: عبدالحکیم کمالی، امان الله بابایی
۳۴. نگین آفرینش / الیاس قاسم‌اف

آذری

۳۵. السلف و السلفیون / ت: توفیق اسداف
۳۶. مهدویت و جهانی‌سازی / ت: شکراف

اردو

۳۷. امتیازات علوی / ت: سید شاهد حسین رضوی هندی
۳۸. گزیده غررالحکم و دررالکلم ت: محمد فائز باقری
۳۹. نظام عادلانه اسلام / غلام اکبر حیدری
۴۰. یک گام بسوی ظهور / مدرسه امام خمینی(ره)

تامیلی

۴۱. تاریخ شیعه و اعتقاداتشان / محمد نظام الدین

بنگالی

۴۲. آن‌چه یک زن مسلمان باید بداند / میراشرف العالم

سنة الطبع ۱۳۸۶

فارسی

۱. اسماعیلیه از ابتدا تا حال / محمد سعید بهمن‌پور
۲. اعجاز قرآن از دیدگاه مستشرقان / رئیس اعظم شاهد
۳. آشنایی با ادیان بزرگ / حسین توفیقی
۴. آموزه‌های گام به گام نستعلیق / حسن آهنگران
۵. پله پله تا آسمان علم / محمد عابدی
۶. تاریخ تشیع در افغانستان / عبدالمجید ناصری داوودی
۷. حقیقت محمدیه و افراد انسان از ازل تا ابد در مکتب ابن عربی / امداد توران
۸. درآمدی بر برنامه‌ریزی آموزش عالی دین / ت: نورالهدی توفیق ـ علی زاهدی‌پور
۹. درآمدی بر تئوری‌های حاکمیت / سید محمد مصطفوی
۱۰. سنت‌های اجتماعی الهی در قرآن / احمد مرادخانی تهرانی

۱۱. سیر تدوین و تطور تفسیر علمی قرآن / ناصر رفیعی محمدی
۱۲. سیمای جهاد و مجاهدان در قرآن (تفسیر سوره انفال) / علی شیروانی
۱۳. مکه در بستر تاریخ / نعمت الله صفری فروشانی
۱۴. منطق ترجمه قرآن / محمد علی رضایی اصفهانی
۱۵. منطق مقدماتی / ابوالفضل روحی

عربی

۱۶. التفسیر المیسر / سید محمد شاهدی
۱۷. التفسیر و المفسرون / سید محمد شاهدی
۱۸. التلقیح الصناعی بین العلم و الشریعة / سید کاظم العذاری
۱۹. الجبر و الاختیار / ت: حسین الواسطی
۲۰. دروس فی التاریخ عصر الغیبه / تعریب: انور الرصافی
۲۱. روایات سهو النبی الاکرم ﷺ ... / قیصر التمیمی
۲۲. نقد آراء ذهبی فی کتاب التفسیر و المفسّرون / قاسم البیضانی

انگلیسی

۲۳. درآمدی بر فلسفه اسلامی / عبدالرسول

تاجیکی

۲۴. این امت دین اسلام / سید یونس استروشنی
۲۵. تفسیر سوره نور / ت: عبدالحکیم کمالی
۲۶. زهرا(س) برترین بانوی جهان / ت: جمعی از مترجمان
۲۷. گزیده تحف العقول / ت: عبدالحکیم کمالی
۲۸. گزیده شهاب الاخبار / ت: عبدالحکیم کمالی
۲۹. گزیده غررالحکم و دررالکلم / ت: عبدالحکیم کمالی

اردو

۳۰. امام حسن و امام حسین(ع) از نظر اهل سنت / سید محمد علی موسوی
۳۱. اهل‌بیت(ع) سفینة النجاة / غلام محمد فخر الدین نجفی
۳۲. اهل‌بیت(ع) کشتی نجات / محمد باقر مقدسی
۳۳. آثار و برکات نماز / رجب‌علی حیدری مظفرنگری
۳۴. بررسی و تحلیل وجود جن و کارکردهای آن / سید مرادرضا رضوی
۳۵. تعلیمات علوی / مؤسسه فکر اسلامی
۳۶. سنن النبی ﷺ / ت: کرار حسین اظهری مبارک‌پورهندی
۳۷. سید رضی؛ زندگی و کارنامه / زاهد علی هندی
۳۸. صبح انتظار / ت: اخلاق حسین
۳۹. غدیرشناسی و پاسخ به شبهات / ت: اقبال حیدر حیدری
۴۰. فی رحاب العقیده، ج۱-۳ / ت: شاه مظاهر حسین
۴۱. الگوهای فضیلت / ابراهیم امینی
۴۲. مفاهیم اعتقادی / صالح قنادی

بنگالی

۴۳. تاریخ سرگذشت حدیث / مطیع الرحمان

روسی

۴۴. داستان‌های قرآن به قلم روان / ت: محمدحسین‌اف

سنة الطبع ۱۳۸۵

فارسی

۱. احکام و مقررات شکار و صید / علی‌اکبر صادقی
۲. اخلاق تبلیغ در سیره رسول الله ﷺ / سید مرتضی حسینی
۳. اصول تدوین ضوابط و مقررات / دفتر بهبود روش‌ها و برنامه‌ریزی سازمانی گروه قوانین و مقررات
۴. آداب اسلامی، ج۱-۲ / محمد عندلیب
۵. آشنایی با تاریخ و منابع حدیثی / علی نصیری
۶. بطن قرآن از دیدگاه شیعه و اهل سنت / سید حیدر طباطبایی
۷. بلمی به سوی ساحل (زبان تصویر۱) / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۸. حکومت دینی در اندیشه امام خمینی(ره) و ابوالاعلی مودودی / ضامن علی حبیبی
۹. خدا و صفات خدا در مکتب امامیه و ماتریدیه / حیات الله ناطقی
۱۰. در انتظار خورشید / جمعی از مؤلفان
۱۱. درآمدی بر ساختار اداری حکومت اسلامی / عبدالعلی محمدی
۱۲. رابطه قرآن و عترت از دیدگاه شیعه و اهل سنت / فدا حسین عابدی
۱۳. سیره تبلیغی پیامبر اعظم ﷺ / سارا رضایی
۱۴. شرح مولد النبی / ت: جمعی از مؤلفان
۱۵. شناخت ادیان ۲ / سید احمد محمودی
۱۶. شناخت مذاهب اسلامی، ج۱-۲ / سید احمد محمودی
۱۷. صف و ستاد در سازمان / گروه امور سازمانی دفتر بهبود روش‌ها و برنامه‌ریزی سازمانی
۱۸. قضاوت زن از دیدگاه فقه شیعه / سید محمد یعقوب موسوی
۱۹. مبانی جامعه‌شناسی / مجید کافی
۲۰. مفاهیم اخلاقی / صالح قنادی
۲۱. نقش حسابداری در توسعه اقتصادی / احمد صادقی گلمکانی، محسن برزوزاده

عربی

۲۲. اسباب النزول القرآنی؛ تاریخ و حقائق / حسن محسن حیدر
۲۳. تاریخ اسلام، ج۱-٤ / سید منذر حکیم
۲۴. قواعد الاملاء / عبدالهادی شریفی
۲۵. مصادر السنة الشریفه / سید محمد جواد جلالی
۲۶. نظریة العرف بین الشریعة والقانون / السید نذیر الحسنی

انگلیسی

۲۷. اصول الفقه / محمد علی شمالی

تاجیکی

۲۸. تفسیر سوره فرقان / ت: جمعی از مترجمان
۲۹. دوستی در کتاب سنت / ت: حکیم جان کمالی
۳۰. مودة القربی و اهل العبا / ت: الیاس قاسم

آذری

۳۱. الهیات تطبیقی؛ اسلام و مسیحیت / توفیق اسداف و افضل‌الدین رحیم‌اف
۳۲. سیره پیشوایان / ت: مانیس حق‌وردی‌اف

اردو

۳۳. اسرار نماز / رجبعلی حیدری مظفرنگری
۳۴. تعلیمات نهج البلاغه / سعی و اهتمام: مؤسسه فکر اسلامی انگلستان
۳۵. جوابات سخنان سپاه صحابه / ت: سید ابو محمد نقوی
۳۶. سیری در صحیحین / ت: محمد منیرخان
۳۷. نقوش فقیه در غیبت امام زمان(عج) / سید شمشاد حسین رضوی

بنگالی

۳۸. شیعه‌شناسی در تاریخ اسلام / حیدر علی بنگالی

سنة الطبع ۱۳۸٤

فارسی

۱. اهل‌بیت(ع) از دیدگاه اهل سنت / سید ابوالحسن باقری
۲. آموزش فارسی به فارسی(کتاب چهارم و پنجم) / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۳. آموزش فارسی به فارسی(کتاب دوم و سوم) / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۴. تفسیر تطبیقی آیه مؤدت / فدا حسین عابدی
۵. تفسیر مقدماتی قرآن کریم / محمد علی رضایی اصفهانی
۶. حقوق اهل‌بیت(ع) در تفاسیر اهل سنت / محمد یعقوب بشوی
۷. در جست وجوی حق / حیدر مظفری ورسی
۸. راز آفرینش اهل‌بیت(ع) / سید محمد علی موسوی
۹. زنگ‌ها (زبان تصویر۲) / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۱۰. سفیر (زبان تصویر۵) / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۱۱. فلسفه اخلاق / حسن معلمی
۱۲. میراث تفسیری اهل‌بیت(ع) / سید حسین هاشمی
۱۳. نقد احادیث مهدویت از دیدگاه اهل سنت / محمد یعقوب بشوی
۱۴. یاس‌های وحشی (زبان تصویر٤) / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی

عربی

۱۵. الاحوال الشخصیة(الطلاق) / السید محمدکاظم المصطفوی
۱۶. تحریر الاسفار للمولی صدرالدین الشیرازی، ج۱-۳ / علی الشیروانی
۱۷. دروس فی الاحکام الاسلامیة، ج۱-۲ / شیخ عبدالکریم ال نیف
۱۸. دروس فی الاحکام الاسلامیة، ج۱-۲ / عبدالکریم بهبهانی
۱۹. کیف نحفظ القرآن / شهریار پرهیزگار

تاجیکی

۲۰. سفارشات پیامبر اکرم ﷺ به دختران و زنان / اکرم خان زیاد الله
۲۱. یوسف قرآن (تفسیر سوره یوسف) / ت: امان الله بابایی

آذری

۲۲. معصومان امت اسلامی(تفسیر تطبیقی آیه تطهیر) / ایلقار اسماعیل‌زاده/۸٤

اردو

۲۳. علوم قرآنی / حسین جوان آراسته

بنگالی

۲۴. تفسیر آیات ولایت / ت: محمد سمیع الحق
۲۵. داستان‌های بحارالانوار / ت: محمد علی مرتضی

هوسایی

۲۶. وهابیت: مبانی فکری و کارنامه عملی / ت: یونس محمدثانی

تامیلی

۲۷. اعتقاد ما / ت: محمد نظام‌الدین

سنة الطبع ۱۳۸۳

فارسی

۱. آموزش فارسی به فارسی(کتاب ششم) / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۲. تمرین کتاب ششم / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۳. نگره‌های عمده در پیوند دین و فلسفه / سید محمد مهدی افضلی
۴. ولایت در پرتو آیات / علی جان محمدی (قره‌باغی)

عربی

۵. الاخلاق السیاسیة فی المنهج الاسلامی / شهاب الدین الحسینی
۶. الاخلاق والحضارة / علی حسن الیاسری
۷. الخلود فی جهنم / محمد عبدالخالق کاظم
۸. دروس فی علم الاصول / سید محمد باقر حکیم
۹. فلسفة التربیة فی الاسلام / السید نذیر الحسنی
۱۰. فی الاخلاق النظریة / السید عبدالهادی الشریفی
۱۱. القصص القرآنی / سید محمد باقر حکیم
۱۲. القواعد الفقهیه / سید کاظم مصطفوی، سیدعبدالهادی شریفی
۱۳. المعاد الجسمانی / شاکر عطیة الساعدی
۱۴. الموجز فی تاریخ الادب العربی / سید عبدالهادی شریفی

انگلیسی

۱۵. انسان و سرنوشت / ت: محمد اشرف شجاع
۱۶. خدمات متقابل اسلام و ایران / ت: مینا بوکار، ادریس تیجانی سماری
۱۷. رساله‌ای کوتاه در باب ضیافت الهی / محمد .م. خلفان
۱۸. عدل الهی / ت: شجاع علی میرزا و...

آذری

۱۹. اعتقاد ما / ت: افضل‌الدین رحیم‌اف
۲۰. منجی (امام مهدی(عج) از دیدگاه قرآن و حدیث)/ ابلفار اسماعیل‌زاده

اردو

۲۱. تاریخ فدک / وزیر عباس حیدری مظفرنگری

ترکی استانبولی

۲۲. جلوه نور(حضرت فاطمه زهرا(س)) / ت: محمد امین

روسی

۲۳. در جست وجوی فرقه ناجیه / ناظم زینال او

آلمانی

۲۴. بر درگاه دوست / ت: محمد اریش والدمن

هندی

۲۵. اعتقاد ما / ت: سیدقمر غازی / هندی

سنة الطبع ۱۳۸۲

فارسی

۱. تفسیر تطبیقی آیه تطهیر از دیدگاه اهل بیت(ع) و اهل سنت.../ ابلفار اسماعیل‌زاده
۲. جای پای آفتاب / سید علی نقی میرحسینی
۳. زنان دین گستر در تاریخ اسلام / طاهره روحانی
۴. شخصیت و حقوق زن در اسلام، ج۲ـ۳ / جمعی از مؤلفان
۵. شناخت ادیان ۱ / سید احمد محمودی
۶. علم الدرایة تطبیقی / سید رضا مؤدب
۷. مجموعه مقالات سمینار افغانستان و قانون اساسی آینده، ج۱ـ۲ / مجمع محققین و طلاب افغانستان

زبان عربی

۸. حوار الحقیقة فی ضوء رؤیة التوحد الدینی الثقافی / تحسین البدری
۹. العدالة الاجتماعیة فی الاسلام / سید فاضل موسوی جابری
۱۰. قبسات من سیرة القادة الهداة، ج۱ـ۲ / سید منذر حکیم
۱۱. محاضرات فی علوم القرآن / محمد علی تسخیری

انگلیسی

۱۲. مصحف امیرالمؤمنین(ع) / ت: عبداللهی احمد زنگو

زبان اردو

۱۳. آفتاب فقاهت / محمدیعقوب بشوی

ترکی استانبولی

۱۴. بازگشت به عصر دین / ت: قدری چلیك

زبان بنگالی

۱۵. آموزش نماز / محمد زین العابدین ایوبی

سنة الطبع ۱۳۸۱

فارسی

۱. آزادی اراده انسان در کلام اسلامی / طاهره روحانی، حلیمه حسینی
۲. روش تدریس / حسین سپهری
۳. رویارویی تمدن اسلامی و مدرنیته / سید محمد عارف حسینی
۴. علم و عقل از دیدگاه مکتب تفکیك / سید عباس مرتضوی
۵. مفاهیم اعتقادی / صالح قنادی

عربی

۶. الامام علی(ع) و تنمیة ثقافة اهل الکوفة / محمد العبادی
۷. الدولة الاسلامیة من التوحید الی المدنیة / نزار عبدانی
۸. علم الکلام المعاصر / حیدر حب الله
۹. الفقه المقارن / سید کاظم مصطفوی

سنة الطبع ۱۳۸۰_۱۳۷۶

فارسی

۱. آموزش منطق / غرویان / ۸۰
۲. علوم قرآنی / محمد جواد اسکندرلو / ۸۰، ۰
۳. آموزش کلام اسلامی۲ / محمد سعیدی مهر / ۷۸
۴. جغرافیای سیاسی جهان اسلام / عزةالله عزتی / ۷۸
۵. سیره اهل بیت(ع) / عبدالرحمان، عبدالخالق / ۷۸
۶. علم حدیث و درایه / نوروز شاه امیرخان / ۷۸
۷. مبانی مطالعات سیاسی ـ اجتماعی، ج۱ـ۲ / محمدرضا حافظنیا / ۷۸
۸. اصول دین در قرآن کریم / مؤسسه معارف اسلامی / ۷۷
۹. درآمدی بر نظام تربیتی اسلام / محمدعلی حاجی ده‌آبادی / ۷۷
۱۰. شرح منظومه بر قبساتی از قصیده فرزدق / جوهری استروشنی، سید زفرخان، تحقیق و تعلیق ملامعروف جان اشتروشنی / ۷۷

زبان عربی

۱۱. آداب التلاوة (دوزبانه) / محمد غلامی / ۷۸
۱۲. بدایة المبتدی / سید یونس استروشنی / ۷۸
۱۳. تاریخ الادب العربی / عبدالهادی شریفی / ۷۸
۱۴. موجز الادب العربی و تاریخه / محمد علی آذر شب / ۷۸
۱۵. فضل القرآن / محمد غلامی / ۷۶

زبان تاجیکی

۱۶. احکام روزه / کمیته فرهنگی نهضت اسلامی تاجیکستان / ۷۷
۱۷. احکام زکات / کمیته فرهنگی نهضت اسلامی تاجیکستان / ۷۷
۱۸. احکام نکاح و طلاق / کمیته فرهنگی نهضت اسلامی تاجیکستان / ۷۷
۱۹. آموزش نماز / کمیته فرهنگی نهضت اسلامی تاجیکستان / ۷۷
۲۰. چرا از اسلام روگردانی / کمیته فرهنگی نهضت اسلامی تاجیکستان / ۷۷
۲۱. چهل حدیث / کمیته فرهنگی نهضت اسلامی تاجیکستان / ۷۷
۲۲. نگاهی به زندگانی پیامبر(ص) / کمیته فرهنگی نهضت اسلامی تاجیکستان / ۷۷